رسالة القديس غريغوريوس الثاولوغوس النازينزى
الى القس كلندينوس يرد فيها على أبولينا ريوس .

بسم الاب والابن والروح القدس الاه واحد امين

المجلد الثاني من ميامر ابينا المعظم في القديسين غريغوريوس الثاولوغوس النازنيزي رئيس اساقفة القسطنطينيه وهو خمسة عشر ميمرًا اول ذلك

الميمر السادس عشر

وهو رساله كتبها الي القس كلذينوس يرد فيها علي ابوليناريوس

اذ كان جماعه قد قدموا الي نحوك يطلبون اقناعًا في باب الامانه • فاقتضيتنا انت لذلك علي طريق الموده • ان نضع حدًا ماموجزًا • ومسطرًا تدل علي مانعتقده نحن • فمن اجل ذلك كتبنا الي توقيك • بما انت كنت عارفًا به من قبل المكاتبه • وهو انا نحن • ماقدمنا شيا علي الامانه التي وضعها الابا القديسون الذين اجتمعوا بنقيه علي هدم امانة اريوس • ولسنا نقدم ولا فيما بعد ان نقدم عليها شيا • بل نحن علي تلك الامانه وعليها فسنكون فيما بعد بمعونة الله • من حيث نضيف اليها ما اعوزها في باب الروح القدس • اذ كان الكلام في ذلك لم يجر في ذلك الوقت • ولا وقعت فيه مطالبه • والذي يجب ان نعرف • اللاهوت الواحد • انه اب وابن وروح قدس • وان نكون عارفين بان الروح الاه • فمن اعتقد هكذا وعلم • فاجعله لك شريكا • اذ كنا نحن علي مثل ذلك • واما من كان يعتقد غير هذا فتجنبه وتصوره غريبًا من الله ومن الكنيسه الجامعه • واذا كانت وقعت مطالبه في باب التانس اعني التجسد • فنبين لكل احد ماعندنا في ذلك • وهو ان ابن الله المولود من الاب • وفيما بعد من مريم القديسه البتول • هو عندنا واحد • لا نسميه اثنين • بل واحدًا فردًا بعينه متوحدًا في لاهوت وكرامة • لا ينقسم • وعلي هذا نسجد له • فان كان احد لا يوافقنا في هذا • اما الان واما فيما بعد • فعليه القيام بالحجه في ذلك عند الله يوم الدين • فمقاومتهم ايانا وردهم علينا علي حسب رايهم الذي لا عقل له علي طريق الاختصار • فهذه جملتها • وذاك انهم يامرون بشي •

هو الذي يلحقهم . ويدخلون على الالم فيه دون غيرهم . فينفون العقل بعدم
العقل وزواله . وما سبيلهم ان يلومونا . ويلزمونا ذنبا يتجنون به علينا . في
قول امانة اريطاليوس الحبيب الذي اقتضاها ضاماسوس اسقف روميه
المغبوط ودفعها اليه . ثم اننا بعد ذلك دفعناها على قولهم وامتنعنا منها .
ونحن فسنبين هذا على حقيقته باختصار . وذاك ان هولاي القوم اذ لا قوا
تلاميذ وحواريه لم يختصون بهم . كشفوا لهم خفي اعتقادهم في اللاهوت .
وعملوا في ذلك كعمل المنانيه . مع القوم الذين يدعون مختارين . اذ يكشفون لهم
جميع مرضهم . فعند ذلك لا يسلمون جسدًا للمخلص . الابتدة . واذا ضيق
عليهم وبكتوا بما اتاه الكتاب والارا المشتركه في باب التانس . اعترفوا
بالالفاظ المستقيمه في المذهب . واما العقل فيتجنبون في بابه . ولا يعتقدون
في الانسان انه اذ كان لا نفس له ولا نطق ولا عقل هو عديم للكمال . ولكنهم
يدخلون اللاهوت وحده . فيجعلونه يقوم مقام النفس والنطق والعقل
بعد ما خالط الجسد . ولا يضيفون الى ذلك البشريات التي تخصنا . وان كان قد
زاد علينا فيها بعدم الخطيه . الذي صار لا لا منا طهورًا . وعلى هذا المعنى يحيدون
عن الواجب . في تفسير ما قاله الرسول . في انه انما لنا نحن عقل المسيح . اذ يقولون
ان عقل المسيح هو لاهوته . ويرون في ذلك الراي الفاسد الركيك . ولا يعتقدون
راينا نحن في هذا . اذ كان عندنا ان الذين طهروا عقولهم تشبها بذلك العقل الذي
اتخذه المخلص من اجلنا وقوموها عليه بمقدار الطاقه . فهم الذين يقال عنهم
ان لهم عقل المسيح . كما قد يجوز ان يشهد لمن قد ادب جسمه بواجب التاديب .
فيقال فيه ايضا ان له جسد المسيح . والذين هذه صورتهم . فهم الذين
خالطوا المسيح في جسمه وشاركوه كما جا في الكتاب . اذ قال . بحسب ما لبسنا صورة
الترابي كذلك سنلبس صورة السمايي . ومع ذلك فالانسان التام عندهم ليس هو
المجرب على ساير احوالنا سوى الخطيه . بل يرون انه الخلطه من الله ومن الجسد .

ويقولون

ويقولون ماذا يكون اجل من هذا واتم . وعلى هذا المعنى ايضا ياتون بكيد آخر في لفظة
التانس . فيقولون انه معنى تانس . ليس هو لي دليلا انه صار في انسان هو جبلة
لنفسه وفطره . اذ كان ذلك منه كما قيل . انه هو الذي عرف ما في الانسان . بل عندهم
ان القول بانه تانس انما اريد به انه خالط الناس ولابسهم . واذا قالوا ذلك
وعلموه . التجوا الى تلك اللفظه التي قيلت في النبوه . انه بعد هذا ظهر على الارض وتقلب
فيما بين الناس . ولكن لما لا احد يزيد في الحرص عليهم ومجاهدتهم . وهم يرون ان
يطرحوا الانسان وصورته التي في دواخله جمله . ويظهرون الخارج وحده بالوجه
الجديد المبصر اليه . ويبلغون في نقضهم على نفوسهم . الى شرح كل شي من اجل
الجسم شرحا غليظا جسمانيا . فمن هاهنا نهضت لهم اليهوديه الثانيه . والمتعة
الفعام في الفردوس . التي تشتمل على الهديان . وان بعد ذلك قد يقرب في الحال
ان نعود ونتخذ ما كان لنا ونكون كما كنا . ثم يعودون بعد ذلك فيعتقدون في الجسم
الوهميه اكثر من الحقيقه . وان ذلك الجسم لم يلحقه ما لحق اجسامنا . ولا كان حرًّا
من الخطيه . ويستعملون في هذا قول الرسول اذ يتوهمون فيه . ويقولون ما لا يليق برسول .
وهو ما قاله ذاك لما قال عن المخلص . انه صار بشبه الناس وانه وجد انسانا بالشكل .
لا من طريق ان الصوره البشريه هي التي دل عليها . وفهمت فيما ذكر . بل انما كان ذلك
خيالا ووهما وخديعه . ولعمري ان هذه الالفاظ اذا فهمت كما ينبغي كانت دليلا على
حسن العباده . واذا شرحت شرحا رديا كانت داله على الكفر . فعلى هذا المعنى
آية اعجوبه تكون في قول اريطاليوس . ان نكون نحن قد قبلناها بحسن عباده
واقنعتنا في ذلك الاراده . ويكون غيرنا قد توحش على معنى الكتاب . وهذا الذي
اظنه في ناماسوس . انه انتقل الى معرفة اخرى من جهتهم . ولما تحقق انهم
ثابتون على ارائهم القديمه . نفاهم وصعب عليه ما كتبوه من خديعتهم في كتاب
اماناتهم . الذي اضافوا اليه لعنا . ولحقه ذلك من السداجه . وهذا فاذا ما بكتوا
فيه تبكيتا بينا . فما سبيلهم ان يتصعبوا علينا . بل ينبغي ان يحللوا مننا . ولا ان يكذبوا

[illegible] • بل ينقضبوا عنا • ويحوا من ابوابهم تلك الكتابة العجيبه • والمناداه علي الارثودكسيه .
بطاليه • يلقون بها الداخلين للوقت بديونونه • انه يجب ان يسجدوا الا لانسان
متلبساً بلاهوت بل الاله متلبساً بجسم • وهذا فايما بهيميه تكون اشد منه • وان
كان كوزة الحق الجدد يتعظمون بذلك • وذاك في قولهم بهجة ماسوفسطانيه بسرعة
الرد وبدعة مسابيه تشغف مالا ادب له • وهي مما يجب ان عليه اشد من كل مضحكة .
ويعرف من قلة الفهم فيها ما يزيد علي كل جهل • وذاك ان الانسان متي نقل لفظة انسان
ولفظة جسد الي الاه واحد من هذين يعجبنا نحن • والآخر يعجبهم هم • ثم عاد الي هذه
المقابلة العجيبه التي تعرف بالاهوت فما يجتمع من ذلك • وماذا يكون نتيجته • يكون
نتيجته لا محاله لا ينبغي ان يسجد لجسد متلبساً بالاه • بل الاله متلبساً بانسان • ويا
لها من شنعه في تعريفهم اليوم ايانا • بعد المسيح بالحكمة المستوره • وهذا فهو شي
يجب ان ندرف الدموع لاجله • ان تكون الامانه انما ظهرت منذ ثلاثين سنه •
والسيد المسيح فلظهوره اليوم علي الارض منذ اربعماية سنه • فان كان الامانه
به لم تتحقق الا في هذه المدة الثلاثين سنه • فبشارتنا اذاً في مقدار هذا الزمان
فارغه . وامانتنا ايضاً باطله • ومن استشهد فشهادته كانت في غير طايل • ومن
تقدم علي شعب فكذلك ايضاً كانت صورته • ولقد كانوا جليلين في الحال والمقدار •
وقد صار الان الفضل للكلام الموزون • وليس هو للامانه • فمن ذا الا يعجب من قلة
ادب هولاي القوم • وهم قوم قد بينوا قسمة اسباب المسيح • فما كان منها مثل
ولد وجرب وشغب واعيا وهجع قد ردوه الي البشريه • وما كان منها مثل
مجدته الملايكه وغلب المجرب وهزمه وكذلك انه مشي فوق البحر • حسبوه
للاهوت . وقوله اين وضعتموه حسبوه لنا • واما هلم يا العازر برا • واقامته الميت
بعد اربعة ايام فردوه الي من يعلونا • واما جهد وصلب ودفن فجعلوه للغشا •
واما جس ووثق وقام وصعد فردوه الي المخزون • وهم مع ذلك يتلبونا بادخال
طبيعتين متقابلتين او متقاتلتين • واننا نقسم الاتحاد العجيب الذي يفوق الطبيعه .

وقد

وقد كان سبيلهم . اما الا يفعلوا ما ينكرون . واما الا ينكروا ما يفعلون . ان كانوا يخشون
ان يتبعوا ذواتهم . بل قد عرفوا ان يقولوا ما يخصهم وما يخص بعضهم . ولعمري ان
البهيميه هكذا صورتها . ان تكون تقاوم الحق . وتقاوم ذاتها . واذا سقط اهلها منهم
وبهم اما ما يشعرون . واما الا يخزوا . ومن يتوهم اننا نكتب هذا او نقوله طايعين ولا
نقوله مجبرين . واننا نضجع في الاتحاد ولسنا نحرص عليه شديدًا . فليعلم ان
رايه في هذا فاسد . لا يصيب غرضنا ان لم يكن عندنا قط شي اثر من
السلام . بحسب ما نقنع فيه الاشيا باعيانها التي يصنعونها بنا ويصولون بها
علينا كل ذلك ليحجبونا بالكليه عن الاتفاق في الراي .

الميمر السابع عشر

لابينا المعظم في القديسين غريغوريوس التاولوغوس النازينزي رساله ثانيه الي القس المقدم ذكره . عنواها

من الامام المحب لله شديدًا المتقدم في كرامته كليدونيوس المشارك لنا في القسوسيه . من
اغريغوريوس ليكون عليه السلام والفرح بالرب . قد كنت اوثران اعرف ما هذه
الحادثه في البيعه التي مكنت كل من يري ويختار علي ما قيل في الكتاب . ان يمزق
الرعيه التي قد اينعت حسنًا . ويستلبها بطرايق لصوصيه بل ماردية . وتعاليم
لم تخطر ببال . فلو كان لمن دخل علينا الان ما يخرجنا به في باب الامانه . لما كان
ينبغي . ولا بعد هذا ان يجسر هكذا علينا بغير مطالعتنا . بل قد كان يجب ان يوثر
اقناعًا اولًا . او ان يقنع من جهتنا اذ كان لنا مقدار وفينا عنده مبالاه كقوم يخافون
الله . وقد نصبوا من اجل الكلمه ونفعوا الكنيسه . ثم بعد ذلك . ان كان يمكنه فيجدد
حادثه . ولقد كان لعل يكون من ذلك حجه للسفها . واما اذا كانت امانتنا قد اعلنت
ونودي بها بكتاب وبغير كتاب . وها هنا وفي المواضع الشاسعه . ومع خطر وبغير
خطر . فكيف يتعوض بنا قوم هذه الاشيا . ويمسك اخرون . فليس هذا الصعب .

٢٠١

اذ كان من اصعب الاشيا ان ياتي قوم بسوا ماتهم فيخزنونها في النفوس الساذجه بالكيد والبهتان في القول • بل وقد يستعملون الكذب فينا والتقول علينا • بانّا نساويهم في الراي والاعتقاد • ويجعلوا ذلك كالطعم في حديد البلوع • فيتممون بهذا الشكل ارادتهم اتمام سو • وبسا المتنا التي كما نري فيهم راي الاخوه لا الراي في الغربا • بجعلوها بشرهم زادًا • وزادوا علي ذلك قولهم • علي ماعرفت • ان السينودس الغربيه قبلتهم • وهذه السينودس فقد كانت حكمت عليهم بما هو معروف عند كل احدٍ • فان كان اصحاب ابوليناريوس قبلوا • اما الان واما قديمًا • فليبينوا ذلك فيكون ذلك عندنا ماثورًا • فانه قد كان يتبين من هذا انهم ما قبلوا الا لما طابقوا القول المستقيم • والا فكيف كان يجوز علي معني آخر ان يكونوا وصلوا الي هذا • وانما يثبتون ذلك علي واجبه • اما بطرس من السينودس واما برسايل تدل علي مشاركتهم • اذ كان علي مثل هذا قد جري الناموس من السينودسات • وان كان هذا كلامًا قد اختلقوه وتحيلوا به للتجمل والاقناع للكثيرين • من اجل الاعتراف لهولاي القوم بالثقه • فعلمهم السكوت وتبتهم • فنحن نعتقد ان هذا هو اللايق بمذهبك ورايك القويم • ولكن ما سبيل هولاي القوم ان يخدعوا • ولا ان ينخدعوا في قولهم انسانًا بلا عقل هو المنسوب الي الربوبيه علي ما يقولون بل هو ربنا والاهنا • اذ كان نحن لا نفرز ذلك الانسان من اللاهوت • بل نري انه واحد بعينه • لم يكن في الاول انسانًا بل الاهًا وابنًا وحده قبل الادهار • لا يخالط جسمًا ولا شيًا من احوال الجسم • واخيرًا اتخذ انسانًا من اجل الخلاص • اليمًا بالجسم غير اليم باللاهوت • محصورًا بالجسم غير محصور بالروح • ارضيًا وسمايًا معًا • في ذاته مبصر وغير مبصر • متحملًا وغير متحمل • حتي يعود الانسان كله الذي سقط تحت الخطيه الي جبلته القديمه بانسان كله والاه كله •

اولًا • نحن نعتقد مريم القديسه انها ثيوطوكس والدة الاله • ومن لا يعتقد ذلك • فهو منفصل من اللاهوت • ثانيًا • ومن يقول انه عبر في البتول كالعبور في ميزاب ولا يقول انه انجبل فيها من فطرةٍ الي فطرة انجبالًا الاهيًا وبشريًا • فالاهيًا

لانه

لانه من غير رجل . وبشريا فلانه كان بناموس الجبل . فقايل هذا لاه لك له .
ثالثاً . ومن يقول ان الانسان بعد ما كملت فطرته لبس الاله . فقد وجب الحكم عليه .
اذ كان هذا ليس هو للّه ولاده بل فرارًا من الولاده . رابعاً من يدخل ابنين احدهما
من الله الاب والآخر من الام ولا يقول انه واحد في ذاته . فقد سقط من التبني
الذي وعد به المستقيمون في امانتهم . فالاه وانسان هما العمري طبيعتان اذ كان
كذلك النفس والجسم . واما ابنين اثنين فلا . ولا الاهين . اذ كان النفس
والجسم هاهنا ايضاً ليسا انسانين . وان كان بولص قد سمّي ما داخل الانسان
وما خارجه كذلك وان اوجزنا في القول . فالاشيا التي كان منها المخلّص . هي شي آخر .
وشي آخر . اذ كان المبصر وغير المبصر ليسا شيًا واحدًا . ولا الزماني ولا ما يعتريه
الزمان شيًا واحدًا . لا انه لا يقال آخر وآخر في القنوميه والتشخص . لا انهما لما
اجتمعت في الاه متانس وانسان متاله في البتول . او ما شا واحد فليقل صارت واحدًا .
وانا فاذا قلت شي وشي قلته بعكس المقال في التالوت . لا ني هناك اقول آخر وآخر .
حتي لا امزج الاقانيم . ولا اقول هناك شي وشي . لان الثلاثه شي واحد في الذاتيه
واللاهوت . خامساً من يقول ان الفعل فيه كان علي طريق الموهبه علي منهاج
نبي وان ذلك لم يكن بالجوهريه والدخول في ذات الفطره فليكن فارغًا من الفعل
الجليل بل يكن مملوًا من الفعل . سادساً من لا يسجد للمصلوب فعليه اللعنه .
وليكن موضعه مرتبًا مع الذين قتلوا المسيح . سابعاً من يعتقد ان المسيح
ثم من اعمال او بعد المعموديه او انه بعد القيامه اهل للبنوه علي ما تعتقده
الصابه في تومريته يجرون بهم فليكن مطرحًا . اذ كان الذي له ابتدا او له نمو
وكمال فيما بعد فليس هو الاهًا . وان كان ذلك يقال من اجل بيانه وظهوره شي
بعد شي ثامناً من يقول ان الجسد الان قد وضع ناحيه . وان اللاهوت
تعرّب منه وانها ليست معما اتخذته ولا تاتي به . فلا يبصر بمجد حضوره .
والا فاين الجسد الان اذ لا يكون مع الذي اتخذه . لانه لا يجوز ان يقال فيه

هديان المنانيه ۰ انه موضوع في الشمس ۰ فيكرم من هاهنا بالهوان ۰ ولا انه قد انصب
الي الهواء ۰ وتبدد فيه كطبيعة الصوت ۰ ولا كريح الطيب ۰ ولا مثل سرعة البرق ۰
وانحلاله ۰ والا فاني يكون لمسه بعد القيامه وكيف يظهر للذين طعنوه اذ كانت
اللاهوت في ذاتها لا تبصر ۰ بل سياتي مع الجسم ۰ علي رايي انا بالصوره التي
ظهر فيها للتلاميذ علي الطور عند غلبة اللاهوت للجسد ۰ وكما نقول هذا القول
وندفع به الوهم فينا ۰ وكذلك نكتب ۰ وذاك حتي نقوم الحادثه ونصلحها ۰
تاسعًا من يقول ان الجسد من السما نزل وليس هو من هاهنا ولا منا ۰ وان كان
يفوقنا فليكن ناحيه ۰ واما القول ۰ بان الانسان الثاني من السما وان كمثل السمايي
كذلك السمايون ۰ وانه لم يصعد الي السما الا من انحدر من السما ابن الانسان ۰ ومهما
كان مماينا سبهه فيجب ان نعتقد فيه انه يقال من اجل الاتحاد بالسمايي ۰ كما
يقال ان المسيح كان كل شي ۰ وان المسيح يسكن في قلوبنا ۰ لا بسبب ظاهر الاله ۰ بل من
اجل باطنه المعقول ۰ ان تمتزج الاسما بمقدار اختلاط الطبايع فيدخل بعضها
في بعض بحسب اتفاق الطبايع عاشرًا من كان امله انسان بلا عقل او بشر
عريًا ۰ فهو بالحقيقه عري من الفهم لا يستحق ان يخلص لان ما لم يتحد فلن يصل
اليه مداواه ۰ والذي اتحد بالاله هو الذي يخلص ۰ وان كان نصف ادم الذي اخطي
فنصف المتحد ايضًا هو المخلص ۰ وان كان كله اتحد بالمولود فكله يخلص ۰
فلا تبخلوا علينا بالخلاص الكامل ۰ ولا تجعلوا الخلاص لعظام وحدها ۰ وصوره انسان
في المخلص ۰ وان كان الانسان بغير نفس فهذا ايضًا قول ذوي اريوس ليدخلوا الالم
علي اللاهوت من طريق ان الذي يحرك الجسم هو الذي تالم ۰ وان كان ذا نفس فان
لم يكن ذا عقل فكيف هو انسان ۰ لان الانسان حيوان غير خلو من العقل ۰ ومن
الضروره ان يكون الانسان شكلًا ومسكنًا ۰ وان تكون النفس نفس قدس ۰ ويكدوا
الصوره من قولهم ۰ ان الشكل شكل انسان وكذلك خباوه ۰ واما نفسه فنفس
فرس او ثور او غيرهما مما لا يفهم ۰ فيكون ذلك اذًا الذي يخلص ۰ وقد كذبت انا
فن

من جهة الحق . اذ يكون غيري الذي يكرم . وانا الآخر الذي افتخر . وان كان
الانسان ذا عقل وليس يخلوا من عقل . فليكفف هولاي القوم عن الجهل بالحقيقه .
الا انهم يقولون ان اللاهوت قد كان فيه كفايه ان يقوم مقام العقل . وانا
فاي شي علي من هذا . لان لاهوت بغير جسم علي تصاريف المذاهب ليس بانسانًا .
ولا نفس وحدها انسانًا . ولا هما جميعًا بغير عقل به يُتمم الانسان . فاحفظ
الانسان كله . واضف اللاهوت حتي يحسن احسانًا تامًا . الا انه يقول . ان اثنين
تامين لا يسع احدهما الآخر . ولا امر كذلك . لعمري اذا نظرت نظرًا اجسمانيًا . وذاك
ان وعا قفيز واحد لا يسع قفيزين . ولا موضع جسمين يسع اجسامًا كثيره اكثر منها .
واما اذا نظرت نظرًا عقليًا لا يشوبه جسم . وجدت اني انا وحدي قد وسعت
نفسًا ونطقًا وعقلًا وروحًا قدسًا . وقبلي قد وسع هذا العالم المركب مما يُري
ومما لا يُري . الاب والابن والروح القدس . وذاك ان هذه طبيعة المعقولات
في اجتماع بعضها مع بعض مع ما لا جسم له ولا يتجزي مع الاجسام . وان في طبعها
الاختلاط بها علي هذه الصوره . لان اصواتًا كثيره قد يسعها سمع واحد . ومبصرات
كثيره قد يقع عليها بصر واحد . وكذلك المشام في مشموماته والحواس فلن يضيق
بعضها من بعض . ولن تنضغط . ولا المحسوسات تنقص من كثرة ما يقع عليها ويتناول
منها . واين عقل للانسان او للملاك يكون تامًا بالقياس الي اللاهوت حتي ينضغط
الاصغر من حضور الاكبر . ولا شعاع يكون له مقدار بالقياس الي الشمس . ولا نداوه
يسيره بالقياس الي نهر . حتي يحتاج ان يُفني الصغير لموضع الكبير . ويصرف من
البيت ضوءه ومن الارض نداوتها . حتي يتسع المكان هكذا الاكبر والاتم . وكيف يسع
شي واحد تامين . مثل بيت يسع ضوًا وشمسًا . وارض تسع نداوه ونهرًا . وهذا
سبيلنا ان ننظر فيه علي هذا الحساب . اذ كان يحتاج بالحقيقه الي اهتمام شديد .
او تجهلون ان الشي التام عند شي . قد يكون عند آخر ناقصًا . مثل رابيه عند جبل .
وحبة خردل عند فوله . او غير ذلك عند الحبوب الكبار . وان كان كبيرًا من الحبوب .

التي من جنسه ، وان رايت فاضف ملاكًا بالمقايسه الي الله . ولنسا انا الي القياس بملاك .
وعقلنا العمري فهو تام وذو رياسه . ولكن علي النفس والجسم . وليس هو تاما علي
الاطلاق لانه لله عبد وتابع . لا يشاركه في رياسه ولا في كرامه . وموسي فقد
كتب عنه انه اله فرعون . الا انه لله عبد وخادم . والكواكب فقد تضي في الليل .
الا انها تخفي عند طلوع الشمس حتي وقد يتوهم فيها بالنهار انها غير موجوده . ومصباح
صغير اذا انضاف الي نار كثيره فليس يطفي . ولكنه ما يظهر . ولا ينفصل بل النار
تكون واحده . وان كان الاقوي قد غلب . الا انهم يحتجون ان عقلنا قد دين وحكم
عليه . فما رايهم في الجسم . هل يرون انه ما دين ولا حكم عليه . ولكن سبيلك يا
هذا . اما ان تصرف الجسد بسبب الخطيه . واما ان تقدم العقل بسبب الخلاص .
وان كان الادني قد اتخذ ليتقدس بالتجسد . فلم لا تتخذ الافضل ليتقدس ايضًا بالتانس .
وان كان الطين يا حكيمًا قد اختمر عندكم وصار عجينًا حديثًا . فهل الصوره لا ينبغي ان
تختمر وتتصل بالله متالهه باللاهوت . وقد نضيف الي هذا شيا اخر وهو قولنا
ان كان العقل لا محاله قد اطرح لشدة خطايه والدين عليه . ومن ها هنا اتخذ الجسم
ولم يتخذ العقل . فقد حصل عذر لمن يخطي في عقله وفكره . والشهاده في ذلك من الله
من طريق اعتقادي فيه . اذ بين عسر المداواه . وان العقل لا دوا له من ذاته . أفترى
ان اقول ما هو اكثر من هذا . وهو انك تزدري بعقلي لهذا السبب . لانك تكرم الجسم
وحده وتبجله . اذ كنت اكرم الانسان واجله . تريد بذلك ان تربط الاله مع الجسم .
اذ لا يمكن عندك ان يربط به علي طريقه اخري . فينتزع الستر الذي بينهما . واما انا
العديم الفلسفه والادب . فما قولي في هذا . اقول ان العقل بما يختلط بعقل لقربه
منه واختلاطه به . ثم يختلط لذلك بالجسم . ويكون هو الواسطه فيما بين
اللاهوت وغلظ الجسم . واما قول اوليك القوم . فسبيلنا ان ننظر فيه من معني
التانس اي التجسد كما يقولون هم . فان كان ذلك انما هو ليتسع للاله . اذ كان علي
طريقة اخري لا يتسع له ليلابس البشر بجسد . يكون كالستر في ذات البين . فقد

البسوا

البسوا وجوههم وجهًا جهمًا وحيله علي المرايا ه واسلم لهم ذلك • حتي لا اقول انه
قد يكون يمكن علي طريقة اخرى ان يباشرنا كما باشر عليقه وصوره بشريه في القديم •
وان كان ذلك ليحل دينونة الخطيه ويقدس الشبه بالشبه • فكما احتيج الي جسم بسبب
الجسم الذي كان الحكم عليه • والي نفس بسبب النفس • وكذلك قد احتيج الي عقل بسبب
العقل • اذ لم تكن جنايته في آدم جنايه مفرده من طريق الفعل • بل وقد ينضاف
اليها جنايه اخرى من معنى دخول الالم قبل الفعل علي الهمه في الاول • وقد يعتقد
لا لمبا في المرضي مثل ذلك • لان الوصيه العقل قبلها في الاول • والذي قبلها فهو
الذي ما حفظها • والذي ما حفظها فهو الذي تجري عليه المعصيه • والذي تعدي
وعصي فهو كان محتاجًا بالحري الي الخلاص • وهذا الان فقد قامت عليه البراهين
من ضروريات هندسيه كما يقولون هم • وانت يا رجلًا منهم فتفعل فعلًا يشبه ما اقول •
وهو شي مثل ذلك يلحق عينًا ورجلًا فتداوي الرجل وتترك العين • او مثل مزوق
لم يحسن تزويقه فتتقدم الي ما زوقه وتصلحه • ولم تلتفت الي المزوق في
اصلاح بل تجاوزته كانه قد اتي بحسنه • وهولاي القوم فان لزتهم هذه
القياسات التجوا ان يقولوا بعد هذا • انه قد يمكن ذلك لعمري وبغير جسم ان
يخلصهم برايه وارادته وحديهما • كما امكنه في الاشيا الاخرى كلها ان يفعلها •
وضعها بغير جسمانيه • فبطل الجسم مع العقل حتي يكون حالة طغيانهم كامله •
ولكنهم ان كانوا يتخدعون من الكتاب • ويقصدون من هذا المعني الجسم بعادة
الكتاب في مواضع كثيره . فيذكر انسانًا • وابن انسانًا • فلما لنا نذكر ذلك لهم وهم به
عارفون • وان كانوا انما يصرون علي هذا من اجل ما ذكر • ان الكلمه صار لحمًا وسكن
فينا . وينتزعون من الانسان اشف ما فيه ويكشطونه كما يفعل الاساكفه يبطون
الجلود الغليظه حتي يستقيم لهم ان يلصقوا الاهًا بجسم • فقد جاهم وقت يقولون
فيه . ان الله تبارك وتعالي لاه الاجسام دون النفوس • لانه قد كتب • كما
اعطيته سلطانًا علي كل جسد • وكل جسم اليك ياتي • وليبارك كل جسم اسمه

الذروس . والمعني في ذلك انما هو كل انسان . او فيقولون اباونا انحدروا الي مصر
بلا اجسام ولا كانوا يبصرون . وان نفس يوسف هي التي كان قيدها باتغري . لانه
كتب انهم في خمسة وسبعين نفسا انحدروا الي مصر . وان نفسه عبرت في الحديد .
وهو شي لا يمكن ان تتقيد . والذين يقولون هذا فيجهلون ان هذه الاشيا تسمي
بالاضافه . ويكون الجزو منها يدل علي الكل . كما قيل . ان فراخ الغربان تستغيث
بالله . وانما اريد بذلك طبيعة الطير كله . وقد ذكرت الثريا والعيوق والسماك
الراضح عوضا من الكواكب كلها . ومن التدبير الذي فيها . ومع ذلك فلم يكن
ممكنا ان يستدل علي محبة الله ومقته . الا من ذكر الجسم . وانه انحدر من
اجلنا الي الادون . والجسد فهو ادون من النفس واحقر . وكيف كان يمكن احد
من ذوي العقول . الا ان يعترف بذلك . واما ان الكلمه صار لحما . فقد يلوح لي .
انه يساوي القول فيه . انه صار خطيه ولعنه من اجلنا . ليس ان الرب انتقل الي
هذه الاشيا . وكيف كان يقال ذلك . لانه قبل اثامنا واحتمل الامنا . وهو ففيه
كفايه في وقتنا هذا لموضع بيانه وقرب فهمه من الكثيرين . وذلك اننا ما نهضنا
الي تاليف مقالات . بل اردنا ان نعقل الضلال ونمنع منه . فكتبنا هذا .
والقول الاوسع في ذلك فنحن نقوم به اذا التمس باطول من هذا القول . واما
القول الذي هو اتقن من هذا فمن الضرورة الا نتركه . وهو القول هكذا . ياليت
المتعديين عليكم المشوبين قلوبكم قطعوا هذا وسكتوا . ولم ياتوا بيهوديه ثانيه .
وختانه معاده . وذبايح مردوده . والا فان كان ذلك فما المانع من ان يولد المسيح
دفعه اخري لزوال هذه الشبه . ويسلمه يهودا ويصلب ويدفن وينشر ليتم كل شي
علي هذا النظام بحسب راي الحنفا في الادوار التي ياتي بها دور الكواكب . والا فما
السبيل في التفضيل متي يكون بعض الاشيا يعتري وبعضها يهمل لا يفتلح فليبين
ذلك للحكما الذين يتباهون بكثرة . واذا كانوا مع هذا يتفحمون في باب اللاهوت
التالوت . ويكذبون علينا ويقولون ان امانتنا ليست صحيحه . ويخدعون بهذا

كثيرين

كثيرين . فمن الضرورة ان نعرف ابوليناريوس انما سلم اسم اللاهوت الي الروح
القدس ولم يحفظ قوة اللاهوت . لان القول من كبير واكبر ومعظم . مثل ضيا
وشعاع وشمس . يعني بذلك . الروح والابن والاب . علي ما يوجد بينا في اقواله .
فذلك انما سلم لاهوت لا تصعد الي السما . بل تحط من السما . واما نحن فنعرف
للاب وللابن والروح القدس . وليس ذلك اسما سادجا تقطع عدم المساواه في الراي
والقوات . بل نعتقد ان التالوت واحدا . ثابتا علي حال واحد بحسب ما هو في
التسميه كذلك هو في طبيعة اللاهوت وجوهره وقوته . فان كان احد يري ان
هذا القول صحيح ويشتكي منا مشاركة الارطقه وحدها فليبين ذلك احد من
اصحابنا . ونحن حينيذ . اما نقنعه واما ننصرف عنه . واما قبل الحكم فلا يوثق
علي احداث شي جديد فضلاً عن ان يكون ذلك في امر هذه صورته . وهذا
مقدار جلالته . ونحن فقد شهدنا بهذه الاشيا عند الله وعند الناس . ونحن ايضاً
فنشهد ونندر وما كنا بالذي كتبنا هذا الان . اعلم لو لم نري البيعه ممزقه مقطعه
في بدايع اخري . وهي في هذا المجمع الان الباطل . وان كان احد اذا قلنا هذا وشهدنا
به . يتصور اننا فعلنا ذلك بسبب اشيا احتجنا اليها . او لخوف من الناس . او لصغر
نفس شنع . او لعدم الرعايه والسياسه . او للحتوف الي الحوادث والفرح بالاشيا
الغريبه . فلهذا الحال يغـدنا ويتصور اننا لسنا نستحق ان يفكر احد فينا . ويعضد
هولاي القوم . ويفصل جسم الكنيسه الحسن . والدينونه عليه في هذا من كان من
الناس . وهو يقوم بالحجه لله في يوم الدين . وان كان الاقوال الطويله والزبور الجديد
ومقاتلة داوود بنغمات غير نغماته . والنغمه في سلاسة الوزن هي التي تحسب
وصيه ثالثه . فاننا ونحن نزمر ايضاً زبوراً ونكتب وننشد بالموزون . اذ
كنا قد نظن ان لنا حيط في روح الله . ان كان هذا الذي تقدم ذكره هو
النغمه وليس هو تبججاً بشرياً . فهذا جملة ما اريدك ان تشهد به .
وتندر الجماعه بذكره . حتي لا نكون نحن تحت وسق من اهمال المثل

هذا الشر . وان من تفجيعنا هذا اتسع هذا الراي الردي ونما وقوي .

الميمر الثامن عشر

لابينا المعظم في القديسين غريغوريوس الثاولوغوس النازينزي تفسير فصل من بشارة متي وهو سوال الفريسيين له عن الطلاق

يسوع الذي انتخب الصيادين . ها هو ذا يصطاد . وينتقل من مواضع الي اماكن . لا لاية حال . ليس لكي يربح قوماً كثيرين من الوادين لله بوروده فقط . بل علي حسب رايي لكيما يبارك اصقاعاً كثيره . وصار لليهود مثل يهودي ليربح اليهود . والذين تحت الناموس مثل من هو تحت الناموس ليبتاع الذين تحت الناموس . وللضعفا مثل ضعيف لكي يخلص الضعيفين . صار للكل كل شي كي يربح الكل . وما معني مقالي انه للكل كل شي . الامر الذي لا يحتمل ولا بولس ان يقوله عن ذاته . ذاك وحده قد حصل بالمخلص . لانه لم يصر يهودياً فقط . ولم يرتضي لذاته ما كان من الاسما القبيحه والسمجه . بل وما هو اقبح من هذه اجمع . فصار خطية بذاته ولعنه من ذاته . وليس هما لكنه دعي . لان كيف يكون خطيه المحرر لنا من الخطيه . وكيف يكون لعنه من ابتاعنا من لعنة الناموس . بل كي يوضح ومتي هذه الامور . ويظهر التواضع . مرتباً لنا في الاتضاع المسبب للعلوا . فاذاما قد قلته صار صياداً متنازلاً للكل . واقتنص وصابر كل شي . كي ينتاش السمكه من العمق السابحه في امواج الدنيا التي لا ثبات لها والمالحه . اعني الانسان من اجل هذا . والان لما تمم هذه الاقوال انحاز من الجليل واتي الي الحدود اليهوديه جايز الاردن . حسناً انه قدم الي الجليل كي يبصر الشعب الجالس في الظلمه نوراً عظيماً . كي يقنع ان ينتقل عن الكتاب ويتبع الروح . قد فعله يعلم في الجبل . وتاره يخاطب في بقاع . ومرة يصعد الي مركب . ومرة ينتهر الامواج . لعله قبل النوم ليبارك والنوم . ولعساه تعب كي يبارك التعب . ولعسا انه بكي لكي يجعل الدموع ذات مديح . وينتقل من موضع الي موضع ما لا يسعه ولا موضع واحد . من لا زمن له . من لا جسم له . والذي لا يمسك هو ذاته . ولم يزل

يزل صار . ولم يزل فوق الزمان فاتي تحت زمان . ولم يزل لا يرى فشوهد . ولم يزل في
البدي وعند الله موجودا . ولم يزل الاها كان للوجود تثبيتا يتصحح بالعدد . وبكبما
كانه ولم يتخذ ما لم يكنه . وليس انه صار اثنين . بل ارتضي ان يصير واحد من
الاثنين . لانهما كلاهما الاها . حينيذ اتخذ والمتخذ والتامت طبيعتان الي واحد وليس
اثنين . ولا تكذبن علي الامتزاج . هذا الذي قدر مثل هذا القدر . والذي هو بعظم
هذا الجلال . ولكن ماذا اصابني . قد سقطت الي ايضا كلمات انسيه . لان كيف يكون
البسيط بهذا المقدار . وكيف الذي لا كميه له يكون بهذا المقدار . لكن اعطوا المقال
عفوا . لانني اتنغم بالة صغيره عن الامور الكبار . وهذا تحمله ايضا ايها الجزيل الطويل
الروح . الطبيعه التي لا نوع لها ولا جسم . من الذين هم في معني الجسم والحواس شد
ضعفا . لان ان كان قبل بشره . ويذكرون المقال الذي مثل هذا . واتبعوه خلق كثيرون
وشفاهم هناك حيث كان القفر اكثر عظما . لو كان دام في سمو مكانه ولم يتنازل
لضعفنا . او كان بقي مكانه حافظا ذاته لا مشاهدا ولا مدنوا منه ولا ممسوكا . لعل
قليلين لان كانوا اتبعوه . ولست اعلم ان كان قليلين . ولعل موسي وحده وهذا بهذا
المقدار حتي انه بالكد ابصر مواضع الله . لانه اما السحابه فسكها بصير ورته
خارج الثقل الجسداني . او اتجمع من الحواس . فاما الطافة الله . او عدم تجسده . ولا اعلم
كيف يسميه احد . كيف كان يمكن يراه وهو بغير جسد ويطرح عليه عينين حسيتين لكن
لانه انسكب من اجلنا . ولانه انحدر اعني انسكاب الذي للمجد . مثل طرح ما ونقص .
من اجل هذا صار موسوعا . لكن اعطوني في خلال هذا عفوا . لان قد اصابني تانيه
المًا انسي . لاني امتلي غيضا ما وحزنا علي المسيح الذي لي . وتاملوا انتم معي لاني
اذا شاهدت مسيحي مهانا الذي كان من اجله حقيقيا ان يكرم خصوصيا من اجل هذا . فقل
لي من اجل هو مهان . فانه من اجلك ذليل . ومن اجل انه خالق فقد يعتني بخليقته .
ومن اجل هذا هو عندك تحت زمان لكي يتعهد الذي تحت الزمان . وانه يحتمل كل شي
ويقبل كل شي . وماذا هو لم يكن من العجب . لانه قد احتمل الطاقي . وتكبد بصاقات .

ونداق صبرًا من اجل مداقتي . ويحتمل والان مرجومًا . لا من الموذيين فقط . بل ومنكم انفسكم الذين يظنونكم ذوي عباده حسنه . لان الذي يخاطب عن من لا جسم له . ويستعمل اسما جسدانيه . عساه ان يكون من الموذيين والذين رجموا . ولكني اقول ايضًا العفو للضعيف . لاننا نرجم لا مختارين . بل بانه ليس لنا ان نتكلم بمعني آخر . وتسمي نورًا وتدعي نارًا . لكنك لست محسوسًا . بل لانك تنقي الهيولي الخفيفه والرديه . وتدعي سيفًا لانك تقطع الاشر من الافضل . ومدري لانك تصفي البيدر وتنقي منه كل ما كان خفيفًا وريحيًا . ومهما كان ثقيلًا تخزنه في المخازن . وفاسًا لانك تقطع التينه التي لا تثمر لها بعد ان اطلت اناتك عليها كثيرًا . ولانك تقطع اصول الشر . وبابًا من اجل المدخل . وطريقًا لانك سيرنا المستقيم . وخروفًا لانك ذبيحه . ورئيس كهنه لانك تقدم الجسد . وابنًا لان لك ابًا آخر علي الالسن . وها قوم يهتامون علي المسيح ايضًا ثانيه . بل علي الذي اهلت ان اكون كاروزًا للكلمه . لا صرن مثل يوحنا صوتًا هاتفًا في البريه التي كانت قديمًا قفرًا ولا ماء فيها . والان هي مسكونه جدًا . لكن ما كنت اقوله ساعود جريًا الي المقال الذي لي . من اجل هذا كانوا يتبعونه خلق كثيرون . لانه يتنازل للامراض التي لنا . ثم من بعد هذا زعم . ان الفريسيون تقدموا اليه مختبرين له قايلين . ان يكون للانسان يطلق او يسرح امراته علي كل حال . ها الفريسيون يختبرون ثانيه . وها الذين يقراون الناموس ليس يعرفون بالناموس . وها الذين هم معلمون للناموس الي معلمين اخر محتاجين . والذين كانوا يختبرون عن القيامه وناموسيين يسلون عن الكلام . وهيروديسيين عن الخراج . واخرون عن السلطان . وآخر عن التزويج كان يسل باري التزويج الذي لا يختبر . الذي الف من العله الاولي جنس الناس هذا اجمع . فاجابهم قايلًا . الم تقراوا ان الذي صنع منذ البدي ذكرًا وانثي صنعهما . لانه يعلم ان يخلص بعض المسايل . وبعضها يبكمهم عنها . مثل لما سيل باي سلطان تصنع هذه الامور . من اجل وفور قلة ادب

الذين

الذين سالوه . فاجاب هو عوض المسله . معمودية يوحنا من السما كانت ام من
الناس . وعرقل من الجهتين الذين سالوه . كي نستطيع ونحن ان نتشبه بالمسيح اذا
اذا طبونا اناس بفضول نبكمهم ونحل قباحة مسايلهم بجواب مسايل في غير مكانها .
لاننا ونحن حكما وفي الامور الباطله . لانّ قد يمكنني وقتٍ ما انّ افاجي باحور السفاهه .
اذا ابصر مساله محتاجه الي فكر حينيذٍ ما يستنكف ان يجيب الذين سالوه باجوبه ذات
عقل . وهذه المسله كان الذي سالها علي حسب رايي مكرمًا للعفه . وفتحبر اجوابًا
ادًّا للبشريه . العفه التي ها انا اري الكثيرين جانحين عنها . بانتصاب ردي . وناموسهم
غير متساوٍ وغير ممهد . لان لايه حال امّا الانثي نعاقبها وامّا الذكر فاطلقه .
(يعني بالعقوبه الطلاق) لانهم زعموا ان الامراه اذا وامرت موامره رديه عن مضجع
رجلها فقد فسق بها . لاان زجرات الناموس ها هنا مُرّ . لانّ الرجل اذا زني علي
امراته يكون غير نجب . لكنّي لست اقبل هذا الاشتراع ولا امدح هذه العاده . لان رجالًا
كانوا الذين اشترعوا هذه السُنّه . ومن اجل هذا اصلحوا الاشتراع علي النسا . لانّ قد
اعطوا الابا الاولاد ان يكونوا في سلطانهم . واهملوا ما هو اكثر مرضًا غير مداوي . فامّا
الله فلم يصنع هكذا . بل زعم اكرم اباك وامك . الوصيه التي هي موضوعه واوله
في المواعيد . كي يصير لك حسنًا . ومن يكلم اباه وامه بكلام ردي يمات موتًا . فقد
اكرم الخير بالسويه . وعاقب الشر . وبركة الاب تثبت بيوت الاولاد . ولعنة الام
تستاصل الاساسات . اما ترون تساوي الاشتراع . خالق واحد للرجل والمراه وكلاهما
تراب واحد . وصوره واحده . وناموس واحد . وموت واحد . وقيامه واحده .
وبالسويه قد صرنا من رجل وامراه . ويجب من الاولاد للوالدين دينًا واحدًا . فكيف
اذًا تستمحج انت العفه وما تستوردها . وكيف تطلب ما لم تعطينه . كيف الجسم
متساوي في الكرامه وتشترع عليه بغير مساواه . وانّ كنت تراقب الامور التي هي
اشرّ . فانظر اخطات امراه فكذلك آدم . لانّ الحيه خدعتهما كليهما . ولم يوجد
احدهما اضعف والاخر اقوي . لكنك تفتكر ما هي افضل من هذه . والمسيح بالامه قد

يعني ادم

قوبل
كراس
١

خلّص كليهما. ومن رجل صار بشرًا. وهذا صنعه. وعن امراه وعن رجل مات. والمرا
بالموت تخلصت. ولعساك تظن ان الرجل اكرم. لانه دُعي انّه من ذريّة داود
لكنه قد ولد من بتول. هذا صَنعَه وعن النسا. فزعم اذًا يكون الاثنان
بمنزلة بشره واحده. وليكن للبشره الواحده الكرامه متساويه. فامّا بولص
فيشرع للعفه انموذجًا. كيف. وباي حال. هذا السر سر كبير. وانا اقول
انه قيل في المسيح والكنيسه. حسَنٌ بالامراه ان توقر المسيح بالرجل. وحسَن
بالرجل لا يهين الكنيسه بالمراه. لانّه زعم المراه فلتوقر الرجل والمسيح. ولكن
والرجل يهتم بالمراه لان والمسيح يهتم بالكنيسه. بل فلننسهبن في تلخيص الفصل
ايضًا قليلاً. احلب لبنًا فيصير زبدًا. افحص فلعلك تجد في هذا المعني شيًا آخر
اكثر تغذيه علي حسب رايي. انّ المقال هاهنا يمنع عن تثنية الزواج. لانه
ان يكون لنا مسيحين فليكن لنا رجلين وامراتين. ولكن ان يكن لنا مسيح واحد.
وهو راس واحد للبيعه. وبشره واحده. فلننقل الثانيه. وان كان الثاني
يمنع عنه فما الجواب في الثالث. فالاول ناموس. والثاني مسامحه. والثالث
اما ده عن الناموس. ومن يتجاوز هذا الحدّ فذلك خنزيري. مثل الذي لا يوجد
لشره انموذجات كثيره. لانّ الناموس علي كل علّه يمنح الطلاق. فاما المسيح فليس
يجيزه علي كل علّه. بل انما يتسمح انّ يفارق الزانيه فقط. واما باقي الامور كلها
فيامر ان يتفلسف فيها ويحلم عنها. وانّما آمر بتسريح الزانيه لانها تلعن الجنس.
فامّا في باقي الامور فآمر انّ نصبر ونتفلسف. فاصبروا وتفلسفوا يا كافة
الذين قبلتم نير الزواج. فانّ ابصرت اثباتات ومكاينات فاقلع عنها الزينه.
وان رايت لسانًا متجاسرًا فاردعه. وانّ ابصرت ضحكًا زنائيًا فاصنعه يكون عبوسًا.
وانّ ابصرت نفقه وشربًا يتجاوز الحدّ فقصّه. وانّ شاهدت دخولاً وخروجًا
في غير وقته فقيّدها. وان رايت عينًا طماحه فعاقبها وانّ تقطع بتزيج ولا
تفرق. لانّ الذي يقطع يعطب عطبًا ماغامضًا. والمقطوع. وذلك انّه زعم.
فليكن

فليكن لك عين مايك خاصه ولايشاركك فيها احد اجنبي . ولتناجيك مهرة افراحك .
واناة صداقتك . ولاتصيرانت نهراً خبيثاً . ولا تحرص ان ترضي امرات افضل من
ان ترضي امراتك . فانّ املته الجبهة اخري فكاني بك تشترع لعضوك الفجور .
لانّ هكذا قال المخلص . وما ذا صنع الفريسيون . ظهر لهم القول صعباً . لانّ وامور
اخري من التي هي حسنه لم ترضي الفريسيين الذين كانوا في ذلك الوقت . ولا الذين
هم في الاجل . لان ليس الجنس فقط يصلح الانسان فريسياً . بل والمذهب . لاني
هكذا اعرف . ان يصير فارسياً ومصرياً من يحسب مع هذين بالنيه . فماذا اجاب
الفريسيون . زعموا انّ يكن هذا هو السبب مع الامراه فما التزويج موافق .
اتاملت الان هذا ايها الفريسي . ان التزويج غير موافقاً . وكيف لم تعرفه
قبل هذا . لماكنت تبصر الترمل واليتم والميتات التي في غير وقتها . وتصفيق
الانواح التي علي غزل . او القبور التي في المقصورات . وثكل الاولاد . ورداوة
الاولاد . والربا الذي لا فراغ له . ولاوالاه . وكل الهجو الذي عن هذه الامور والندب .
لان الاحزان يقال عنها . الامراة يوافق التزويج . وانا اقبل ذلك . لانّ التزويج
كريم والمضجع غير دنس . لكنه يوافق القنوعين . لا الذين لايشبعون .
والموترين ان يكرموا البشر اكثر من واجبها . لانّ اذا كان شهوة التزويج
هذا فقط ان يكون تزويج . وزواج وتناسل اولاد . فالتزويج حسن . لانه
يجعل الذين يرضون الله كثيرين جداً . فاما اذا اضرم الهيولي وطرحها علي
الشوك ووجد كانه سبيل الي الشر . حينيذٍ اقول انا . انّ التزويج غير موافق .
حسن هو التزويج لكن لي بس فقط ان اقول . ان والبتوليه اعلا منه . لانّ
ليس يوجد شي كبير مثل البتوليه . لايكون احسن من كل حسن . فلا يصعب
عليكم معشر اللواتي تحت النير . لانّ يجب ان يطاع الله اكثر من الناس .
لكن ليرتبط بعضكم ببعض . والعواتق والنسا . وكونوا واحده بالرب
جمالاً بعضكن لبعض . لم يوجد انّ تكون غير متزوجه لو لم يكن زواج . لانّ

تصيير بيد السماء

من اين كانت تقدم الي هذه الدنيا عدرا . ولاكان يكون الازدواج نزيها ولم يقدم
كفو بان بتولا لله وللدنيا . اكرمات والدنك التي صرت منها . والكرمات التي من
الامام ووالده . فاما فالدة فليست . لكنها عروس للمسيح . فاما الحسن الظاهر
فليس ينكتم . واما الغير ظاهر فالله يبصر . كل مجد ابنة الملك باطنا ملبسه
هدبا ذهبيه وموشاه . اعني اعمالا نعم وعلوما . والتي تحت النير فليكن فيها نصيب
للمسيح . والبتول لتكن كلها للمسيح . فهذه لا ترتبط البته بالعالم . وتلك لا
تصير جمله للعالم لان الامر الذي هو يجوز للتي تحت النير . ذلك هو بالجملة للبتول .
لانها قد اختارت سيرة الملايكه ورتبت مع الذين لا قرين لهم . لا تنهبطي الي
الشر ولا تنحدري الي الهيولي ليلا تجامعي من الهيولي . وان كنتي تبقين
بمعني اخر غير متزوجه . عين تزني ما تحفظ البتوليه . ولسان يزني يجامع
الخبيث . قدمان يمشيان في غير الامور الواجبه يشكيان بالمرض . فليتبتل الفكر
ولا يطيش ولا يضل تايها من موضع الي موضع . ولا يخطر فيه رسوم امور رديه .
فان ذلك الرسم هو جزو من الزنا . ولا تصنع للنفس الممقوتات اصناما . فاجابهم .
ما يحتمل الكل هذا القول . بل الذين قد اعطوا . اما ترون علو الامر عما قيل . كاد
يوجد لا يطاق ولا يحتمل . لان كيف يكون لا افضل من البشر المولود من
بشر . ولا يلد في بشر . وكيف لا يكون ملايكيا . ان تكون النفس مربوطه
ببشر ولا تعيش بحسب البشر . بل تكون اعلا من الطبيعه البشريه . قيدت
النفس الي العالم لكن الفكر رقاها الي الله . البشر تقلتها والفكر جنحها .
البشر قيدتها لكن الشوق حلها . ايتها البتول امتدي بجملتك بالنفس الي الله .
لان هذا ذاته اشترعه للرجال والنسا . وماذا كاد ان يبين لك شي من باقي
الاشيا الحسنه . وكل ما هي عند الاخري جميله . لا جنس لها ولا تروه ولا منبر
ولا اقتدار ولا الجمال المنضور بالتلون وتركيب الاعضا . لعب الزمان والسقم
ان كنت قد سكت كل قوة شوقك الي الله . اللهم الا ان يكون لك المحبوبات

شيين

٢١

شبين التالف والباقي • والمشاهد والغير مشاهد • ياليت شعري قد جرحت بهذا
المقدار بالسهم المختار • وتاملت جمال الختن حتي انك تستطيعين تقولين من التهليل
والغنا . الختني انك حلاوتي وكافة شهوتي • اما ترون كيف المياه التي يحويها الكيزان
الرصاصيه • انها من ضغطتها وعصرها اياها جدًا ترتفع الي موضع واحد حتي ربما بهذا
المقدار تجوز طبيعة الماء • حتي انها ترتفع الي فوق • ويدفع بعض المياه بعضًا الي
العلو ادايمًا • كذلك ان ضغطتي الشوق وحققتيه وقارنتي الله بجملتك فالي فوق
تكونين تتعلين • وما تسقطين الي اسفل وتتسكبين • وتبقين كلك للمسيح . الي حين
تشاهدين المسيح ختنك • احفظي ذاتك غير منظوره ولا ملموسه بقول وفعل وسير
وافتكار ومشي . لانّ من كل جهه يحتال عليكي الخبيث • وهو يترقب كل امورك اي
موضع يضرب • واي موضع يجرح • ليلا عساه يجد موضعًا قد انكشف وتعدّ للجراح •
وبحسب ما يبصرك كثيرة الطهاره بقدر ذلك يماحك كثيرًا • وجدًا يدنسك • لانّ الدنسات
هن اشف طهورًا من اللبان البهي • ولا تقتادعين عينًا • ولا اضحك ضحكًا • ولا عادة
ليل . ولا هلال ليل • لانّ الذي تستجر قليلًا قليلًا ويسرق فمضرته غير مستشعر بها في
العاجل . لكن باخره يوول الي راس الشر • زعم . ما يطيق هذا القول بل الذين وُهب
لهم . اذا سمعت الذين قد خولوا لا يعرض لك رايًا هراطيقيًا • ولا تستحضر الطبايع •
ولا الترابيين والروحانيين والوسطانيين • لانّ قد يوجد قوم . هكذا منتصبين
انتصابًا رديًا . حتي انهم يظنون • ان قومًا • ما هم من الطبيعة الهالكه الرديه بالجمله •
واناس من الطبيعه التي تخلص • واناس هم علي هذا الامر كيف ما استقادهم اختيار
نيتهم . اما الي الاردي واما الي الافضل • واما ان يكون في واحد خاصيه يفضل
بها علي الاخر او ينقص • وانا اقبل ذلك • ولكن بالحري ما يقتنع الخاصه للكمال • او الفكر
هو المستعدي عليها • كي توول الطبيعه الي عمل • لانّ كانّ جمر النار اذا قرع بها علي
حديد وبعد ذلك الحديد يلبث حديدًا • واذا سمعت • الا الذين خولوه • فاضف
اليها . قد اعطي • ولكن للموترين • والذين يسيرون انما علي هذا المعني . لانك اذا سمعت .

لالمن يشا ولالمن يجري . بل لمن يرحمه الله . اشير عليك ان تعتقد هذا المعتقد . لان اذ
يوجد قومًا ما يستعظمون برايهم بهذا القدر بتقوياتهم . حتي انهم ينسبون كل الامر الي
انفسهم . ولا ينسبون شيًا الي من صنعهم وحكمهم ورازق الخيرات . فالقول يعلم
هولاي ان ولا ايتمار بالراي الصالح محتاجًا الي العون الذي من الله . بل واختيار الواجبات
نفسه . هو شي ما الاهي . وموهبه من مودة الله للبشر . لانه ينبغي ان يكون الذي
في نيتنا طاهرًا . والسلامه من عند الله . فمن اجل هذا . لالمن يشا . اي ليس من يشا
فقط . ولالمن يجري وحده . بل وللذي يرحمه الله . ثم اذ ولا ايتا هو من الله . وصنع
كل امر علي الله . وبواجب اذًا بحسب ما تحاضر عدوًا . وبقدر ما تجاهد . فانت محتاج
الي الموتي لاكاليل . لان ان لم يبني الرب البيت ففي الباطل يتعب الذين يبنونه .
وان لم يحفظ الرب المدينه ففي الباطل قد يسهر الذين يحرسونها . فزعم . اني انا اعلم
انه ليس الجري للاخفا . ولا القتال للاقويا . ولا الظفر للمحاربين . ولا الموافي للسايرين
في البحر سيرًا حسنًا بحذاقه . بل الله هو يصنع الظفر وان يسلم المركب الي الموافي .
وهذا قد يقال علي معني آخر ونفهم . ولعل الذي هجس في المقولات هو ضروري ان
يضاف اليها . كي امنحكم الغني الذي لي . طلبت ام ابني زبدي لانه عرض لها شي
من محبة الاولاد . ولا ستجم الهاجدًا المطلوبات . لكنها معذوره لفرط المحبه .
ويجب عليها ان تنصح لاولادها . لان ليس شي يكون اكثر تحننًا من الوالده . وهذا
اقوله كي اشترع ان تكرم الوالدات . فاذًا والدة ذنيك طلبت من يسوع . ان يجلس
احدهما عن ميامنه والاخر عن مياسره . لكن ماذا اصنع المخلص . سال بديًا . العلكما
تستطيعان ان تشربا الكاس التي كان هو عتيد ان يشربها . فلما اعترفا بهذا قبله
المسيح . لانه كان عالمًا ان وهما سيكملان بذلك الكاس . بل عتيدين ان يكملا . فماذا
قال . اما الكاس فتشربانها . واما ان تجلسا عن ميامني ومياسري فليس لي ان
اعطي هذا . بل للذي قد اوتوه . فاذًا ليت صفوة العقل المستوليه شيًا . ولا التعب .
ولا المنطق شيًا . ولا الفلسفه شيًا . ولا الصوم شيًا . ولا النوم علي الحضيض . ولا السهر .
ولا

ولا اهمال ينابيع الدموع . ليس ولا واحد من هذه شيًا . بل بحسب حفظ ما بورك
ارميا النبي من بطن امه . وغرب اخرون من البطن . فاخشي ليلا يعترض فكرنا
قبيح . اي كان النفس متسين في صقع آخر ثم ارتبطت بعد ذلك الي هذا الجسد .
واعني بالذين اخذوا البنوه السيه التي هناك . فاما الذين شجبوا فهم كافة الذين
استاروا بالسيرة الرديه . لكن اذ هذا المعتقد قبيح جدًا . وليس بكنيستي . لكن
فليلعب اخرين عن المعتقدات . واما نحن فليس لنا صوابًا ان نلعب بهذا . واضيف
هناك مقالة للذين خولوه . اي الذين كانوا مستحقين . اعني الذين كينونتهم علي ما
صاروه . ليس انهم اخذوه من الاب فقط . بل وهم لذاتهم قد اعطوه . لانه قد
يكون خدم الذين خصيوا من بطون امهاتهم . وما يتلوا ذلك . لقد حاولت ان اقول
عن الخدم مقالًا اجزلاً جدًا . لكن لا تفاخروا فخارًا ما عظيمًا يا جماعة الخدم الذين من
الطبع . لان عفتكم ليست اختياريه . لانها ما وصلت الي الامتحان . ولا اختبرت
عفتكم بالتجربه . لان الصلاح الذي من الطباع هو غير مجرب . واما الذي من الاختيار
فذلك ممدوح . واي حمد للنار ان احرقت . لان الاحراق لها من طباعها . واي حمد
للماء انه ينحدر الي اسفل . لان هذا قد اوتيه من الذي خلقه . واي فخر للثلج بالبروده .
او للشمس بالضياء لانها تضي وان كانت لا تريد . هب لي ان تكون تختار الامور ما
هي افضل . وكيف تهب لي ان كنت صرت بشره فصيرت روحانيًا . وان كنت مجدوبًا
من البشره الرصاصيه فتجنحت وطرت من تلقا النطق . وان وجدت سمائيًا فصرت
متخافضًا . وان كنت ربطت الي بشره فظهرت فوق البشره . فاذًا اذ هو ي
للامور الجسدانيه ليس هو مديح بليغ . لكني اطلب الي الخدم الا يزنوا في معني
اللاهوت . وان كنتم قد قربتم الي المسيح . فلا تهينوا المسيح . وان كنتم قد اكملتم
بالروح . فلا تجعلوا الروح نظيركم في الكرامه . لقد زعم بولص . ان كنت ارضي
الناس ايضًا . اذًا ما كنت للمسيح عبدًا . ولو كنت اعبد خليقه لما كنت اسمى
مسيحيًا . لان فيما هو المسيحي مكرمًا . اليس ان المسيح الاهه . اللهم الا يعرض في

هذا بما اني انسان لامتزاجي به بالمحبه . وذلك اني اكرم بطرس لكني ما ادعا بطرسيًا .
واوقر بولص لكن لست ادعا بولصيًا . اني ما ارضي انسب الي اناس . وقد صيرت
منسوبًا الي الله . لكن هكذا ان تكن كنيته . الا ومن اجل هذا تدعي مسيحيًا .
وتسمي وتبقي في الاسم . او في الامر . فاما ان تكون تحب المسيح . ومن اجل هذا
تدعا منه . فما تادي اليه شيًا اكثر من الالقاب . علي انسانًا ما من مهنه ما والامر
اما ترون الي هولاي الذين يحرصون في لعب الخيل في الميادين الذين يسمون من الاكوان
ومن الاحزاب التي هم منتصبون لها . وانتم تعرفون الاسما وان كنت انا ما اقولها ان
كنت تدعي مسيحيًا هكذا . فان التكنيه لك صغيره جدًا . وان كنت تتجمل بها . وان كنت
استشعرته لاهًا . فاوضح بالاعمال ما استشعرته . وان يكن الله خلقه فهاانت اذًا
لان عابد الخليقه دون الخالق . وان يكن الروح القدس خلقه فباطلاً تعمدت .
فلا تكون من الجهتين صحيحًا . بل ومن كليهما . فاما من جهت الواحد فتعطب بالجمله .
وهب يكون التالوت جوهر واحده ومتشابهه من كل جهه . وتلصف شفوفًا
بالسويه . فمهما اصاب شيًا من الجوهر . فقد تلف كل فخر الجوهر وجماله . كذلك اذا
اهنت الابن كي تكرم الاب لن يقبل كرامتك . لان الاب لن يمجد باهانة ابنه . وان
يكن ابن حكيم يسر اباه . فكم بالحري كرامة الابن لا تصير واصله الي الاب . وان تقبل
هذا المقال قول سليمان . يا بني لا تشرف باهانة ابيك . فمن البين ولا الاب يكرم
باهانة ابنه . وان كنت تهين الروح القدس . فليس يقبل الابن كرامتك . لا ان
كان ليس مثل ابن من الاب . لكنه من ذلك الاب نفسه . اما تكرم الكل . وما
تهين الكل . حتي يكون لك عقل تابعًا اياك . الا انني لست اقبل نصف حسن ديانتك .
لاني اشاك ان تكون بجملتك دينًا . بل بحسب ما اعفوا للالم . لاني اتوجع وعن
الذين يبغضونا . انت عضوًا لي . وان كنت الان تقطع ذاتك . ولعلك تصير
عضوًا . ومن اجل هذا اتكلم كلامًا وادًا للبشريه . وهذه الاقوال بعينها من اجل
الخدم . كي يصيروا عفيفين في الاعتقاد في اللاهوت . لان الخطيه التي في معني

الجسد . يقال لها زنا وفسق فقط . وكلما اخطات اذا تدعا بهذا الاسم . ولاسيما
النفاق في الاعتقاد في اللاهوت . ولعلك تطلب من اين تعطي الحجه في هذا . زعم
زنوا بضايعهم . اما تبصر فعل زنا غير مستحيي . وزعم . انهم كانوا يفسقون بالخشبه .
اما ترى ان ودياناتٍ ما فاحش . فسبيلك اذا لا تفجر بالنفس . وان تكون بالجسم
عفيفاً . فلا توضحن العفه في الجسد . عفة الجسد التي هي بالتكليف من الامور التي
لا تعف عنها . التي انت قادر ان تزني معها . ولم قد جعلتم الديانه لكم . ولم الكل .
يتهورون الي ما هو اشر . لا ان ذلك نفسه . منذ الان ان يدعا احد خادم راق
منافق . صيروا مع الرجال . اعقلوا لو صار الا في اخر الاوقات شياً رجلياً . اهربوا من
الامور النسايية . ولا ينضاف الي الاسم القبيح سوء الكرازه . أتو ترون ان نطنب .
في المقال ايضاً . ام تشبعكم الاقوال التي قيلت لكن لتكرموا في ما يتلوا المقال . لان القول
ذو مديح . لانه زعم قد يكونوا خدم الذين ولدوا من بطون امهاتهم هكذا . ويكون .
خصيان الذين اخصوا من الناس . ويكون خصيان الذين خصوا ذواتهم من اجل ملكوت .
السموات . من يستطيع ان يحتمل فليحتمل علي حسب رايي ان المقال بابعاده من الاجسام
رسم بالاجساد ما هي اعلا منها . لان بايقافه المقال . حتي الخصيان الجسدانيين .
لعساه مقال صغير وضعيف جداً وغير اهل للمقال . لكن ينبغي لنا ان نميز شياً هو .
للروح اهلاً . وذلك ان الخصيان الذين من الطباع يظنون يجنحون الي الخير .
واذا قلت الطبيعه . فلست اهون النيه . بل ارسمهما كلاهما الخاصيه التي للخير والنيه .
المقتاده من الفعل . الخاصيه التي من الطبيعه . وقد يوجد قوماً ما . الذي القول يطهرهم
ويقطع عنهم الالم . واظنهم الذين يخصون من الناس . لان اذا قطع المقال التعليمي .
الافضل من الشر فينقي ذاك . وشرع هذا . مثل قوله . اجنح عن الشر واصنع الخير . انه
يختلق العفه الروحانيه . الا اني امدح هذا الاختصا . وامدحه جداً . وللمعلمين والمتعلمين .
بالسوا . لان اوليك قطعوا قطعاً حسناً . وهولاي قطعوا قطعاً احسن . ويكون من اخصوا
ذواتهم من اجل ملكوت السموات قوم اخرون . لم يجدوا معلمين . فصاروا لانفسهم معلمين .

ممدوحين . لانه زعم بما عليك الواجب ام ولا اب . ولا علمك قسيس ولا اسقف . ولا
آخر من الذين قد ايتمنوا علي التعليم . لكنك انهضت النطق الذي فيك . بل اشعلت
حرارة الخير باختيارك . فخصيت ذاتك الحر تومه . وقطعته لذاتك . وصرمت
آلة الشر . ونفيت الرديله . واقتنيت الفضيله ان تكون عاده . حتي عما دون قليل
تصير غير مستمكن ان تتدحرج الي الامور التي هي للشر . ومن اجل هذا امدح هذا
الاختصا . ولعل اكثر من باقي انواع الاختصا . فليحتمل المطيق اي حظ تشا . ارتضي
اما ان تتبع المعلم . واما ان تصير لنفسك معلماً . شي واحد قبيح فقط . الا يقطع
الانسان الالم . فاما الذي يعلم ان ينقطع الالم فلا يفضل عليه شي . لان الذي يعلم
خلقة الله هو . وانت من هناك صرت . فان سنح ان تخلس المعلم والنعمه . اما
ان يصير الخير لك . لانه خير هو بالسوا . ان نقطع فقط ذاتنا من الالم ليلا تفرع الي
فوق جرتومة ما من المره فتوذينا . فلنبتغي الصون فقط ولنوقر الرسم الاول
فقط . اذا قطعت الالم الجسدانيه فاقطع والنفسانيه . لان بحسب ما ان النفس
اكرم من الجسد . بقدر ذلك اشد كرامة ان يطهر احد نفسه من جسده . وان
تكون طهارة الجسم من الامور الممدوحه . فتامل لي كم اعظم واعلا طهارة النفس .
اقطع عنك النفاق الاريوسي . واصرم اعتقاد صابليوس الردي . ولا تقرن اكثر
مما الامر مقرون عليه حسناً . ولا تفصلن فصلاً رديا . ولا تفصل التلثه بمنزله
واحد . ولا تجعل تلثة طبايع اجنبيه . والواحد اذا فهم فهماً حسنا ممدوح .
ولذلك اذا فصلت التلثه حسناً . اذ كان الفصل واقعاً علي الوجه لا علي اللاهوت .
هذه الشرايع اشترعها للعالمين . وامر بها القسوس . وبهذه للذين قد ايتمنوا ان
يروسوا . اعنوا المقال اجمعين . يا جماعة الذين لكم من الله اقتداراً علي المعونه .
عظيم هو ان يمسك انسان القتل . ويعاقب الفسق . ويردع السرف . واكثر واولي
ان يشترع احد جمال الديانه . ويمنح مقالاً صحيحاً . وان يستطيع المقال الذي لي مقاتلاً
عن التالوت بهذا المقدار . مثل ما يستطيع الامر ان ابكت الذين هم علي المعتقد الردي .
وان

وانّ عنت المطرودين. وانّ مسكت القاتلين. وانّ منعت القتل. لست اعني الجسدي
بل النفساني. لان كل خطية هي للنفس موت. فلنقف مقالنا. حتي هذه الخطوب
ولنصر علي الذين حضروا من رجال معًا ونسوان. روسآ ومروسين. شيوخ
وشبان وعذاري. كل قرن. كل جنس. لانكم تحتملون كل ضسارة. اعني التي في
الاموال وفي الاجساد. ضسارة واحده لا تقبلوها ان تخسروا اللاهوت.
اني لساجد لاب. ساجد لابن. ساجد لروح قدس.
بل فاسجد انا قبل الكل القايل هذه الكلمات وبعد الكل.
ومع الكل بالرب نفسه الذي هو مسيحنا. الذي له المجد
والعزة الي اخر الدهور حقًا امين

الميمر التاسع عشر

لابينا الجليل في القديسين غريغوريوس التاولوغوس النازينزي
خطبه أمليت علي اولاليوس الاسقف في سيام الراوون للقديس
غريغوريوس التاولوغوس

اقبلوا الكلام الذي لي وان كان دنيًا. وانّ كان ناقصًا نقصًا كثيرًا عن واجب
الرتبه. لكن علي كل حال. ان الله السيد عارف ان نغاير الرحمه بحكمة المنصف.
لانه يقبل غرس بولص مثل بولص. وسقي ابلوس. وفلسي الارمله. تواضع
العشار. واعتراف منسا. اقبلوا مقالًا اختلاقه حديث. وعلي داع اختراعه
جديد. واقبلوا قولًا ذا شكر عن العجايب المنظورة. لاننا وانّ كنا قليلين
ودنيين في بني اسرايل. فليس شي يمنع ان نشكر شكرًا واسعًا. والصغار.
فاذا ما المديح الاكمل. فنوديه بلا شك لله الاكبر كمالًا. لكن نحن نقدم بحسب
الطاقه الشكر. فاذًا هللوا للرب تهليلًا جديدًا. لانه قد صنع امورًا عجيبه.
قد كنا نتموج لاننا نقاتل. كنا ندفع. فبعض الاسوا كانت في الحاضر عاجله.

وبدمضها كانت اجله . لكن من اوفق الزوبعه بمنزلة ريح هاديه . ومن الذي كسر
سلاحًا وسيفًا وحربًا . ومن الذي قبل ابانا المنفيين والطريحين . آليس انت ايها
الاله الذي فعلت هذه الامور . الرب عزيز قوي . الرب قدير في الحرب . هذا اقطع
بحرًا . هذا غدا شعبًا هاربًا في قفرٍ ومنحهم مطرًا مستغربًا . هذا انبع صخرًا .
هذا حارب عنهم عماليق بشكل يدين حرب سري لا يلفظ به . لان علي هذا قدرت يد
الكاهن مرفوعه علي الجبل . ومرسومه في الصلاه . الامر الذي لم تستطعه الربوات .
هذا هدا اسوارًا بلا قتال ولا حرب . ولكي اقول اخر الامر . هذا انكس جليات
الجبتري علي داوود الكبير . المتجبر والمتعظم وابن الجبابره . من اجل هذا نقول كلنا
اجمعون . مبارك الرب الذي لم يدفعنا صيدًا لاسنانهم . ونفسنا عبرت في وادٍ .
نجينا كعصفور من فخ القانصين . واشيا اخر من التي تنعم بها نفس مسرور بعظم
مواهب الله . لم ناتي لنلتقي سيفًا بل سلمًا . ولم نقدم لاهوان بالراعي الكبير المتقدم
في الجلوس علي المدينة البهيه . لاننا نعرف انه كريم . ونعرفه راسًا . وندعوه .
قديسًا . وان كنا مظلومين . فليكن فقط واذًا الاولاده . ومعتنيًا بكنيسته . قد ابحرنا
لزيادة الكهنه لا لاندارهم . ولتبكيت الاراطقه . لا لنقص المستقيمين الاعتقاد . ماذا
تزعم يا ابن داتان وابيروم . واية القايد الذي لا يرتدع . يا من اجترات علي موسي .
واطلقت يديك علينا مثل ما اطلقوا اوليك الالسن علي خادم الله . الم ترعب . الم
تخجل . الم تنتثر علي الارض لحمانك مفكرًا بهذه . ثم انك تبسط هذين اليدين علي الله .
ثم انك تقدم القرابين . ثم تصلي علي الشعب . اني لخايف ليلا ربما يضعك بهذا
المقدار سيف الله . او يسكن . فلم تمنح راعيك شيًا كبيرًا وضررت نفسك . اعظم الامور
بابعادك نفسك من نعمة الله . والان يا افضل الرعاه واكبرهم كالاً . هلم الي وتسلم
شعبك معنا . وقبلنا الذي ولاك عليه الروح القدس . الذي تقدمه ملايكه . الذي
قد امنت سيرته ومذهبه . وان كنت تربي الكرسي بمحن وتعويقات فلا تعجب . فليس
شي من الاشيا الكباير غير ممتحن . ولا غير مختبر . لان تقنع طباعًا للمتواضعين سهوله .

وللمتعالين

وللمتعاليين صعوبه ٠ آما سمعت القايل انه يجب علينا باحزان كثيره ندخل ملكوت السموات ٠ فلو انت قد عبرنا علي نار وماء ٠ واخرجتنا الي راحة نفس ٠ يا للعجب عند المسا حل نحيب ٠ وعند الصباح ابتهاج ٠ دع الاعدا يهدرون وينبحون كالكلاب باطلاً . فاما نحن فلا نكون متقاتلين ٠ علم ان يسجد للاب الاهاً . وللابن الاهاً ٠ وللروح القدس الاهاً ٠ بثلاثة اقانيم ٠ بمجد واحد وبها واحد . اطلب الضال . وقوي الضعيف ٠ واحفظ القوي . لا تستجر منك ان تكون لك دربه مثل هذه في الامور الروحانيه ٠ حسب ما يعرفها منك في الامور العالميه ٠ فاما التسبيح الشديد كالله . فاقبله من القواد الذين هم الكبر - الذي به نستطيع ان نطفي نبل الخبيث المحمي . ونمثل للرب شعباً مبدعاً ٠ امه مستقيمه وكهنوتاً ملوكياً ٠ بالمسيح الذي هو ربنا الذي له المجد الي الدهور امين

الميمر العشرون

لابينا الجليل في القديسين غريغوريوس التاولوغوس النازينزي قاله نحو الذين دعوه في البدي الي القسوسيه ولم يحضروا بعد رسامته وطلب في يوم الفصح قسو كنيسة نازينزو وان يعيد معهم فمنهم من حضر ومنهم من تخلف فعمل هذا الميمر في ذلك

كيف انتم ايها الاصدقا والاخوه بطيون نحو مقالنا ٠ وذلك انتم سريعون في الاغتصاب . وان تجذبونا عن قلعتنا التي هي البريه ٠ التي اثرتها انا خصوصاً اكثر من كل شي ٠ مثل معينه ووالده للارتقا الالهي ٠ وشغفت بها بواجب كصانعه اياي الاهاً ٠ موثراً اياها علي كافة الدنيا ٠ فكيف اذا ما هو يتم ان تاخذوه ٠ لما اخذتموه ها انتم تهربون منه ٠ وظهرتم انكم تحبوننا غايبين ٠ افضل من ان تتمتعوا بنا حاضرين ٠ كانكم قد احببتم ان تملكوا بالحري الفلسفه التي لنا من ان تنتفعوا بها ٠ اولعل يحسن لي ان اقول وهذا ٠ لقد صرنا لكم بمنزلة شبع قبل ان نذاق ٠ ونعطي بذاتنا خبزه . وما هو اعجز من ذلك ٠

لم تاووا ولا مثل الغربا اذا اجتمعتم معنا . حتي اقول شيا انقص عددًا من هذا . ياليتكم
لم توقروونا الشي آخر . كنتم وقرتمونا لهذه الوصيه ولا ارشدتمونا مثل مبتديين .
ولا جسوتمونا مثل جبانين . ولا عيرتمونا مثل مكرهين . بل جعلتم عيدنا بلا عيد .
واتثاقل بان اقول . لكن علي كل حال . فلنقل الحق . فقبلتمونا بمقدمات ليست صالحه .
وخلطتم الموسم ما هو اعظم من هذه بعبوسه . الذي ليس للغالبين اياي هنه
لذه . لاني ان قلتُ الحق . ليس للعاشقين هكذا هو سهل الاهوان به كل ما
غلب بسهوله . فاما الغالي فيشقي ويهون اذا اتضع لله . ماذا ترون . ان
اخذ معكم حكمًا او اصير قاضيًا . احضر القضيه ام اقبلها . لاني اومل ان اغلبك
حوكمت . واطلق القضيه عليكم بواجب . والذنب هو انكم لم تجازونا باز احدود
محبتنا . ولا قبضتمونا التكرمه عن حُسن اجابتنا . ولا وتقتمونا في العيد بالنشاط
العاجل . وبالجهد تستطيعون ان يوتق بكم هذه الدفعه . لانّ كل مبتدي هو اشد
حراج . وربما تجعلون احسّ . اقدم كرامه من الراعي القديم والجديد . ولم
توقروا الشيبه . ولم تستحروا الشبيبه . في الانجيل عشاءٍ بهي . وداعي مُستقبل .
واصدقا . والوليمه لذيذه . لانه عرس لابن . فاما ذاك فدعاهم معه . واما هم فلم
يواتوه . فانكر عليهم . ولا همني ما في خلل ذلك من اجل رداوة الخير . لكن ما هو
اخفض للقول . انه ملا الوليمه من قوم اخرين . فنتعود لكم اذًا من هذا .
انّ تصيروا الي انتم بهذا القدر مثل اوليك . كيف اقول بدعه . اتراكم اكثر علوًا
ام جبن . بحسب ان الذين دعيوا شغبوا علي العشا . وافتروا علي الداعي . فاما
انتم فلستم من اهل خارج . ولا من الداعيين الي العرس . بل انتم نفوسكم
دعوتمونا وربطتمونا الي هذه المايده الجليله . وارتيمونا بها الخدر . ثم خليتمونا .
لانّ هذا هو اعظم اموركم . فاحدكم الي حقله . وآخر الي فدان بقر الحديث
ابتياعه . وآخر الي المراه الجديد عرسها . واما الاخر فابتدر ثم الي شي
آخر من الامور الصغار . وظفرتم واكترتم بالخبز اكثر اكثراتًا . فمن اجل
هذا

هذا طفقت حزنًا وحين لاني لست اصحت عما اصابني . وقصرت قليلاً عن مقالي
الذي كنت مفتكرًا ان احمله هديه الي العرس . وهو اجل ما كان عندي واكرمه .
لكني ايها الاحبا قد بقيت لكم شيًا يسيرًا . لاني اكرهت من علي رايي . اذ قد
اخذت امرًا هو هكذا هو بهيًا ومرتهفًا . لسان المحبه . للسان الذي هو آخر ما يكون
للثلب . وامكن الاشيا اذا صارت غين . واتخذ حزنًا من الاهوان به الذي لم
يكن يومله . اي احد منكم قد جرح بعشق وهجم . فهو يعرف الدا . ويعذر لمن
قد اصابهم وقد صاروا قريبًا من هذه التهمه . لكن لي انا . وفي العاجل .
واجب لي ان اطلق لساني عليكم . ولا كاد ان يكون لي ساعه قط . وهذه التي
ذكرتها . لعلني قد اوجعت قلب هذه الرعيه الجليله فوق المقدار . خراف
المسيح الممدوحه . التي لمورثه الالهي . الذي بهم انت غني . وان كنت فقيرًا .
واظن ان تلك الكلمات بك تليق . جبايل سقطت عليك في زبودك . لان
مورثك هو عزيز عندك . واما اترك ان يكون شي اكبر منا للقليلين . للمحصنات
من المدن . ولا للرعيات الواسعه جدًا . ان القبيلة الدنيه في بني اسرايل .
والقليلين في الوف يهودا . وبيت لحم الصغير في المدن . التي المسيح ولد فيها
عاجلاً وسالفًا . معروفًا عملًا حسنًا ومعبودًا . الذي منهم يجل الاب ويساوي به
الابن ويمجد معهما الروح القدس . متساويين انفسًا . معتقدين الشي الواحد . لا
مخسرين للتالوت شيًا ولا يزيدون عليه . ولا يقطعونه مثل المستخرجين ومحاسبين
التالوت الارديا . الذين يحسبون الامور بشي هو اكثر قباحه من ان يكون حسنًا .
فينقصون الكل ويهينونه . فانتم ان كان لي عندكم شي تهبونه لي . يا فلاحتي . ويا كرمي .
ويا احشاي . بل لا بينا هذا العامي . الذي هو ولدكم ببشارة انجيل المسيح . فان وقرتم
وايانا فذاك واجب . لاننا قدمناكم في التكريم علي الكل . وانتم تشهدون . والذين
وليتموا لهذه . اما اقول ولايه واما خدمه . وان كان من يجب اكثر يجب له اكثر . فكيف
اكيل المحبه التي قد اخذتم بها مديونين . بل وقروا انفسكم انتم اكثر . والصور التي

ان تنعم عليها . ولن ايتمنكم . ولا ام المسيح . والاماكن التي من هناك . ماسكين الامانه التي تقلدتموها . والتي تربيتم فيها . والتي بها تخلصون . ويوثق بكم ان تخلصوا اخرين . فكونوا عالمين علماً حسناً . اننا لسنا تجاراً لكثيرين . فاما جمال الديانه فقد جعلوه يكون . ليس عندما يتكلم احد عن الله مرات كثيره . بل اذا صمت عن اكثر الامور . لان اللسان هو زلق للناس اذ لم يكن مدبراً بالمعرفه . ويعتقدون ان السمع اشد عطباً اذ كان يسمع القول دايماً . كي يعرف شياً خاصياً او يعلم عن الله . فاما الفحص فلا اشد تحريراً عن هذه فلنهمله لقهارمة العلم . فاما نحن فنجمل الديانه قليلاً بالعلم وبالعمل اكثر . وبالحري لحفظ النواميس اكثر من التعجب من مشترعها . موضحين المحبه التي عنه هاربين من الرذيله . طالبين الفضيله . عايشين بالروح . متزينين بالروح . جاذبين هذا الي المعرفه . بانين علي اس الامانه . لا خشباً ولا عشباً ولا قصب الهيولي الضعيفه والتالفه سريعاً اذا امتحنت بالنار . او لعل تظهرها . بل ذهباً وفضه جواهر كريمه . لاشيا الباقيه والثابته هذه اصنعوها . وبهذه مجدونا احضرنا امر غبنا . وان اغتنيتم باقوالنا . او يكون عندكم شي مقدم في التكريم اكثر منها . وصيروا اولاد الله طاهرين . لا معاب فيكم . بين جيل معوج ملتوي . ولا تلتف بكم حبايل المنافقين السايرين حولكم . ولا تنحزموا بجدايل خطاياكم . ولا يختنق علمكم بالهموم الدنيانيه وتصيروا غير متمرين . بل سيروا في طريق ملوكيه . غير جانحين يمنه ولا يسره . وسترشدون من الروح بالشفقه كعارضة . وامورنا ستصير الي ما هو احسن عاجلاً . وفي الكشف الذي هناك بالمسيح ربنا الذي له المجد الي الدهور حقاً امين

الميمر الحادي والعشرون

لابينا الجليل في القديسين غريغوريوس الثاولوغوس النازينزي قاله في المقابيين وهم اشمونيت واولادها السبعه

ماذا عندكم في المقابيين القديسين . فان هذا الموسم لهم . فهم عندنا الكافه غير مكرمين .

لان

لان جهادهم لم يكن بعد المسيح . الا انهم يستحقون الكرامه عند الناس اجمعين . لان صبرهم
كان عما تقدم عليه اسلافهم . والذين كانت قبل المسيح شهادتهم . فماذا كانوا يصنعون
لو كان بعد المسيح اضطهادهم . وكان بحسبه عنا تشبههم . والذين كان هذا مقدار
فضيلتهم . بغير هذا المثال . كيف كانوا لا يصيرون اشد باسًا . وقد تقدمهم هذا الرسم
المنحوا اليه اذا جاهدوا . ومع ذلك فها هنا كلام سري خفي . الا انه مقنع . ولجماعة
من كان لله من المحبين . وهو ان كل من استشهد قبل المسيح . لو لم يكن بالمسيح من المومنين .
لم يكن الي الشهاده من الواصلين . اذ كانت الدعوه كلمه الاهيه . وان كانت اشتهرت
اخيرًا في وقتٍ خصها . فقد كانت عُرفت قديمًا عند الذين كان فكرهم نقيًا . بحسب ما كان
قد بان ذلك في جماعةٍ قبله كانوا امكرمين . فليس لانهم كانوا قبل الصليب . وجب
ان يكونوا مطرحين . بل لانهم علي راي الصليب . وجب ان يكونوا ممدوحين . وللكرامه
بالكلام مستحقين . ليس لكيما يزدادوا مجدًا . واي مجد كان يزداد من فعله من نفسه
مجيد . بل ليتمجدوا المقرظون . ويتشبه بالفضيله السامعون . ويكونوا الي التساوي
فيها بذكرها مثل سنان ينخسهم ناهضين . هولاي يدل عليهم . من كانوا . ومن اين .
ومن اي مذهب وادب . في الابتدي نهضوا حتي صاروا الي هذا المقدار من الفضيله
والمجد . ووفدوا الي التكريم بهذه المواسم والمواقف في كل سنه . وصار لهم مجد
وظن في نفوس الناس كلهم يزيد علي الظاهر . فقد تبين حالهم لمن كان للعلم من
المحبين . ومن الغنا والتعجب فيه غير نافرين . الكتاب في بابهم الذي تبين بالفلسفه .
ان الفكر متمكن من الاعراض . وقادر علي دفع الاوصاب . ومتسلط علي الميل
الي الجهتين . من الفضيله والنقيصه . وقد استشهد بشهادات غير قليله . اضاف
اليها جهاد هولاي القوم المقدم ذكرهم . واما انا الذي اقوله في بابهم يقنعني .
وذاك ان ها هنا العازر الذي هو مقدم في الذين المواقبل المسيح . كما صار
استيفانوس المقدم علي من كان بعد المسيح اليمًا . وهو رجل كان كاهنًا وشيخًا اشيب
الشعر . واشيب العقل . يقدم الدابح في القديم عن الشعب ويصلي امامهم .

وقد يقدم الان نفسه . لله ذبيحه كامله فيها تطهير للشعب اجمع . مقدسه في الجهاد
نجيبه . وموعظه ناطقه وصامته . ثم قد قدم فتيه سبعه غايه لتاديبه وذبيحه
نجيبه مقدسه لله مرضيه . هي من كل ذبيحه ناموسيه ابهي واتقن . لان ما ياتيه التلاميذ
اذا احبب المعلم . كان ذلك من اوجب الاشيا واشدها في الناموس فرضًا . وقد كان هناك
فتيان شديد باسهم . عظيمه نفوسهم . اغصان حسيبه من والده نجيبه . يتبارون
في الجهاد عن الحق . ويرومون ان يكونوا عن اوقات انطيوخس بمعزل قد سما . ومنزل قد
علا . تلاميذ لموسي خصيصون بناموسه . وللعادات من اسلافهم علي الاستقصا حافظون .
وكان عددهم من الاعداد التي هي عند اليهود موصوفه . وبستر راحة الاسبوع مكرمه
ممدوحه . اذا تنفسوا كان نفسهم واحدًا . واذا انظروا كان نظرهم الي واحد قاصدًا . قد
عرفوا الي الحياه طريقًا واحدًا . وسبيلًا ناجحه . وهي الموت عن الله . اخوتهم في
النفوس ليست بدون اخوتهم في الاجسام . يباري الواحد صاحبه في المنيه . ويباريه
في الوفاه . فيا له من عجب . كيف كانوا الي العذاب يتسابقون كمثل الذين الي الكنوز محاضرون .
وكانوا في مناضلتهم عن الناموس الذي به تادبوا لا يخشون من العقاب الذي اورد عليهم
اكثر من ظلهم المتاخر عنهم منه . يخشون شيًا واحدًا فقط . وهو ان يكل المتمرد عن
عذابهم . فينصرف قوم منهم من التيجان خاسرين . وللاكاليل عادمين . فيفارقوا اخوتهم
كارهين . فيغلبوا الغلبة الرديه . ويكون عطبهم في فقد العذاب عنهم وفقدهم اياه .
وكان هناك والده جليده لاولادها . واده لله وامقه . تتقطع امشاوها بخلاف
الطبيعه . لانها ما كانت تتحنن علي اولادها اذا راتهم موجعين . بل كانت تغلق عليهم
لا يكونوا غير مولمين . ولا كانت تشتاق منهم الي المتوفين . بل كانت تدعوا ان يكون
الباقيون بهم لاحقين . وكان همها بالباقين اكثر من همها بالمخترمين . لانه كان عندها
شك في صراع المتاخرين . وكانت واثقه بحسن معاد المنصرفين . وكانت لاوليك الي
الله مسلمه . وبهولاي كيف تقضيهم اليه مهتمه . فيا لها من نفس شجاعه في جسم
حرمه . ويا لها من عطيه في اتصالها عجيبه . ونفس سمحت بها كريمه . ويا لها من

ذبيحه

دبيحة ابراهيميه . بل ان جسرت قلت اكبر . لانّ ذاك قدم واحدًا بنشاط . وانكان
وحيدًا . وكان علي الميعاد وكان عنه الوعد . والاعظم انّه لم يكن للجنس وحده . بل ولهذه
الدبايح كلّها ابتدًا واصلاً . واما هذه فقدّمت جمعًا من جميع الاولاد كبيرًا وطهّرتهم ذبيحة
تطهيرًا . فغلبت بدبيحتهم الكهنه والامهات . وقدّمتهم الي الدبح نشيطين دبايح
ناطقه . وحملانًا متسابقه . كانت تكشف لهم التديين وتذكرهم التربيه . وتكشف
الشمطه . وتجعل الشيب لهم وسيله . لا تطلب لهم خلاصًا . بل تحثّهم علي الصبر .
علي الوصب في المولمات . لا تري ان موتهم هو العطب . بل انّ الميتة تاخرهم عنه .
فما تناها ولا رخاها ولا لينها ما شاهدته من الات العذاب المقدّمات . والبكر المعلّقات .
والاوخاز والملازم التي بالمعاقبين دايرات . والحدايد التي تحتها تدق اللحوم . والاظفار
الحديد . والسيوف الحادّه . والقدور التي تغلي . والنار التي تلتهب . والسلطان الذي
يوعد ويتهدد . والشرطي الذي يضطهد ويستحث . ولا جنس من اولادها سلالتها مُبصر .
وقد راتهم في انواع العذاب . واعضاهم تتقطع . ولحومهم تتجرد . ودماهم تجري وشبابهم
يُطفي . ولا هالتها المهولات الحاضره . ولا المجزعات المنتظره . بل الذي كان اثقل
الاشيا عند غيرها في المعني وهو طول العذاب . كان ذلك اخف الاشيا عندها . لانّها
كانت تتمتع بما تراه . وتلتذ بالالم والتثاقل فيها . ولم يكن هناك اختلاف ما بدر من
العذاب . الذي لم يكن غيرهم يتهاون ببعضه فضلاً عن كلّه فقط . بل وكلام المضطهد .
كان في فنون يتردد . وهو يشتم ويتوعد . ويداري . وما كان من الاشيا لا يحركه في
التوصل الي ما يرجوه ويحبه . ومع ذلك فجاوبات الصبيه كانت لهُ . قد جمعت .
الحكمه والجلَد معًا . حتي وجب انّ يَستصغر عند صبرهم كل ما اتاه غيرهم من جميل اذ اجمع .
ويَستصغر الصبر ايضًا عند فهمهم فيما به كانوا يتكلّمون . فصار لهم وحدهم انّ يالموا هكذا .
ويتفلسَفوا ايضًا في المجاوبات . والردّ علي ظالمهم في وعيدُه وما يورِدُه عليهم من المجزعات .
التي لم يدعن لشي منها الغلمه الشداد . ولا والدتهم الجليله الجليده . بل وضعَت نفسها
فوق كل شي . ومزجت الود بالغيظ . وجعلت نفسها كفنًا لاولادها حسنًا . وتبعت من كان

هم متقدمًا . وذلك كان منها طوعًا في مبادرتها الي المنون . حتي لا يدنوا جسم نجس من
جسم جليد طاهر . وهي تري مع ذلك من سبق من اولادها . واما الاولاد فما كان احسن
خطابهم للمتمرد . ولقد كان ذلك احسن من كل مليح . وكيف لا يكون ذلك . وبهذا الخطاب
صافقوا المغتصب فصرعوه . ولقد كان خطاب والدتهم ايضًا احسن من ذلك في
تحريضهم اولاً . وفي ترتيبهم اخيرًا . وكيف كان خطاب الاولاد . فان شرحه جيد
لكم نافع . حتي يكون لكم مثالاً في خطاب الشهاده . مثل الصبر علي المجاهده في مثل
هذه الاوقات . فكل واحد منهم كان له كلام بحسب ما يقتضيه كلام السلطان .
وترتيب العقاب . وما كان يبعثه عليه المباهاه في امر نفسه . ونحن نذكر من ذلك
مثلاً هذا معناه . وهذا هو القول . يا انطيوخس ومعشر الوقوف . نحن لنا ملك
واحد هو الله . الذي منه كنا واليه نعود . ولنا من واضع الناموس واحد وهو موسي .
الذي لا نسلمه ولا نسبه ولا وحق ما ناله من الشدايد من الفضيله . ولا ما اتاه من
المعجزات . ولو تهددنا وتوعدنا انطيوخس سواك يكون اصعب مرامًا منك . فالصيانه
لنا والحرز فهو واحد . وذلك فهو حفظ الوصيه . ولا ينهدم الناموس الذي به تحصننا .
والجد لنا ايضًا فهو واحد . وذلك ان نتهاون بكل مجد يبذل لنا عن العدول عما نحن
عليه . والغني عندنا فهو شي واحد وهو ان ما ننتظره ونرجوه في المعاد . فليس
هاهنا شي نخافه غير المخافه التي من قبل الله ولا شي سواه . فبهذه الافكار قد
صافقناك . وهذا الراي لامتنا . قدامك من السلاح فليكن خطابك لفتية هذه
صورتهم . فانه ان كان هذا العالم لذيذًا عندنا . وهذه الارض التي كانت لاسلافنا
ولا صدقا ولاقربا والرفقا . وهذا الهيكل العظيم اسمه الشايع ذكره . ومواسم
ابانا واسرارنا . وغير ذلك من الاشيا التي نقدر [أتقنا] نزيد فيها علي غيرنا . وكان ذلك
اجمع من اللذيذات فلن يكن ذلك عندنا الذمن [الله] . ومن الجهاد الجميل . فلا تقدر فينا
سوي ذلك . فان لنا عالمًا آخر ارفع من المبصرات وانقي من الفانيات . وان لنا وطن
آخر . وهو اورشليم العليا الحصينه . وليست تراه التي لن يقدر يحاصرها انطيوخس .
ولا

ولا يامل الوصول اليها • وقرابتنا فهم المتفقه اخلاقهم • وقد كان من الفضيله
اتلادهم • واصدقانا فهم الانبيا وروسا الابا الذين عنهم اخذنا الرسم في حسن العباده •
ورفقاونا فهم الذين يجاهدون اليوم معنا وقدسا وونا في الزمان بالمساواه في
الصبر • والهيكل فلنا ما هو اجل منه • وذلك فهو السما • وموسمنا فهو الاجتماع مع
الملايكه • والسر عندنا فواحد عظيم جليل خافٍ عن جماعه • وهو الله جلت قدرته
الذي اليه نحوا ما هاهنا من الاسرار • فاكفف عن ميعادنا بالصغار وما لا قدر
له • فلسنا نقبل كرامه بهوان ولا ربحًا بخسران • ولا تجارة تؤول الي شقوه
وخسران • فامسك عن وعيدك ايانا • ولا توعدنا نحن بالتبكيت واشهار ضعفك •
واضفنا الي ذلك مجالس الحكم الذي عندنا • فلنا نحن نار يُعاقب بها من يقصدنا •
أتظن ان جهادك مع امم ومدن وملوك جُبنا • منهم من يظفر • ومنهم من ينهزم •
لان مناضلتهم ليست علي مثل ما نصدر نحن عنه واعظم انك انما تعاند ناموس الله •
وتصاف الصحف التي انُزلت من عنده • وهي مما لا ينكسر • وتوخر سنن ابا قد اكرمها
القول والزمان • وتبارز اخوه سبعه بنفس واحده مرتبطين • وهم عتيدون
ان يهزموك سبع دفعات • ولو ظفرت بهم لما كان ذلك عظيمًا • وهزيمتك منهم
فضيحه لا تزال تشهرك جدًا • واعلم اننا تلاميد اوليك ومن جنسهم • الذين هداهم
عامود من نار وغمام وانشق لهم البحر • وانقسم في عبورهم النهر • ووقفت
لهم الشمس • وامُطروا الخبز • وهزم لهم ببسط يدين ربوات صرعتاهم الدعا
والصلاه • الذين انكفت عنهم الوحوش • ولم يمسهم السعير • وانصرف عنهم
الملوك من باسهم متعجبين • ومع ذلك نقول شيًا مما هو عندك معروف • اننا
تجاه العازر الذي قد عرفت شجاعته • فقد تقدم مجاهد الاب • ووجب ان
يقفوه جهاد الاولاد • وقد مضي الكاهن والدابح تتبعه • كانك تتهددنا
وتوعدنا باشيا كثيره • واعلم ان الذي استعدد ناله اكثر من ذلك • فما تقدر يا
متجبر ان تفعله بنا من الوعيد • وماذا تدخل علينا مما تقول • وانت تعلم

قوبل كراس ٣

ان لاشي اشد من الصبر علي كل شي • فاستعدوا ايها الاشراط فما نلومكم • ولماذا تتوقفون
ولم انتم للامر الصالح تنتظرون • اين السيوف اين القيود • اين الطالب للسرعه •
فليزد النار تاججًا • والسباع فليزدادوا اهتياجًا • والمعارك فليضاعف اليهـا
زياده في الصناعه • حتي يكون كل شي ملكيًا • شديد التمام • فاني البكر من الاولاد •
فضحيني اولًا • واخي الاخير فليكن ترتيبي مقابلًا • وليكن واحد من الاوساطي في الاوايل •
حتي نكون قد تكرمنا بالمساواه فاننا نراك مشفقًا • كانك قد صرت لشي • مما يخالف
ارادتنا راجيًا • ونحن فنقول لك القول بعينه متكررًا • لن نبخس ماكلنا • ولن نقصر
في همنا • ولانك احري ان تنقادانت الي عبادة ما نعبد • قبل ان نلين نحن لعبادة
ما انت عابده • وجملة القول مننا فهذه • اما ان تدقق الحيله في تجديد عذاب
آخر • واما ان تحقق ان ما قد قدمته لا نفكر فيه • فهذه جمله من كلامهم •
للمغتصب • واما ما كان يامر الواحد منهم لصاحبه • وما كان يظهر له • اذ يراه
منهم • كانه تحريض الرجال بعض لبعض في المصافات • فحسن لعمري جليل • والذ
من كل منظر • ومسمع لمن كان لله من الوامقين • فلقد امتلات انا لذه عند
ذكري ذلك • وصرت بفكري عند هولاي المجاهدين • وحصلت بحديثهم من
المتباهيين • لانهم كانوا يتعانقون ويتلاثمون • والموسم عندهم كموسم من قد كمل
جهاده • وكلهم يهتفون قايلين • هلموا يا اخوه الي الجهاد • هلموا ودونكم والمبارز
ما دام المغتصب علينا هايجًا • اياكم ان نلين فنخسر الخلاص • قد حضر الوليمه
فلا نتاخر • وقد يكون الاخوه اذًا • ساكن بعظهم بعضًا • او شاركه او حصنه •
يمنح منظرًا حسنًا • لا لان الاحسن من ذاك مشاركتهم في الجهاد عن الفضيله • فلو
ان كان يمكن ان نجاهد عن سنن اسلافنا باجسامنا • لكان الموت فيما هـذا
سبيله من الممدوحات • واذا كان هذا وقت ذلك • فلنقدم الاجساد بعينها • فماذا
تقدرون كاننا متي لم نمت الان • لا نمت فيما بعد • او ما سبيلنا ان نقوم للكون
بواجبه • فيجب ان نجعل الضروره منه ونحتال في الانحلال • ونجعل المشترك للكل

لكل

لكل واحد خاصيًا ۰ ونشتري الحياه بالموت ۰ فلا يكونن واحد منا لنفسه محبًا ۰ ولا
يكونن غير ذي جزاه جبانًا ۰ وليكن المغتصب من غيرنا عن مصادمته ايانا على اتم
باس ۰ فان الترتيب في العقوبه اليه ۰ ونحن وقبيلتنا ۰ فسبيلنا ان نجعل غايه
الاضطهاد ۰ فلا نخالفه على ذلك بحرارة النشاط ۰ وليكن الاول منا لغيره طريقًا .
والاخير للجهاد خاتمًا ۰ وليكن هذا عدل لنا بالسوا مقدارًا ۰ ان نحصل الاكاليل للبيت
اجمع ۰ ولا ياخذ المضطهد واحدًا منا نصيبًا ۰ فيفتخر به كما يفتخر بالكل من تعظمه
بالشر ۰ وسبيلنا كما نحن اخوه في الكون ان نكون كذلك في النقله ۰ ويجاهد جماعتنا
مثل انسان واحد ۰ ويجاهد كل واحد عن الجماعه كالجماعه ۰ وانت يا العازر فاقبل
وانتي يا والده فالحقي ۰ وانتي يا اورشليم فادفني ۰ امواتك ببهاء واجلال ۰ ان تبقي
فيهم ما يصلح للدفن ۰ واديعي اخبارنا لمن ياتي فيما بعد ۰ واظهري لعشاقك
احداث رجال حُسنت عبادتهم ۰ من فراش واحد ۰ فلما قالوا مثل هذا وفعلوه ۰
لساميه
حد كل واحد منهم كما يحد القبر اسنانه ۰ وتراموا الي الجهاد والصبر علي العذاب ۰
علي ترتيب اسنانهم ومساواة نشاطهم ۰ وكان آيه واعجوبه لاول قبيلهم ۰ وفزعه
وحين لمضطهديهم الذين قصدوا امته كلها ۰ نظفر بهم اخوه سبعه هزموهم
باتفاق نفوسهم ۰ وجهادهم عن حسن العباده ۰ حتي لم يبقالهم امل صلح في الامه
بعدهم ۰ واما ذات الجلد امهم ۰ التي هي بالفضيله حقًا اهلاً في ان تكون والده
مثلهم ۰ ربيبة الناموس ذات النفس العظيمه ۰ فانها كانت خليطه جدل وجزع .
وفيما بين عرضين مختلفين ۰ اما الجدل فكان لاجل الشجاعه وما قد شاهدته من
الصبر ۰ واما الجزع فبسبب المستانف وشدة العذاب ۰ وكانت مثل الطاير اذا دنا
من فراخه حنش او غيره من المولمات ۰ فتحوم حوله وتصر عليه وتتضرع وتعاضد ۰
فماذا مالم تقل ۰ وماذا لم تصنع ۰ مما يرسخ ويدعوا الي الظفر ۰ وكانت تختطف
قطرات الدما وتحتضن ما ينقص من قطع الاعضا ۰ وتكثر الرزايا ۰ فللواحد تجمع ۰
وواحد تسلم ۰ وللاخر توصي وتصلح ۰ وتومي الي الجماعه قايله ۰ بخ بخ يا فتياني ۰

بخ بخ يا فتاكي ، بخ بخ يامن هم اجسام كان لا اجسام لهم ، لقد احسنتم يامن هم
مدافعون عن الناموس ، وعن شمطي ، وعن المدينه التي ربتكم واوصلتكم الي هذا المقدار
من الفضيله ، رويدكم قد غلبنا . لان من يتولي العذاب قد نكل وكل ، وهذا العمري وحده
هو الذي اخشا واخاف ، عن قليل اصير انا في الامهات سعيده ، وانتم سعدا في الاحداث ،
وان كنتم الي تتشاقون ، فلست اكون بعدكم من المتخلفين ، بهذا اعدكم وبه اَفي لكم ، اذ كنت
لست لكم من الشانين ، فلما رآتهم قد كملوا ، وحصل لها الطمانيه من وفاتهم ، رفعت راسها
متباهيه ، كمثل من غلب في معركه . وعقلها متعالي ، ويداها ممدودتان ، وصوتها بهي
عظيم ، في قولها ، اشكرك يا ابتاه القدوس ، واشكر لك ايها الناموس المودب المبصر ،
واحمدك يا اباه العازر المتقدم لاولاده في الجهاد ، اذ قبلتم ثمرة اوحامي . واني صرت
والده تزيد في الطهاره علي الامهات ، ما تركت للعالم شيا ، لله قدمت كلا . قدمت
كنوزي ، قدمت امالي التي املتها لكبرسني ، وقد زاد اكرامي بها واجلالا ، قد زاد القيام
بخدمة شيبتي ، قد استوفيت منكم حق التربيه يا اولادي ، اذ رايتكم عن الفضيله مجاهدين ،
اذ رايت جماعتكم متوجعين ، اني اري من تولا عذابكم الي من المحسنين . واني عن قليل لاعترف
للمتمردين بمنة في الترتيب ، فانه نظرني وجعلني اخيره في العذاب ، حتي صرت قد
اشهرت ولداني في الاول ، وتعذبت بعذاب كل واحد من بني ، ثم تبعتهم امنه فيهم
في جدل كامل بعد ذبايح كامله ، فلست انفش علي شعرا ، ولا امزق لي مرطا ، ولا
اجرد بظفر لحما . ولا اقيم ماتما ، ولا ادعوا نايحات ، ولا احبس ظلاما ليكون الهوا معي
باكيا ، ولا انتظر معزيات ، ولا اقدم خبز حزن للحاضرات ، هذا انما تفعله من كانت
ذليله من الامهات ، التي هن للاجسام وحدها والدات ، فينصرف اولادهن ولا يخلفوا
احدونه في الحسنات ، واما انا فلم تموتوا عندي يا احبايي من الولدان ، بل قربتم
ولاقيتم ، بل انتقلتم ولا قطعتم بل التحمتم . فوحش ما اختطفكم ، وموج ما غرقكم ،
ولص ما اوقع بكم ، ومرض ما احللكم . وحرب ما اتت عليكم ، ولا شي غيرها من صغير
اوكبير مما ينال البشريين ، لقد كنت انوح شديدا لو كانت احدي هذه المصايب بكم من

النازلات

النازلات. ولقد كانت تبين مودتي لاولادي حينيذٍ بالعبرات • كما قد تبت الان ودموعي
غير منهملات • الان هذه الاشيا تعد صغيرات حقيرات • ولقد كنت ابكيكم علي الحقيقه
لو خلصتم • وبيس ما كان لكم الخلاص • لو نكصتم وكللتم من العذاب • ولو ظفر
بواحد منكم الباغون كما صرتم انتم لهم من القاهرين • واما الان فليس هاهنا الا المداع
والسرور • والمجد والمواسم والبها. لما خلفتموه • انا التي اليكم منصبه • ومع فنحاس
محسوبه • ومع حنه في الشرف مذكوره • الان فنحاس كان واحدًا • ونحن جماعه
غيرون • للزناه قاتلون • قد بعجنا ليس زناة الاجسام بل النفوس • واما حنه
فقد قدمت واحدًا كان الله قد وهبه لها • وكان ايضًا طفلًا • وانا فقدمت
سبعة فتيان ودبحتهم لله طايعين • فليتم لي آرميا المرثيه غير نايح بل مادح •
وفاة طاهره • فقد لمعتم اكثر من الثلج • وتجمعتم اكثر من اجتماع اللبن في الجبن •
وصار بريقكم اكثر من بريق احجار الياقوت • وصرتم لله مكنونين وبه مرتبطين •
فما الذي بقي لك ايها المغتصب اضفني الان الي اولادي واجعلها منية • ان كان
عندعدوٍ منتان ليكون ما اجتهدت فيه الطف مما رمته • ويا ليتني جزت علي
كل نوعٍ من العذاب • حتي كنت اخلط دمي بدمايهم ولحمي بلحومهم وصديدي
بصديدهم • فاني من اجل اولادي وامقه للعقوبات • وان لم يكن ذلك فاخلط الرماد
بالرماد • ويكون قبر واحد تنقلها في واحد من الالحاد • فلا صير باخر متساويًا
علي الذين تساووا في الصبر والفضيله • فافرحن يا امهات • وافرحوا يا اولاد • فهكذا
انتم قريبين وهكذا كونوا انتم من الناشيين • فقد اعطيناكم مثلًا حسنًا •
فجاهدوا عليه • وفي قولها هذا • رمت نفسها علي اولادها • وكانت صورتها في ذلك
انها عدت النار المتاججه • لان بها حكم عليهم • كمن يحاضر الي الخدر • وما
انتظرت من يقودها كيما لا يلمس جسم نجس جسمًا طاهرًا فاتكًا • وهكذا استمتع
بالكهنوت العازر من حيث نوجي • وناجي بالسمايات ولم ينضح علي اسرايل
نضوحًا من خارج قدسه • بل نجيعًا من ذاته • وجعل وفاته سرًا كاملًا • وكذلك

استمتع الاحداث بشبابهم ، ليس من حيث ما خدموا اللذات . بل مثل ما ملكوا الاعراض
والابدان ، ومن حيث ما طهروا الجسم ونقلوه الي حياة خاليه من الاوصاب . وهكذا
استمتعت الوالده بكثرة الاولاد ، فتبجحت بهم دهم احيا وتنعمت معهم بعد انصرافهم
من عالم الفنا ، اذ كانت من ولدته للعالم . قدمته لله للبقا . وعدلت بالجهاد
او حامها ، وعرفت بموت واحد بعد واحد ترتيب ولادتها . لان الجهاد ابتدي
فيهم من الاول حتي انتهي الي الاخر ، فكانوا يندفقون فضلاً . ويدارك الواحد
صاحبه كما تتدارك الموجه الواحده التي قدامها . وكان الواحد مهتاجاً الي قبول
الالام ، كانه قد سُقي واسطم بغمزات الذي سبقه . حتي ان الذي عدّ بهم
احمامهم ، انها لم تلد اكثر منهم ، والا فقد كانت زاد خزيه وحرقه ، وفي ذلك
الوقت ايضاً عرف اولاً ما سبيله في كل وقت ان يروم اشهار قدرته بالسلاح لما
صادم صبيه وفتيان من السلاح عاطلين . وبنبي واحد وهو حسن العباده
متدرعين ، وانهم كانوا علي الصبر متلهفين ، اكثر مما كان هو لما يعمله من المستعدين ،
وهذه اوفق من دبيحة يفتاح واشرف اذ كان لم تدع الي الزياده هنا الضروره التي
دعت هناك من التحرق علي تمام الضمان والعده والشوق الي الغلبه التي كانت
حينئذٍ غير مومله ، بل الضحيه كانت هناك اختياريه ، والثواب عليها ما يرجا من
الميعاد وحده في الاجله ، هذا ليس بدون في الكرامه من مجاهدت دانيال لما سُلّم
الي السباع وغلب ببسط يديه الوحوش . هذا ليس باقل مما اتاه الفتيه في العراق
الذين برد عنهم الملاك النار لما لم يهدموا ناموس اسلافهم ، ولا قبلوا طعاماً نجساً
رجساً ، هذا ليس بايسر مما ارتكبه من ذبح فيما بعد عن المسيح في الجلاله ، لان
اوليك كما قلت في اول الكلام ، تقفوا اثر المسيح ودهله فيما ارسوه وكان هاديهم الله .
الي ما دخلوا فيه من هذه المواقف والمعارك ، وكان المسيح الذي قدّم عنا هذا القربان .
الذي هذا مقداره ، وهو هكذا معجز ، واما هولاي فلم يكن لهم في الفضل مقدمات
تقدمتهم ، ولا امتالات يبحون اليها ، مثل هذه سبقتهم ، الا ان بلد اليهود باسم

تعجب

الثلاثة فتية في العراق

تعجب من جلدهم وصبرهم وجذل بذلك جذل من تصوّر . ان الظفر ظفره . والتاج
عليه تاجه لانهم كانوا قلقين ولهين ولهًا ما لحقهم قط مثله من شدايد احدقت
بالمدينه . وكان عندهم انها في ذلك اليوم لا تخلوا من احدي خلتين . اما ان ينهدم نامومها .
واما ان تفوز بالظفر . وكانت الامور حينيذ لامّة العبرانيين كلها واقفه من جهاد
هولاي علي حدي شفرتين . واغتبط ايضًا انطيوخس بما كان منهم . ونقل الوعيد الي الاعجاب
بهم . لان العدو ربما راي فضل عدوه فاعجبه وشغف به . وذلك ان الغيظ اذا زال .
لم يبقا للعقل ان يستره . فينكشف اذا ميّز . ومضي انطيوخس بعد هذا خايبًا . ومحمدًا
لابيه سالوقس فيما كان ياتيه من اكرام هذه الامّه . وكبر نفسه فيما يستعمله لهيكلهم .
ولا سيما السيمن الذي استدعاه . اذ صار سببًا لما عامل هولاي به من الجفا . ولما لحقه من
النقص في الخيبوبه . فسبيلنا نحن معشر الكهنه والامهات والاولاد ان نتشبه بهم . ثم
كان كاهنًا فليصل الي كرم العازر الوالد الروحاني . الذي اظهر المجد بالقول والفعل . واما
الامهات فليتوصلن الي فضل الوالده الجليده . ويكنّ لاولادهن بالحقيقه واصفات .
وبجالهم الي المسيح مقدّمات . حتي يحصل لهنّ بركة مساكنة الرجال من مثل هذه الذبيحه .
واما الشباب فليجتهدوا ان يتخلفوا عن رتبة هولاي الفتيان الاطهار ويحرصوا ان
يصرموا التشبه بهم لا في الاعراض القبيحه . بل في الحرص علي مجاهدتها ودفعها .
وان تكون شجاعتهم وجلدهم في معاندة انطيوخس كل يوم . الذي يحارب
الاعضا كلها ويضطهدها بانواع كثيره من الاضطهاد . فاني اشتاق ان يكون لي
قوم يجاهدون هذا الجهاد . وفي كل وقت وعلي كل حال . ومن كل جنس يقاتل
ظاهرًا . ويقاتل باطنًا . واوثر ان تاتيني معونه من الاحاديث العتيقه .
ومساعده من الحديثه . حتي اكون مثل النحل في جمع الافضل من الاشيا
واقتضاب المنافع منها . لصنعة شمع واحد وتركيب عسله . فيكون الفضل
لله فينا من القديمه والجديده . الذي هو ممجد بالابن والروح
وعارف صحبه . ومعروف من خواصه . يعترفون به . ويعترف بهم

ويمجدونه ويمجدهم بالمسيح نفسه، الذي له المدحه الي الابد امين،

الميمر الثاني والعشرون

لابينا المعظم في القديسين غريغوريوس التاولوغوس النازينزي
قاله في الفضيله يقوافي على احرف يونانيه

الفظ بخير نشيطًا وتعلمه ايضًا، فضيلة الرجل من لفظه تعرف، اختر في الاول
ان تحسن عبادتك لله، الراي الخبيث لن تكن غايته صالحه، اكرم الوالدين واستحي من
الشيوخ، ان زينة الامراه مذهبها وليس ذهبها، لا تتهاون باحدٍ لاجل فقرهِ وعسرهِ،
ما اشد بصر النسا باصابة الحيل، اسمع الاشيا كلها واختر الموافق، عداوه غير
مايته لا تحفظ اذ كنت مايتًا، ذم ان تضبط لسانك عظيمًا، ان لطايف النسا ضحكه
عند الاعفا، كن للاصدقا والغربا عادلاً، ان الفقر لشديد، ولكن الايسار الردي
اشر منه، اذ كنت يا فاضلاً ميتًا فليكن فكرك عن الشر مايتًا، ان للحق عينان هي
تبصر كل شي، ان مذهب الانسان يعرف من الفضه خاصه، ان العيش الردي الموت
اخير منه، اننا نعيش بغير فكر اذا لم نتصور الموت، الخلق الردي يبعد من الله
ومن الكافه، اخلاق الكل في الزمان الكثير تجرب، تحفظ من الغضب فان العقل
بعيد منه، ما احسن الانسان ان يضبط غيظه وشهوته، سبيل مصايب اصدقايك
ان تكون عندك كمصايبك، كن مساويًا لكل احدٍ وان زدت عليهم في الغني،
ما احسن الانسان ان يفتقر فقرًا جميلاً ولا يستغني غناءً قبيحًا، ان الذهب
يميز الاصدقا كما تميز النار الذهب، اذا احببت نفسك كثيرًا فلن تقتني
صديقًا، ان الادب مينا للناس اجمعين، لا تجعلن نفسك ابدًا للذه عبدًا،
اذكر اذ كنت غنيًا ان تنفع الفقرا، سبيل كل عفيف ان يتبع النواميس، تصور
انك غني اذا اكثر اصدقاوك، ان كنت كفيت الغربا وصلت في وقتٍ الى مثل ما
تصنع، وبخ نفسك كاينًا من كنت اذا اتيت فاحشًا، ستعيش عيشًا طيبًا اذا
ملكت

ملكت غيظك ، سبيلك ان تعيش وتقدر معيشتك بقدر مدتك ، اما ان تقول
خيرًا والا فامسك ، ان اللسان سبب لكثير من الشرور ، الجم الغضب حتى لا تسقط
خارج العقل ، ان الامراه اشد وحشيه من الوحوش ، كن بالسويه حاكمًا لاصدقايك
وغير اصدقايك ، ان الوقوع في قبضة النسا مثل السقوط في النار ، ان ثمر الاخلاق
الجميله ترجميل ، عاقب اذا احكمت ولكن لا يكون ذلك منك بغضب ، ان الصديق
الصالح طبيب الاحزان ، لا تحكم وانت ناظر الي الحسن بل الي المذهب ، لا تهرب من
صديق اذا سقط في سو ، ان العقل رييس علي كل شي من المنافع ، لقد يحسن الصمت
بالاحداث اكثر من الكلام ، اذا رايت غربا فقرا فلا تبعدهم عونك ، ان اضياف
الفضيله ضيوفك ، تصور ان الذين هم غربا من الفضيله هم ايضا غربا عندك ،
ليس شي من القنيه خيرًا من الصديق ، ان العمر له ثقل غير معروفه ، ان الزمان
يصير لجماعه معلمًا ، لا تو ثر ان تستقصي عن سيات غيرك ، خلص نفسك من كل
طريقه غير صالحه ، اذا كنت دنسًا فلن يكون لك صديق صالح ، احفظ نفسك
حرًا في اخلاقك ، اقبل مشوره من رجل حكيم ، اعرف نفسك انها نافعه لكل احد ،
الارباح القبيحه تصنع المصايب ، الجم المسبه وقد صرت حكيمًا كبيرًا . ان الرجل
المداجي شبكه مستوره ، ان النظر الي الله دايمًا ضو للعقل ، كن محبًا للتعب وقد
اقتنيت عمرًا حسنًا ، ان صديقًا محتاجًا الي صديق ليس بصديق ، ان المراه السو
شتآ شديد علي البيت ، ان الكلمه الطيبه دوا للنفس المريضه ، ان السيف
يجرح الجسم . والكلمه تجرح العقل ، ليس احد من الغيظ يستقيم له الراي الرصين ،
ليس يمكن شرير يستتر عن الله ، رجل شرير لا يقتني صديقًا ، زمان تشكر
اكثر من المقاومه في حكم ، عصا الصديق افضل من كرامة الشرير ، ان الوعظ
اسهل من الصبر علي العارض ، ان الصمت افضل من ان يتكلم الانسان ما لا ينبغي ،
اذا جاورت الحكما خرجت انت ايضًا حكيمًا ، ان العيش هذا هو ان لا يعيش الانسان
لنفسه وحدها في حسن العباده ، بالتطوع والقنوت تكلم وتعلم ، لن يملك عاقل

٤٦

من قبل لذه، ما تخزي طريقة المتضعين، احفظ نفسك ومن سقطة غيرك لا تضحكك، اهرب من لذه تؤول فيما بعد مضض. قد ينبغي ان تسر الاحرار من الجرام، ما سبيل الانسان ان يفرح بالامور الفواحش، ان عشق الاجسام حتف علي النفوس، ان العقل لجام كبير للشر. ان الذين راسهم اجوافهم قد انتزعت منهم عقولهم، ان الصغير لكثير اذا اعطي في وقته، يا شيخوخه انك لشر سبيل الناس يهربوا منه.

الميمر الثالث والعشرون

لابينا المعظم في القديسين غريغوريوس الثاولوغوس النازينزي قاله تسبحه تقال عند الهجوع

اياك وللاب نبارك يا مسيحي. يا كلمة الله. النور من نور، لا ابتدا له، يا خازن الروح، احد الضو المثلث المجتمع الي مجد واحد، الذي حللت الظلمه وقومت الضو لتخلق كل شي من نور، وثبت الهيولي الذي لا ثبات لها، وتصورها صورة زين، وتنقلها الي هذه الزينة الحسني، انت الذي انرت عقل الانسان بالنطق، وحكمة البها العلوي، ووهبت له صورة ليبصر الضو بضوء يصير كله ضوا، انت انرت السما بانوار مختلفه، وانت رتبت النهار والليل ليخضع احدهما لصاحبه بدعة، وكرمت ناموس الاخوه والصداقه، ففي الواحد منهما كففت نصيب الجسد الكثير العيا، وفي الاخر انهضت الي العمل والافعال، التي هي عندك محبوبه، كيما نفر من الظلام ونصل الي النهار الذي لا يحل بليل عبوس، وانت اسل ان تطرح رقادا خفيفا في اجفاني حتي لا يموت علي الامر الاكثر اللسان المسبح، ولا تضحت خلقتك التي تراسل الملايكه، واما الفراش فليكن معك فاحصا عن افكار القلوب، ولا يوبخ الليل شيا من اوساخ النهار، ولا يقلقني لعب الليل الذي هو للاحلام، واما العقل فليكن باله بغير جسم مجاورا لك، ابا وابنا وروحا قدسا الي دهر الداهرين امين.

الميمر

الميمر الرابع والعشرون

لابينا المعظم في القديسين غريغوريوس الثاولوغوس النازينزي
قاله في قدوم المايه وخمسين اسقفا وفي وداع اهل القسطنطينيه
وهو يسمي الوداع

كيف احوالنا عندكم ايها الرعاه الاصدقا . الذين هم في الرعايه مشاركون . وارجلهم جميله في الاقدام في قدومهم الينا في وقتها . اذ وردتم ليس لتردون خروفا ضالا . بل لتشرفوا علي راعي متصرف . فكيف عندكم حال انصرافنا وما ثمرته بل ثمرة الروح الذي فينا . وبه نتحرك دايما . وبه الان ايضا قد تحركنا . من حيث لسنا نوثر ان يكون لنا شي يخصنا . لعل وليس لنا ذلك . هل قد عرفتم من نفوسكم بعينها . وعلمتم . وانتم قوم في محاسبة احوالنا صالحون . او سبيلنا ان نرفع اليكم حسابنا علي روس الملا . ونقوم بواجب القول فيه . كما يقوم بذلك من مطالب باقامة الحجه في تسيير العساكر والجموع . او تدبير الاموال . فنعطيكم جوابا طاهرا فيما دبرناه وسسناه . اذ كنا لا نخزي اذا ما ادنا . لاننا قد ندين في عروض ذلك ويكون منا الامر في الحالين بود ومحبه . والناموس في ذلك فهو عتيق . لان بولص قد كان يكشف للحواريين بشارته . ليس ليتباهابها . لان الروح بعيد من التباهي والتبجح . لكن ليحصل من ذلك احدي خصلتين . اما ان يثبت المستقيم . واما ان يتلا في الناقص . ان كان مثل ذلك . يمكن ان يوجد في شي من اقوال ذاك وافعاله . بحسب ما قد دل علي ذلك فيما كتبه في باب نفسه . اذ كانت ايضا ارواح الانبيا تخضع للانبيا بحسن ترتيب الروح الذي يدبر كل شي بحسب ما ينبغي . وان كان ذلك المرء قد فعل ذلك بالخفيه . ولا قوام باعيانها . وكنت انا اريد اقوم بالقول علانيه للجماعه . فلا تعجبوا من ذلك . لانني قد احتاج الي المنفعه بخزية التبكيت اكثر من ذلك . متي ما ظهرت ناقصا عما ينبغي . او كنت سايرا في باطل . او قد عدوت

في باطل ، وليس في اقامة الحجه شي مثل اقامتها للعارفين ، وان سال سايل عن
الحجه وماهي ، ذكرناها . فان كانت كاذبه فبكتوها ، وان كانت صادقه
فاشهدوا لها انتم ، لان الكلام عنكم واليكم ، وانتم حجتي وشهودي وتاج
فخري ، اذا ما جسرت وقلت وتهجمت مثل قول السليح ، هذه الرعيه قد كانت
في بعض الاوقات حقيره ، بحسب الحال الذي كانت ينظر اليها ، ولم تكن ايضاً
رعيه ، بل اثر حقير من رعية ، او بقيه غير مرتبه وغير مبصره ، وغير
محدوده ، لا تعرف رعياً حراً ، ولا تجمعها مراح ، ضاله في الجبال والمغاير
وثقوب الارض ، كل واحدٍ منها منزرع ، منطرح كما اتفق له ان يكون مستوراً ،
او مزيفاً ، والخلاص ذاته سارقاً ، مثل ذلك القطيع الذي مزقه الاسد ،
وشدبته شدة الريح وظلمتها ، بينوح عليه من الانبيا ، ويشبهون ما جري
عليه بالحق اسرايل من الاوصاب ، لما اسلم الي الامم ، نعم وقد كنا نحن له
بحق ايضاً ، بحسب ما قد علمناه مما يستحق المناحه ، لاننا ونحن قد مزقنا
بالحقيقه واطرحنا ، وتبددنا علي كل جبل ورابيه من عدم راعٍ ، وادرك
البعض شتاردي ، ووحوش غاديه واقعتها ، وهم الذين يقفون ، ولا في هذا الوقت
والصحو والانكشاف ، بل يتجنون في ان يكونوا اقوي من الوقت ، وظلام عبوس
قد احاط بالكل وغطاه ، اثقل من ضربة المصريين التاسعه بكثير ، اعني
الظلمه التي بها كانوا يلمسون ، فمن هذه الظلمه ما كنا نقدر عن قليل ، ولا ان
نبصر بعضنا بعضاً ، ومتي ما قلت في هذا قولاً اقصرت فيه من حيث المسامحه ،
ومعني الاب الذي سلم الي ، فان ابراهيم ما عرفناه واسرايل ما تعرف بنا ،
بل انت ابونا . واليك نحن مبصرون ، لم نعرف احداً سواك ، وباسمك سمينا
ونحن بك داعون ، فمن ها هنا اجيب ، الا انني اتكلم باحكام الله كما قال ارميا ،
عدنا فصرنا كما كنا في القديم ، لما لم تكن بروسنا وانشيت وصيتك المقدسه ،
وامسكت عنا رحمتك ، فصرنا عاراً لحبيبك ، ونحن جماعة الساجدين للاهوت ،

الملتجيين الي اللاهوت الكامل في الكاملين ، الذي لا نجسر علي ان نحط شيًا الينا وهو
فوقنا . ولا نترفع بهذا المقدار فيما تاتيه الالسن المعانده لله ، البعيد من الله ،
فتجعل الربوبيه مساويه لنا في العبوديه ، ولكنا اسلمنا ومن معني جرايمنا الاخري ،
ومن حيث لا نتصرف بحسب ما نستحقه وصاياك ، بل اتبعنا ذهننا الردي ، فمن هذا
والاقماذاغين . اسلمنا الي رجال ظلمه واشرار زايدين في الشر علي جماعة سكان
الارض . فبختنصر الاول ضغطنا وهو الذي جن علي المسيح بعد المسيح ، وانما بغض
المسيح لانه به خلص ، واتخذ الذبايح المبعده من الله بدلاً من الكتاب الطاهر ، فاكلني
وتقسمني ، فغطتني ظلمه دقيقه ، حتي اتباعد من الكتب ، ولا في المناحه ، ولو لم
اعانني الرب ، فاسلمه بايدي فاسقه ، وابعده بواجب الي بلد فارس ، بحسب ما
يراه الله من الاحكام ، فانهرق عن دما غير بارٍ دم بار واجبًا ، ولم يبان هاهنا
الحكم ، ولا اصبر في هذه الحال وحدها ، لقد كانت سكنت نفسي في الجحيم ، والثاني فلم يكن
الطف من ذلك في مقة البشر ، ان لم يكن اشد واثقل ، من حيث كان اسمه خاملاً ،
وكان مسيحًا كاذبًا مبرزًا ، وكان للمسيح ماقتًا ، وكان للنصرانيه عارًا ، وكان نعلهم
كانه من الله مبعد ، والمهم من المجد خلوًا ، من حيث لا يظن بهم انهم مظلومون ، ولا
تحصل لهم اسم الشهاده البهي الفاخر ، بل كان هاهنا يشرق الحق ، فيلحقهم الوصب
من حيث هم نصاري ، ويظهر انهم قد عوقبوا علي كفر ، فاه لي كيف ما توفرنا علي الشرور ،
لان نارا اكلت محاسن المسكونه التي تدرك في اوقاتها ، فما بقي من الدود اكله الجراد ،
وما بقي من الجراد اكله اليرقان والذباب ، ثم لست ادري بعد ذلك من شي بعد شي
ردي ظهر وبان فيما اضيف كل شي من الردي الوارد في ذلك الوقت ، وما ضغطنا
حينيذٍ وما سبيلنا ان نقول فيه ، انه اما عقوبه واما تجربه واحما ، الا اننا
علي كل حال عبرنا في النار والما ، ثم خرجنا الي راحه بسترة المخلص ، لكن ما
انهضني القول الي ذكره في الاول هذا ، هو ان هذه الغلبة كانت في وقتٍ قليله
فقين ، لا تستحق ان تكون ليس لله الذي فلح العالم كله ، وهو يفلحه بزروع القنوت ،

[illegible]ه ، وبار آ وفيه ، بل ولا لفقير ومسكين واحد من المحتاجين المقتصدين بحسب الراي كان
[illegible]ها ، ولم تكن ايضاً غلة بالكلية ولا كانت اهلاً ان تهرآ ، ولا تحصل في بيدر ولا يدور
بها منجل ، ولا كانت كرسياً وشمايل ، الا تكون شمايل صغير غير مدركه ، بل الذي يوخذ
من السطوح مما لا يملا كف الحاصد ولا حضنه جامع القبضات ولا تقتضي التبريك من
المختارين ، فمثل هذه الغلة كانت غلتنا ، وبهذا المقدار هي لان في الحصاد عظيمه
[illegible]ة السنابل مكتنزه مخزونه لله عالم الخفايا ، فهي اهلاً لفلاح مثله ، يكثرها
مروج النفس التي يحسن فلحانها بالقول ، الا انها لم تكن معروفه عند كثيرين ، ولا كانت
مجتمعه الي شي واحد ، بل كانت تجمع شياً بعد شي مثل قصيل في حصاد ، وقطوف في
قطاف عندما لا يحضر عنقود ، وقد اري ان ازيد في قول ما انا ذاكره ، وذاك في
الوقت المشبه جداً ، اني وجدت اسرايل مثل ناطور في بريه ومثل حبه واحده اوثانيه
تدادركت في عنقود لم يدرك محفوظه لله بركه وقرباناً اوليا ، الا انها قليله متفرقه
لا تملا فا اكلها ، ووجدته مثل علامه علي رابيه ، ومثل خشبه قايمه علي جبل ،
اوغير ذلك من الاشيا المنفرده التي لا يبصرها كل احد ، فهذه حال الفقر والعوز
الذي كان في الاول ، الا انه فبعد ما قال الله الذي يفقر ويغني ويميت ويحيي ،
ويصنع كل شي وينقله من حال الي حال بحسب ما يراه ويصنع من الليل نهاراً ، ومن الشتا
ربيعاً ، ومن الاضطراب غلينه اي صحو ، ومن الجفاف نداوه ، وذلك ربما كان بصلاة
صديق واحد ، وقد طرد طرداً شديداً ، لانه يرفع الوديعين الي العلوا ، ويذل
الخطاه الي الارض ، فنادا اليه بهذا القول ، اني قد رايت ضر اسرايل وليسوا
بعايدين الي الطين وجبل اللبن والتشقي بذلك ، ولما قال اطلع . ولما طلع خلص ،
واخرج شعبه بيد عزيزه وعضد عالي بيد موسي وهارون صفيه ، واما الذي
جري بعد ذلك من معجزات وعجايب ، مستودع في الصحف وجملة الذكر ، فاني
اقول في ذلك قولاً موجزاً بما جري من الايات في الطريق ، من تلك الجليله العظيمه ،
ان يوسف صار الي مصر واحداً ، فعاد من مصر بعد قليل ستون ربوه ، فاي شي اعظم من
هذا

هذا واعجب لكرم الله من علامه ، اذا ما اراد ان يعطي في الامور فرجة خير عظيم
ورثهم بعد ذلك ارض الميعاد علي يد واحد كان ممقوتا ، فبيع وشري فنقل
اقما ، وصارت امه كبيره ، وتلك العين الصغيره من قضيب صارت كرما ،
غزير الزرجون حتي بلغ الي هذا المقدار ، ان يشرف علي الانهار ويمتد الي
البحار ، ويتسع من حدود الي حدود ، حتي يغطي الجبال بعلو المجد ، وترتفع علي
اشجار البشريين ، علي انهار الله ، وهذه الجبال وهذه الاشجار فنظن فيها
ما نظن ، فهذه حال هذه الرعيه في وقت تقدم ، وهذه حالها الان في
حسن الحال والسعه ، وان كان ذلك لم يتم بالكليه ، الا انه متجه الي زياده ،
رويدا رويدا ، وابتنا ياته ستزيد بعد هذا ، وقد يتقدم الي بذلك الروح
القدس ، اذ كنت انا متنبيا ، والي ما قدام ناظرا ، فان تقتي بذلك من حيث
ما رايته فيما تقدم ، وانا اعرف بالقياس اذ كنت مخزنا للكلمه ، وذلك انه اعجب
كون هذه الرعيه بهذه الصوره ، وانتقالها مما كانت عليه الي ما صارت اليه ،
من انتقالها من حالها الان الي غاية البها والنور ، وذلك اني اعلم علما يقينا
بعد ما ابتدي محيي الاموات بجمعها عظما الي عظم ونظاما الي نظام ، واعطي
اليابس منها روح حياه وعودة كون ، لان القيامه من جهته ونشورها من
قبله ، سيكون عن قريب تمامه وكماله ، فلا يترفعن المغتبطون في ذاتهم ، ولا
يكون في ايديهم خيال وظل ، او رويا بعد يقظه او رياح هابه ، او اثر سفينه
علي الما ، فيظنوا ان في ايديهم شيا ، فالويل للصنوبره لان الشربينه قد
سقطت ، وسبيلهم ان يتادبوا بما جري علي غيرهم من السو ، فيتحققوا ان الضعف
لا ينسي الي التمام ، ولا يصبر عن ان يفصل روس المقتدرين بالخيره ، كما قال
اباكوم حبقوق ، التالوت التي فصلوها وقسموها قسمة سو الي رييس ومروس ،
فيحصل من ذلك لاهوت منسوبه بالانحطاط ، وتنتقل بربيه بالمشاركه في كرامة
لاهوت ، وكانني متوهم سماع ذلك الصوت من جامع المهشمين ومقبل المخطيين ،

وهو قوله، امدد حبالك وطنبها عنيتة ويس وانصبها، ولا تشفقن علي المساحات. فانا الذي احميتك وانا الذي اعينك، بغضب شديد شدختك وبرحمه دهريه امجدك، ومقدار التحنن هاهنا فهو اعظم من مقدار التاديب، تلك الاولي كانت من جهة الرداه، وهذه من جهة التالوت لما كفر لها، وسجدت تلك من اجل النجاسه وهذه من اجل تمجيدي، انا الذي امجد من يمجدني واعير من يعيرني، هذا قد ختم عندي وهذا ناموس لا يحل في المقابله والمجازاه، انت تمسكت لي بالحيطان والبلاط والفص المفخم المتمن والعدد الطويل والدوران الشديد، وتباهيت بالذهب وتبخترت، فبعضه زرعته علي الما، وبعضه خزنته مثل الرمل، وجهلت ان الامانه الخاسر من اجل الكفر الملبس، وثلثه عند الله علي اسم الرب مجتمعون اكثر من ربوات جاحدين التالوت، اوعساك تفضل جماعة الكنعانيين علي ابراهيم، وانه كان واحدًا، واهل صادوم علي لوط وانه كان فردًا والماديين علي موشي هذه الجماعه علي الثلاثه وان كانوا غرباشاردين، وماقولك في الثلثمايه الذين لطعوا الما، مع جدعون برجوليه وشهامه في تقديمهم علي الالاف المرتدين، وما قولك ايضًا في مجنسي بيت ابراهيم اي عبيده المولودين في منزله في تقديمهم بعد ذلك علي الملوك الكثيرين وربوات الجيوش، التي طردها وهزموها وان كانوا قليلين، وكيف رايك في ذلك القول، وهو ان صار عدد بني اسرايل مثل رمل البحر، فانما يخلص منهم البقيه، وماذا قولك فيمن قال اني قد تركت لنفسي سبعة الاف رجل لم يجتوا لهم ركبه لبعل، اليس هذا كذلك هو، اليس الجماعه التي يسر ويرضي بهم الله، اما انت فتعد الربوات، والله يعد ذوي الخلاص، انت تعد التراب الذي لا يحصي، وانا اعد الانا المختار، وليس عند الله شيا معظمًا، مثل كلمه طاهره، ونفس كامله بالصدق من الراي، وليس شيًا اهلًا لباري الكل، الذي منه الكل، ومن اجله الكل، وليس شي يقدم له علي معني الاستحقاق، لان كل صنعة يد واحده + وشا ان يقدمه، لان الرب يقول، انا الذي املا السما والارض، فاي بيت تبنون لي، واي موضع يكون لاستقراري، واذا كان من الضروره التاخر عن الاستحقاق في هذا الموضع، فالذي هو

لهذا تان

+ اوعمله واحده دا لو جمع جامع كل يسر النشر الي يد واحده +

يرجع الى الكتاب

التثليث

لهذا تان هو الذي اطلب منكم ، وذاك القنوت وحسن العباده . الغني المشترك
عندي . المتساوي في الكرامه ، الذي فيه ربما زاد الفقير جدًا علي من كان في البهاء
غمرًا متي كان كريمًا وذا نفس كبيره ، فان هذا التباهي ليس هو من حيث الغزاره في
الايسار بل في النيه ، وقد قال . ساقتص هذا من ايديكم ، واعلموا يقينًا انكم بعد
هذا لا تطاوون داري ، بل تطاها اقدام الوديعين ، الذين يعرفوني ويعرفون جيدي
وروحي قدسي ، معرفه صحيحه خالصه ، فالي متي لا تتوارثون جبل قدسي ، الي
متي يكون تابوت العهد عند الغربا . ولكن تمتعوا الان مده يسيره بما ليس لكم ،
وتكفوا بمتعة الاعتقاد ، فاني بحسب ما تشاورتم في ابعادي كذلك ابعدكم ، قال
الرب ضابط الكل ، هذا هو الذي اظن اني كنت اسمعه من قايل ومحسن به من فاعل ،
وقد كان انضاف الي ذلك مخاطبه لهذا الشعب الذي صار من القليل كثيرًا ومن المزروع
مجتمعًا اجتماعًا كافيًا ومن المرحوم محسودًا ، وذلك قوله ، سيروا في ابوابي ولا تسعوا
في افتري سبيلكم ان تعاينوا في الاخبا سكانًا ، ويكون مضطهدوكم بكم شامتين ، واما
الملايكه الموكلون ، فاني اقنع نفسي بان جماعه منهم يشرفون علي كنيسه ، واخرون
يشرفون علي اخري ، وبحسب ما يعلمني ذلك يوحنا في معراجه ، طرقوا الشعبي ،
ونحلوا الحجاره من الطريق حتي لا يبقي صعوبه ولا منعه للشعب ، تمنعه من
السبيل الالهي ، والدخول في هذا الوقت الي ما قد صنعه باليد ، وعن قليل بعد
هذا الي اورشليم العليا ، وقدس القدس التي هناك ، وهو الذي اعتقد غاية
التشقي ها هنا ونهاية السايرين سيرة مسنه علي دوام تباتهم الذي فيهم ،
وانتم قديسون مدعوون شعبًا خاصيًا . كهنوت ملكي ، جبل الرب العزيز ، إذ
صرتم من قطرة نهرًا مفعمًا . ومن شرارة مصباحًا سماويًا ، ومن حبة صنوبر شجرة تسكن
اليها الطير ، وهولاي هم الذين نهديهم اليكم يا رعاه وامقين ، هولاي الذين نقدمهم ،
هولاي يصلح للضيافه لاصدقاينا وضيوفنا والمتصرفين معنا ، لم يكن لنا شي اخير
منهم نقدمه اليكم ، ولا ابهي لما طلبنا . اكبر مما نملكه واشرفه . لتعلموا اننا قوم غربا ،

لانا غير معوزين ، فقد الا اننا نغني اخرين ، هذا ان كان صغيرًا لا يستحق قولًا
واحدًا من تقريظ ، فاني او تران اعلم ، ما هو الاكبر منه مما يستحق الزياده من القول
في الوصف ، اذ كانت مثل هذه المدينه ، وهي عين المسكونه ، واشرف ما في الارض
والبحر ، التي كانها رباط فيما بين الشرق والغرب ، التي اليها يقصد من كل ناحية
الاطراف ، ومنها تبتدي كانها المتجر الجديد للامانه ، كان تثبت مثلها وتقويته
بالاقوال الصحيحه مما ليس بكثير ، لاسيما وقد كانت مهتزه وممدوحه بالسن كثيره
هذه بجملتها ، وهكذا هي ما هو عليها من كل مكان ، فقد يبعد ان يكون شي آخر
اكبر ، والحرص عليه اجدر ، وان كان ذلك من الممدوحات ، فاعطوا شيًا من
الجايزه على مثل ذلك ، وان كنا نحن قد قدمنا شيًا وجزا ما فيما ترونه ، فارفع ناظريك
حواليك وانظر يا فاحصًا عن اقوالي ، وانظر اكليل المجد المنظوم بدلًا من اجراقوم
وعوضًا من اكليل الشتيمه ، انظر الى زمرة قسوس بالفهم والشيب مكرمين
وابصر حسن ترتيب شمامسه ليسوا من هذا الروح بعيدين ، وتنقد حسن رتبة
الاغنسطيه ، ومحبة العلم من الشعوبيين ، من كان منهم من الرجال ، ومن كان
من النسا المتفقين في الفضيله ، ومن كان في الرجال ايضًا من المتفلسفين ، ومن كان
في البسيطين ، ومن كان في الحكما ذوي النظر في الالهيات ، ومن كان في الروسا وفي
المروسين ، ومن كان في الجند وذوي الاحساب ، من كان في الاقوال ومن كان هو لها
وجاعتهم ، لجند الله وديعون في شي آخر ، واما في باب الروح فكلهم مجاربون
يكرمون الخاصه التي في العلوا ، التي لا يدخل عليها الكاتب الساذج بل الروح
المحيي ، كلهم في الحق متكلمون ، وللكلمه الصادقه خادمون ، واعرف ذلك في
النسا من كانت تحت نير وهي بالله اكثر من الجسم مرتبطه ، ومن كانت
حره خاليه من نير وكانت قد صفت الكل لله ، ومن كان في الاحداث ومن كان
في الشيوخ ، الذين منهم من يسير سيرًا لصًّا متوجهًا نحو المسيح ، ومنهم من يكابر
على ان يصير عديمًا للموت ، من حيث يتجدد بالحسن من الرجا ، فهذا هو الاكليل . وان
قلت

أي (متزوجة تحت نير الزواج)

أي عذراء

قلت قولاً ليس هو علي حسب الرب، الا اني اقوله، فانا قدمت شيًا مع ضاربها ان
ضفره. ولي فيه من اقوالي عمل، ليس من الاقوال التي رميناها، بل التي اصبناها
ولا من المومسات كما ذكر فيها من اراد ان يعيبنا، من الزناه في قولهم وخلقهم، بل في
اقوالنا العفاف جدًا. وفي هولاي شي من ولده روحي واثمر، كما قد عرف الروح انه
يلذ للذي يتطلبون الانتقال عن الجسم، وسيشهد بذلك علم مني يقينًا، ومن كان
منكم من اولي المعرفه الحسني. اولعل يشهد به الكل، اذ كنا قد فلحنا للكل، وثوابنا
هو الاعتراف وحده، ولسنا نطلب شيًا آخر بعده، ولا طلبنا ايضًا فيما قبل، لان
الفضيله لا ثواب عليها حتي تبقا فضيله، ويكون قصدها الشي الجيد لا غيره،
آفترون ان ازيد شيًا اشب من هذا واثمر، انظروا الي الالسن المخالفه وقد توطت،
ومعاندي اللاهوت وقد امسكوا النا، وهذا فهو من الروح، وهذا ايضًا من فلاحتنا،
لاننا لا نودب ونحن من الادب مبعودون، ولا نرشق بالشتيمه كما يلحق كثيرون
ممن لا يكون عناده للمقاله، بل للقايلين، فنخنق ضعف رايه بالشتيمه، كما يقال
عن لساننا انه يتقيا الحنو ليسترها عن الصيادين، فيكون صيدها من ستر ذاتها،
بل نحن نبين المناضله عن المسيح، من معني مناضلتنا علي راي المسيح، الذي هو سليم،
وديع قد حمل ضعفنا، ولا نسالم ايضًا من معني المواطاه علي الكلمه، من حيث ننزل،
عن شي من الحق. ليظن بنا، ان ذلك منا علي حسب الخيريه والدعه، لاننا لا نتصيد
الجيد بالردي، لكننا نسالم، ونحن في المسالمه فيما يوجبه آلسنة المعاندين، ولا
نكون عما تقتضيه نواميسنا وقوانين الروح خارجين، فهذا هو الذي اعرفه في هذه
الاشيا، واضع فيها ناموسًا لكل مدبري الروح، وخازني الكلمه، الا يتخشنوا،
بالصلابه، ولا يتطرقوا الي التمرد باللين، بل يكونوا في القول حسني القول، ولا،
يتجاوزوا في احدي الطريقين عن الحد، وعسي ان ينبغي من معني شوقكم ان اريكم،
قولي في الامانه كيف كانت عندنا، فاني اذا ذكرت ذلك تقدست بالذكر، وانتفع
هذا الشعب اذ كان يسر بمثل هذه الاقوال اكثر من كل شي، فتعرفوا وانتم مني، ما لم

[illegible] باطلاً علي اظهار الحق في تشبهنا من معني يقوم ، وفي لحاقنا من معني آخر باخرين ،
كذا المياه الكامنه ، تخفي بعضها في العمق بالكليه ، وبعضها يفور من حيث قد انعصر ،
وهذا بعد الاستمتاع بالانفجار الا انه متاخر بعد ، وبعضها فينفجر ، وكذلك المتفلسفون
في الله ، اذا ما لا اذكر الذين هم بالكليه عاقين ، فمن هولاي القوم المتفلسفين ، قوم
قبورهم مخفيه مستوره في ذواتهم ، وقوم قد قرب منهم الطلق وهم الذين يهربون
من الكفر الا انهم لا يجاهدون بالامانه ، اما الموضع استعمالهم سياسه فيما يوردونه من
الكلام . واما من جبن عن البيان يلتجون اليه فهم علي معني افكارهم علي زعمهم معافون ،
الا انهم لا يوردون العافيه في غيرهم ، كانهم قد تسلموا رياسه علي نفوسهم ، ولم يتسلموها
علي غيرهم ، ومنهم من يكشفون الكثير ولا يصبرون علي الطلق في حسن العباده ، ولا
يرون ان خلاصهم وحدهم خلاص ان لم ينصب الشي الجيد منهم الي غيرهم ، ويا ليتني
اكون مع مثل هولاي مرتبا ، ويا ليت من هو في جملتي يكون كذلك في الجسارة علي جرم ،
مني في الاعتراف بحسن العباده ، فمقدمة اقوالنا التي هي كعنوان يتقدمها بايجاز
وكانها كتاب علي منار . عند كل احدٍ معروف ، هو هذا الشعب اذ كان اليوم عبد
التالوت مخلصاً ، وبالسجود له معلناً ، قد يجوز ان يكون انفصال واحد عن هذه
المياه اقرب من ان نفصل نفوسنا من الثلاثه عن اللاهوت ، وجماعته فهي متفقه
في الراي ، متفقه في الغيره ، متمسكه بكلمه واحده في حالها الينا والي التالوت ، وفي
حال بعضها مع بعض ، واما الكلام في كل واحد ، فاذا اتيت عليه بايجاز قلت ما لا
ابتدا له وابتدا والذي مع الابتدا ، الكل الاه واحد ، ليس من معني غير الابتدا ،
الذي لا ابتدا له طبيعه ، ولا ايضاً معني انه غير مولود طبيعه ، لانه لا يكون
ولا طبيعه واحده يقال فيها كذا وكذا ، اعني وضع الموجود لا نفي غير الموجود ،
ولا ابتدا ايضاً من معني انه ابتدي يحتجز عدم الابتدا ، لان الابتدا ليس هو
بطبيعه ، كما ان عدم الابتدا ليس هو كذلك طبيعه ايضاً ، وهذه الاشيا فهي
طايفه بالطبيعه ، وليست طبيعه ، والذي هو مع القديم الابتدا ، ومع الابتدا

فليس

فليس هو شي آخر غير ما في تلك ، وللاسم القديم الابتدا فهو اب ، وللابتدا فهو ابن ،
والذي مع لا ابتدا روح قدس ، والطبيعه للثلاثه فهي واحده ، فهي الله
تبارك وتعالي ، وللاتحاد فهو الاب الذي منه واليه نسبة ما يتلوه ، ليس من معني
الامتزاج والاختلاط ، بل معني الاتباع ، من حيث لا يحجب زمان ولا اراده
ولا قوه ، فهذا هو الذي جعلنا اشياكثير مخالفه كل واحد علي ذاته وعلي
صاحبه ، والذي طبيعتهم بسيطه فوجودهم شي واحد بعينه . والوحده في
هولاي فهي الحقيقه والميل في القول الي ها هنا وها هنا ثم تلافي ذلك باقامة
العوض ، فسبيلنا نتركه بسلام ولا نري راي صابليوس في الواحد معاند
للثلاثه ، من حيث نريد نحل الانقسام بجمع ردي ، ولا نري راي آريوس في
الثلثه ، معانده الواحد فننقص بقسمه سيبه الواحده ، لاننا لا نري لطلابنا
الاعتياض بردي عن ردي ، بل لا نحطن ما كان جيدًا ، لان ما كان هذا سبيله
انما هو من ملاعب الشريـ وزن بها ارانا وزنًا رديًا ، بل سبيلنا ان نسلك الطريق
الوسطي الملكيه التي عليها وقعت الفضايل بحسب ما يراه الذين عنوا اما هذا
سبيله . فنحن مومنون باب وابن وروح قدس ، جميعها متساويه في الجوهر
ومتشابهه في المجد ، وبها تمام المعموديه ، في الاسما وفي الاحوال ، وقد عرفت ذلك
انت . الذي اشربه اليك ، وان المعموديه جحود الكفر بالله ، والاعتراف باللاهوت .
وكذلك نصطلح ونستقيم في معرفتنا . ان المعني بالواحد الجوهر ، وللا يكون في
السجود له قسمه ، والمعني بالثلاثه اقانيم والاشخاص بحسب ما يوثر الانسان
ان يسميها ، فلا يفتخر المتنافسون في ذلك ، كان حسن العباده موضوع في الاسما
وليس هو في المعاني ، فماذا قولكم يا من يدخل الاقانيم الثلثه ، هل تتوهمون ان
معني قولكم ثلثة جواهر ، اني اعلم انكم ستصيحون من ذلك صوتًا عظيمًا ، علي من هذا
رايه ، فمن حيث ترون جوهر الثلثه واحد ، وماذا قولكم انتم يا من يدخل الاشخاص .
هل عندكم تخيلون واحدًا مركبًا ذا ثلثة وجوه ، او صورته بالكليه صورة انسان ،

قول كراس ٣

كاني بكم ايضًا، وانتم تجاوبون قايلين، ابعد لا ابصر وجه الله، مهما بلغ وجهه ذلك
للانسان، الذي هذا رايه، وما ذا عندكم انتم في الاقانيم، وعندكم انتم في الاشخاص،
فاني اعود واسالكم فتجيبون، ان معني ذلك، ان الثلثه المقسومه ليست بالطبايع
بل بالخواص، بخ بخ كيف تتفق راي قوم ويكون قولهم واحدًا، ان لم يكونوا كذلك.
وان خالفوا في الهجا والحروف، اما تبصرون كيف انا مصلح بينكم، اقود الي معني
الكتاب مثل العتيقه والحديثه، ولكن سبيلي ان اعود الي القول بعينه، والعديم
الولاده، والمولود، والمنبعث، فسبيله ان يقال ويفهم، اذا كان يجب احدات
يختلق اسما، لان نحن بجزع متوهمين، ان مالا جسم له يفهم من حيث الاجسام
كاظن ذلك من يتعقب اللاهوت، واما خلقة الله فلتذكر، وان ذكرها عندنا
لعظيم، واما ان يقال انها الاه فلا بته، او فحينيذٍ اقبل انها خلقه لالاهًا، اذا ما
صرت انا بالحقيقه لالاهًا، والسياقه في هذا المعني هكذا، ان كان لالاهًا فليس بخلقه،
لان الخلقه والمخلوق معنا نحن، ومشارك لنا الذي لسنا آلهه، وان كان هو خلقه
فليس هو لالاهًا، لانه قد ابتدي من حيث الزمان، وما ابتدي فقد تقدمه وقت
لم يكن فيه، وما تقدمه وقت لم يكن فيه فليس هو بالحقيقه آزليًا، وكيف يكون لالاهًا،
فليس شي من التالوت خلقه ولا واحده، ولا ما هو اشر من هذا، وذلك ان يكون قد صار
من اجلي لا خلقه فقط، بل ادني منها واهون، لاني اذا كنت لمجد الله، وقد صار
من اجلي، فالفيض من اجل البحله، والمنشار من اجل الباب، فاني انا اغلب
بالعله، وبحسب ما ان الله اعلي من المخلوقات، كذلك الذي صار من اجلي، انا
الذي صرت من اجل الله. اهون مني وادني، فمن ها هنا لا يجوز ان يدخل بيعة
الله الموانيين، والامانيون، ولا ذلك مباح لهم، اعني بذلك الاقوال المتشبهه
بالمنطق المتعبه في سوء المطالب، الذين ينقصون عن ميلاد للاه، وللانبعاث
الذي لا يوصف، ويجسرون علي معاندة اللاهوت، كان عندهم، ان ما قد
فاق الكلام، فهو مما لا يوصل الي معرفته، اما سبيلهم ان يعرفوه، واما سبيله

لا

لايكون، لانهم ما ادركوه، واما نحن سبيلنا ان نتبع الكتب الالهيه، ونحل المغلوق،
ونقلع القذا الذي يقذا بها العميان. ونتبع الخلاص، ونجسر علي كل شي. ما خلا
التهجم علي الله، والشهادات علي مثل هذا فنحن نتركها لغيرنا، علي ان جماعه
قد كتبوها دفعات، وقد اتينا ونحن منها بما ليس هو مكتوبا، ومع ذلك فمن
القبيح بمثلي خاصه، ان اجمع التصديق لما قد تقدمت به الامانه، وليس من
الترتيب ايضا ان يعلم الانسان ثم يتعلم، ليس مثل هذه الاشيا الالهيه الجليل
مقدارها، بل وغيرها من الصغار، التي ليست لقول بالكليه اهلا، وما في الكتب
من التعتق فليس هذا وقت حله وتصنيفه، بل قد يحتاج الي ازيد من هذا الحرص،
واتم، مما قد نهضنا له في هذا الحين، لان مقالتنا اذا ما اقتنع بجملتها. كانت
هذه، وذكرت ذلك ليس ردا علي المخالفين، لاني قد تقدمت وجاهدت في هذا
المعني، وان كان ذلك قد صار مقتصدا، الا انني تعمدت ان ابين لكم مثالا من
تعاليمي، هل ترون اني لست لارايكم موافقا. او اني لست علي مخالفة ما خالفتموه،
ومطابقة ما طابقتموه ثابتا، هذا لكم يا رجال الامني من جواب عن حضوري، فان
كانت حاله ممدوحه فالشكر لله ولكم معشر من دعاني، وان كان عما ظننت ورجوت،
ناقصا. فهم لا يخلوا ايضا من شكر، لاني اعلم علما يقينا، انه لا يكون بالكليه مذموما.
ولا اشك في قولكم لذلك، فهل غشمنا هذا الشعب، او دبرنا شي لنفوسنا، بحسب ما
اري جماعه صانعين، هل آجرنا البيعة، لعمري قد قاومنا في القول لقوم اخرين،
قد رواان يأخذوكم علي غرة، فقاومناهم بقولنا، واما انتم فلا بحسب ما اعرفه
من نفسي، ما اخذت لكم ثورا، كما قال صموييل المعظم، في وقت مخالفته لاسرائيل،
في باب الملك، ولا اخذت تكفيرا عن ارواحكم، قد يشهد لي الرب عندكم، ولا
كذا وكذا حتي لا اكثر من القول، في تعديدي واحدا فواحدا، بل قد حفظت الكهنوت
طاهره زكيه، فان كنت اخذت المقدم او علو المنابر، او السعي في دور الملوك،
فلا وصلت الي شي بهي، او فسقط عن يدي متي اقتنيته، فما هو اذا هذا الذي اقول،

لاني لست صانعاً للفضيله بلا ثواب ولا وصلت لهذا المقدار من الفضل • فاعطوني
علي نصبي ثواباً • وان سالتم ماهو . عرفتكم انه ليس الذي يظنه من كانت عنده
الاشيا سهله • وكان فيها متنعماً • بل الذي هو اوفق لي واحرز • ونجونا يا قوم
من التعب الطويل • استحيوا من هذه الشيبه • اكرموا الغربه • ادخلوا آخر
بدلي قد كان من اجلكم مطروداً . من كان نقي اليدين • من كان في نعمته غير بعيد
من الفهم • من كان كفواً ان يوجب لكم كل شي • ويتسع • ويواتي في الاهتمام
بالبيع . لان هذا الوقت انما هو لمن هذه صورته • واما انا فقد تبصرون حال
جسمي هذا • كيف انصبه وافناه الزمان والمرض والنصب • فايه حاجه
بكم الي شيخ جبان • عديم الشهامه • يموت في كل يوم بمعني قول يقال • ليس من حال
جسمه وحده • بل ومن الهموم . حتي وكانني بشدة اخاطبكم بهذا الخطاب •
لا تكذبوا صوت معلم • لانكم ما كذبتموه قط • قد ضنيت مما تشتكي مني الدعه •
وضنيت ايضاً من مقاومتي للقول • والحسد والمحاربين • واصحابنا فمنهم من
يقوم نحو الصدر فلا يصيب الا قليل • لان العدو المبين قد يسهل الاحتراز
منه • ومنهم من يتعمد الظهر • وهم الذين يعوقون شديداً • لان ما لا يكون من الظن
اشد اصابه ودخولاً • فلو كنت لسفينه مدبراً • وكان البحر حولها هايجاً •
وكان المقاومه فيما بين ركابها شديده • فقوم يتناضلون في شي . واخرون في
آخر • وجماعتهم يجلبون ويقاوم بعضهم بعضاً • حتي تصل مصاطعتهم الي الامواج •
كم مقدار ما كنت اثبت • واقوم جالساً علي الارجل متي ا وقام البحر وركاب السفينه
واخلصها بلا عطب مضعف • لان من يصعب خلاصهم اذا كانوا متظافرين كيف يسهل
انتياشهم اذا ما كانوا متضادين ومقاومين • ولما لي اذكر الاشيا الاخر • ولا اقول
كيف احتمل هذه الحروب الظاهره • ولستم حرب ظاهر • كما يقال الحروب اخري بربريه •
وكيف اجمع فيما بين هولاي واقودهم الي شي واحد • اعني الذين يجلبون كل واحد
منهم لصاحبه موازناً • وفي الرعايه لرفيقه مقاوماً • والشعب الذي يهتك في جملتهم • حتي

صاروا في اللاهوت مقاومين • من معني اتباعهم اياهم • كمثل ما يتبع فرجات الزلازل
ما قرب منها ودناها • وما يجري ايضاً في امراض الوبا من حال الخدام والاهل • اذا ما
كان المرض يدب من واحد الي واحد بسهوله • وغير ذلك من حال المسكونه باسرها
في انفصالها فصولاً • اتبعت المخالفين حتي صارت ناحيه للشرق • وناحيه للغرب •
قسمين منفصلين يقاوم بعضها بعضاً • الي ان كادت تصيرها تان الناحيتان ناحيتين
من معني اعتقاد اصحابها • اكثر مما تكون ناحيتين من معني مواضعها • الي متي يكون
هذا لي • وهذا لك . والحديث والعتيق • والمتكلم والروحاني • ومن حسن جنسه ومن
ساء جنسه • الغني بالغزار والفقير بالاقلال • اني استحي لهذه الشيبه ان ادعا
لقوم اخرين واكون اليهم منسوباً بعد ما كانت نسبتي للمسيح • اذ كان هو الذي
ملصني • لست احتمل حيلكم ومناظركم • وهذا الجنون في المقاومه بالنفقات والاجتهاد
من حيث يكون تنصب النير علي عجله • وتنصب آخر يقاومها • ثم نتصايح ونصاطح
الهوا عن قليل مثل اوليك • ثم كانّنا ناخذ التراب ونرجم السما مثل الموسوسين • ثم
نتخذ وجوهاً اخري فنتم بها خصايمنا • ونصير قضاه اردياً في المباهاه وحكام امور
لا معرفه عندهم • يكونون اليوم موافقين في الكراسي والراي متي هبت ريح قدامهم •
ثم يصير والاسما بحسب ما تقتضي العداوه والمقاومه • واشد من هذا انهم لا يخزون
في استعمالهم قوماً سامعين منهم الشي وضده • وانهم غير ثابتين علي شي واحد • بل
المخاصمه والمناظره قد جعلتهم في وقت اخرين • وفي غير اخرين • مثل التغيير
الكاين في اورنين والجزر والمد • كمثل ما لو كان صبيان في السوق يلعبون ويلعب
بهم في الوسط • قد كان قبيحاً منا وغير لايق بنا ان نترك مواضعنا ونتبعهم •
ونجري بجريهم • لانه لا يحسن بالشيخ ملاعبة الصبيان • وكذلك اذا كان قوم
اخرين ذاهبين وعايدين • وكان عندي انا ما هو افضل مما عندهم فلن ارضي ابداً
ان اكون واحداً منهم • ولا اكون علي ما انا عليه حراً مع خمول الحال • ومع هذا
ايضاً فقد يلحقني مثل هذا الشي ولست موافقاً لكثير من الاشيا • ولا ارضي ان اسلك

يكون
طرتفهم . وقد يجوز ان ذلك بتهور وقلة بصر . لا ان ذلك قد ينالني وهو
انني انسان . يحزنني مطربات غيري . واطرب باحزان اخرين . حتي انني
لا عجب ان شددت وربطت كانسان بشي فعله . ولا يصعب علي ان كانت صورتي
عند الكثيرين صورة جاهل . بحسب ما يقال . انه لحق انسانا من فلاسفة
اليونانيين حتي نسبة منه العفة الي جنون . لانه كان يضحك من كل شي . اذ
كان يري ما قد حرص عليه الكثيرون للضحك اهلاً . ولا يصعب علي ان يتوقع
في ايضاً اني مملوا مصطاراً بحسب ما نسب اليه تلاميذ المسيح لما تكلموا بالالسن .
وجهل منهم ان ذلك كان قوة من الروح . ولم يكن سقوط عن عقل . فانظروا الي
ذنوبنا . منها قولهم . لك زمان هذا مقدار مذ دبرت الكنيسه . وكانت
معك هبوة الوقت . ونظرت صاحب الامر . وكان لك مثل هذا الامر اليسير . فماذا
الذي بان علينا من النقله الي صلاح الحال . كم من كان فيما تقدم علينا وكان لنا
شاتماً . وماذا الذي لم يلحقنا من الشده . اما لحقنا شتيمه ووعيد وهرب واختطاف
اموال . وقبض علي نشب . وغريق قسوس في البحر . اما دنست هياكل قديسين
بدما . وصارت نواويس بعدما كانت هياكل . اما ذبح قسوس واساقفه وبطاركه
ان قلنا قولاً احض من هذا . دبحاً مشهوراً لم يكن كل موضع قد منع منه اهل
العباده الحسنه من العبور فيه . افلم يجري كل ما عساه ان يقوله احد من
الشدايد . فلما امكن ان يفعل عاد الامكان الي حسن الصنيع . وقد كان الواجب ان
يودب الشام . وانا لنري غير ذلك مما قيل . فاحوالنا نحن اذاً لا نقول انها
حالك . لم لا تذكر . اما طردنا . واما شتمنا . واما صرفنا عن البيع والمنازل
والبراري الذي هو اشد الاشيا . واما صبرنا علي جمع قد هاج وابرشيين
قد شتموا . وملوك شتموا مع اوامرهم . ثم ما بعد ذلك صرنا الاقويا . وفر الذين
كانوا لنا مضطهدين . هذا حسبي عقوبه يعاقب بها الظلمه . حسبي السلطان
والمقدرة علي ان افعل . لا ان غيري ليس رايه كذلك . لا انهم لمتوفرون

علي

علي المجازاه • وطالبون العدل فيها • فلذلك يطالبونا بما يقتضيه الوقت ويقولون •
ايما بيرفس غرم • وايما جمع ودب من الهب الجوع وهاجها • اي خوف او رونه عليهم
ير تدعون به في المستانف . لعلهم يعيرونا بهذا الاخر • بل وقد عيرونا بالتباهي
في المايده • وما يستحوا منه من اللباس • والسير بالمطرقين • والسمة والهيبه علي
المخالطين • الا انني قد كنت جاهلاً • بان ما راتنا قد كان سبيلها ان تكون في لا اتابيين
ولا مرضيين والكار من الصرادغه الذين ما لهم مكان يطرحون اليه اسبابهم • وكان
سبيلهم عندهم ان يضيق بنا البطن في تنعمنا بما هو للمساكين • ونستعمل الاشيا الضروريه •
فيما كان فضلاً ونكون علي المدايح مملين • وتحملنا خيل طربه • ونرتفع علي سروج
بهيه • ويتقدمنا من يطرق بين يدينا ويكبر لنا • حتي يهرب منا كل احد . كما يهرب
من الوحوش • وينفرجوا • ونكون من بعيد بينين • اننا جايون • فان كان عندهم شديداً •
فقد كان وعبر • فهبوا الي هذه المظلمه • وانصبوا آخر يكون يعجب جماعتكم • واعطوني
انا البريه والسكني فيها • والله الذي انا قادر ان ارضيه وحده بالدناه • لعمري ان
يصعب ان نعدم لاقوال والمجامع والمواسم وهذه الاصوات التي منها تتطير وتخلوا من
الخواص ولا صدقا والكرامات وجمال المدينه وعظمها • والبرق الذي يشرق من كل
ناحيه علي من ينظر هذه الاشيا ولا يرتد الي دواخله • الا ان ليس ذلك باعظم من قلقي
وتدنسي بالاضطرابات الكاينه في هذا الوسط والغليان والميل الي الكثيرين • لانهم
ما يطلبون كهنه بل خطبا • ولا مدبري نفوس • بل حفظة اموال . ولا مضحيين
اطهاراً • بل متقدمين اقويا • الا انني احتج عنهم فاقول • اننا نحن علمناهم هكذا ان
نصير للكل كلاً • ولست اعلم لاية خصله من الاثنتين • هل لنخلصهم او لنوردهم .
فماذا تقولون • اقنعناكم بهذا الكلام وغلبنا ام قد نحتاج الي اقوال اقوي من هذه في
الاقناع • نعم بحق الثالوث بعينه الذي اياه نعبد وتعبدون • بحق رجاينا المشترك
وباتفاق هذا الشعب منوا علي بهذه المنة • وشيعوني بالدعا • وهذا فليكن لي
جايزه علي الجهاد • اعطوني منشور الصفح كما يعطي الملوك الجند • وان اثرتم فليكن ذلك

بشهاده . حتي تكون لي المقابله بالكرامه . واستوفيها . وان لم تروا ذلك فاصرفوني كما ترون .
فاني لا افرق بين الحالين . ما دام الله يكون ناظرًا الي احوالنا وعارفًا بها كيف ما كانت .
فان قلتم من هو الذي ندخله عوضًا . قلت ان الرب سيبصر لذاته كما هنا للرعايه . كما
ابصر كبشًا للذبيحه . لانني اطلب شيًا واحدًا . ان يكون ذلك انسانًا من المحسودين لا من
المرحومين . ولا من الذين يتسمحون بكل شي لكل احد . بل يعرفون في بعض الاشيا المعاندة
من اجل الافضل منها . فاحدي الحالين هاهنا لذيذه . والاخري هناك نافعه . فاصلحوا انتم
لنا . وادرسوا اقوال الوداع . وانا اوفيكم اقوال المصافحه . السلام عليكِ يا انسطاسيا يا
سمية حسن العباده . فانتِ التي اقمتِ لنا القول بعد ما كنّا مهانين . يا خدر الغلبه المشتركه .
يا سلوان الجديده . التي نصبنا فيها الخبا في الاول بعد ما كان اربعين سنه في البريه تايهًا ودايرًا .
السلام عليك يا هذا الهيكل العظيم المذكور . والميراث الجديد الذي اتخذ من الكلمه . الذي
يكون الان كبيرًا . الذي كان في الاول ناووسًا فجعلناه اورشليم . السلام عليكم يا هياكل بعدهٍ .
في الجمال . الذي منها كل واحد قد اخذ من المدينه موضعًا . كانها رباطات ما قد اختص الواحد
منها بما يجاوره . الذي بهذا الضعيف ليس نحن بل بالنعمه التي معنا قد ملاناها بعد ما كانت عليه
من القنوط . السلام عليكم يا حواريون نزهتي الحسني . يا معلمي جهادي وان كنت لم اعتدل لكم
كثيرًا . ولعل ذلك كان لموضع اني كنت حاملاً شيطان بولس في جسمي للمنفعه . فمن جهته
الان انصرف عنكم . السلام عليك يا كرسيًا محسودًا ويا علوًا معطيًا . السلام عليكم يا زمرة
روسا الكهنه . والكهنه المكرمين بالوقار والزمان . وما كان حول المايده الطاهره غير ذلك
من خدم الله القريبين من الله القريب . السلام عليكم يا صفوف الناريين الان . واتفاق
الالحان . والوقوف طول الليل . ولطف العداري . وحسن زينة النسا . وعصاب الارامل
واليتامي وعيون المساكين التي كانت الي الله والينا ناظره . السلام عليكم يا منازل محبة
الغربا والمسيح . التي كانت لضعفي ناظره . السلام عليكم يا عشاق كلامي وعدوكم واجتماعكم
والاقدام الظاهره والمستوره . وهذا الشرحت الذي كان يضغطه المتدافعون لسماع
الكلام . السلام عليك يا ملك ويا مملكه . والسلام علي كل من حول الملك . من خدام

وخواص

وخواص بيت . ان كانوا للملك امنا . فلست اعلم لما انهم لله علي الامر الاكبر بعيدون من الامانه .
تصفقوا بالايدي . وصيحوا صوتا حادا وارفعوا الي العلوا . خطيبكم . فقد صمت عنكم اللسان
الحبيب الكلمات . لا انه لا يمسك بالكليه . بل سيقابل باليد والمداد . ولكنه الان قد
سكت . السلام عليك يا مدينة عظمي ويا المحبة للمسيح . لاني اشهد لك بالحق . وان كانت
الغيره علي غير معرفه . فان الانصراف والانفصال . قد جعلنا اشد دعه ولينا . فتقدموا
الي الحق . وانتقلوا ولو باخره . واكرموا الله اكثر مما جرت به العاده . لان النقله ليس
فيها قبح . وانما الهلاك في المحافظه علي السوء . السلام عليك يا شرق ويا غرب اللذان
من اجلهما ومن قبلهما علينا القتال . والشاهد فهو الذي يصلح بينكما . ان تشبه بانصرافي .
ولو قليلون . فان الذين يتخلون عن كراسيهم فلن يضيعوا الله معها . بل يكون لهم الكراسي
في العلو . الذي هو ارفع منها واحرز بكثير . ومع هذا وقبل هذا فاني اهتف قايلا . السلام
عليكم يا ملايكه حافظه لهذه الكنيسه . ومشرفه علي حضوري وانصرافي . اذ كانت احوالنا
بيد الله . السلام عليك يا ثالوت يا جمالي ومدبري وهداوتي . فلتكن مخلصا لهولاي .
وهولاي الذين هم شعبي . فانهم لي . وان دنونا من حيث طريقه اخري .
وليته يا بني الخير ايك في وقت مرفوعا ناميا بالقول والسير .
يا بني احفظوا وديعتي . واذكروا رجمتي .
ونعمة ربنا يسوع المسيح مع جماعتكم امين

الميمر الخامس والعشرون

لابينا المعظم في القديسين غريغوريوس الثاولوغوس النازينزي
قاله في نزول البرد وصمت ابيه عن الوعظ وسوال الرعيه له ان يعظهم

لم تنقضون ترتيبا ممدوحا . لم تلزون لسانا للناموس خادما . لم تستدعون نطقا للروح
مطاوعا . لم تذرون الراس وتسارعون الي الاقدام . لم تتجاوزون هارون وتقصدون
العازر . انا ما اقبل ان استمد عين فايضه وانصباب ساقيه ناقصه . استتار شمس وظهور

كبكي . ان يتواري الشيب وان تضع نواميس الحداثه . ان تصمت الحكمه . ويتقدم علي
البهاء قلة الخبره . فليس الاكثر من الغيث انفع من اليسير من القطر . وما الفايدة
في ان ياتي احدهما بقوة شديده فيجرف الارض ويضيع الاكار مع راس المال . والاخر
ينصب مهلا مهلا فيغوص في القعر ويسمن في الارض وينفع الفلاح ويغذي
السنبله حتي تاتي بثمر في غمر في وقته . وليس الغزير من الكلام انفع من
الحكيم . وذاك ان احدهما ربما سر قليلا فانصرف وانحل مع الهوا الذي قرعه ولم
يقدر علي شي اكثر من هذا بل سلب السمع الوله له بحسن اللسان . والاخر
فهو الذي ينفذ الي العقل وينفتح فما بالروح مفعما فيظهر طوله في تولدته فيثمر كثير مما
قل من اللفظ . هذا ولم اذكر بعد الحكمه الصادقه الاولي التي اكارها العجيب . هذا
الراعي الذي قد فاز منها بالاول والافضل . فان الحكمة الاولي هي السيرة الممدوحه
التي تطهرت لله او هي علي الدايم مطهره للزايد في الطهاره والبها . الذي يطلب
منا الطهاره وحدها ضحيه . وهي التي من شان الكاتب ان يدعوها قلبا سحيقا
ودبيحة حمد . وخليقه بالمسيح جديده . وانسانا حديثا . وما اشبه ذلك . والحكمة
الاولي فهي ان يتجاوز التي بالكلام تكرير الالفاظ والمقاومات الزايدة في المعني النجسه .
ومن ها هنا صار احب الي ان اتكلم في البيعه خمسة كلمات بفهم من ان اتكلم ربوات
بلسان وصوت صور غير معروف . لا ينهض صاحب سلاحي الي الحرب الروحاني .
فهذه الحكمه التي امدحها انا . وهي التي اصافحها انا . وهي التي بها يمجد من لم يكن له
حسب . ويتقدم من كان ممتهنا . وبها اصادجع الصيادين المسكونه برباطات
بشارة الانجيل . نغلبوا بالقول الموجز المستكمل للحكمة المتعطله . وليس الحكيم عندي
بالكلام هو الحكيم . ولا الذي له لسان يحسن عطفه ولا يمكنه ضبط نفسه وتاديبها .
فهو مثل القبور المزينه حسنا من خارجها وصديد الاموات من داخلها . كان قد
اخفي نتنه وستره . بل الحكيم عندي من نطق بيسير من الفضيله واظهر الكثير
في فعله . فاضاف الي الكلام التصديق من سيرته . والحسن المتصور عندي

افضل

افضل من المرزوق بالكلام . والغني الذي قد حوته الايدي انفع من الذي تختلقه الاحلام .
والحكمه ليست الزاهره بالكلام بل المبينه بالافعال . وهي الفهم الصالح لكل صانعيه .
بحسب ماقيل . ولم يقل القايل انها صالحه لمن يكرز بها . ولا استقصا في امتحان هذه
الحكمه والزمان . واكليلها بالحقيقه فهو شيخوخة الفخر . وان كان لا ينبغي ان يعطي
الطوبا لانسان قبل اخرته علي راي سليمان وراي انا . وكان مايولد اليوم الا في
خفيًا الموضع العودات الكثيره في حياتنا السفلي . وفي جسم الذله . من حيث تقلقله
وانتقاله علوًا وسفلاً . وكيف لا يكون من قد استفرغ كثره هذا العمر بغير عيب . وقد
حصل في المثل عند موافي لجة الحياه المشتركه احرز من امامه الكثير من البحر . فهو
من هاهنا شديد السعاده . فلا يطبق علي لسان قد نطق بالحسني كثيرًا . فثمار
كثيره وغلات بره غزيره . وان اردت معرفة كمية اولاده . وكم هي من كنوز فارفع
الحاظك دايره وانظر . فذلك كل هذا الشعب الذي ولده بالمسيح مع بشارة الانجيل .
فلا يبخل علينا بالكلام الذي هو وان كان قليلاً فالصلاح منه اكثر منه . واغزر . ولا
نقدم مقدمه لما نتوقعه من الغرامه . فانطق بامتي قيل . كان احب الي والذ . وان كان
لا يسمع استماعه فانه معروف بالصراخ الروحاني . الذي به استمع الله من موسى وهو
صامت . فقيل له . لم تصرخ الي . وانا الذي يناجا مناجاه عقليه . فاصلح لي يا ابتاه
وانت هذا الشعب وانا من رعيتك . وبعد هذا فراع . وفيما بعد رئيس رعاه .
وعلمني انا شيًا مما يحتاج اليه الراعي . ولهذا الشعب شيًا في الطاعه والانقياد . وتفلسف
بشي في هذه الافه . في احكام الله الواجبه . ان كنا ندرك ذلك او نجهل القعر العظيم .
واذكر كيف الرحمه بالموازين . علي ما ذكره اشعيا القديس . وليس الخير بغير حكم وتمييز .
وان كان الذين قد تقدم سبقهم في الكرمه قد توهموا ذلك . من حيث لا يفهموا معني
المساواه في عدم المساواه . والرجز بحسب الاثام . فهو كاس مذكوره بيد الرب وقدح
سخطه مشروب . وان كان ينقص منها لكل احد شيًا من استحقاق الواجب . فيمزج
صرف الرجز بتحنن علي البشر . ويميل من القساوه الي الامهال . فياتي بذلك للذين

يدبهم الخوف . والذين يحملون من الحزن اليسير حملاً . يطلقون منه بعوده . فيلدون
روح خلاص كاملاً . ويحفظ مع ذلك الفكر الذي هو الغايه من الرجز . يستفرغه كله
الذين لايتداوون من الصلاح بل يتعطلون . مثل فرعون الثقيل القلب المُرّ في عطا
الاعمال . فيصب ماجباه منه بيساً لقوته علي الفاسقين . قُل لنا . من اين هذه الافات
والضربات . وما الكلام فيها . من اي شيئين هي . هل هي حركه ما من الكل لاترتيب لها
ومسير لاتدبير لهُ فيه بلا قياس كانّه ليس احد مشرف علي الموجودات . بل هي تاتي
بذلك . وتتحرك من ذاتها . علي معني الاتفاق . وبحسب ما ظنوه قوم من الحكما . الذين لاحكمه
عندهم . الذين هم يحركون حركه باطله . من روح مُظلم لاترتيب لهُ . ام ذلك بقياس
وترتيب ما . فبحسب ما خلق الكلّ في الاول . وامتزج وارتبط وتحرك بجمال يعرفهُ المحرك
وحدهُ . وكذلك ينتقل فيما بعد ويتحرك من حيث تقودهُ وترشدهُ لجم التدبير . من اين
الجدب وفساد الرياح والبَرد الذي هو ضربتنا في هذا الوقت ووعظنا . من اين فساد
الاهويه والامراض وغليان الارض وتقلقل البحر والمفزعات من السمآ . وكيف تكون هذه
الخليقه المنظوم لاستمتاع البشر والالتذاذ المشترك والمتساوي في الكرامه . تنتقل
الي عقوبه الفاسقين . حتي يكون ما كُرمنا به ولم نشكرهُ . قد صار لنا تاديباً . لنعرف
المقدم مما قد المُنا به . لاننا ما عرفناها لما لحقتنا الحسَني منه . وكيف يعطي قوم من يد
الرب خطاياهم مضعفه . فيمتلي مقدار الشر ويستوي بالضعف الذي ودبّ به اسرايل .
وكيف قوم اخرون يعطون في احضانهم سبعة اضعاف يَستفرغ بها اثامهم . وما هو
كيل المعودين الذي ما امتلي بعد . وكيف الخاطي اما يُترك . واما يُعاقب ايضاً . احدهما
يُحفظ له في المثل هناك . واخرون يداوي به هاهنا . وكيف الصدّيق اما يُنقّي ممتحناً .
او يمتع بالرجا محفوظاً . ان كان ضعيفاً في فكرهُ ولم يكن فوق المبصرات جداً بحسب ما
يعلمه نية كل واحد من الاثنين . التي هي مجلس حكم قد اختص به كل احد في باطنه
لايكذب . وماهذه الافه . ومن اين . من اي الشيين هي . هل هي اشهار الفضيله . ام عقوبه
علي السيئه . وانما الاجود علي الحال ان نرضخ . ونحني لها كانها عقاب . وان كانت صورتها

ليت

ليت كذلك . ونذل تحت يد الله العزيزه . ام نتبجح ونترفع كانها امتحان . هذا علينا
يا ابتاه وعظنا بالا يصعب علينا ما ورد من هذه الضربه . ولا ننحط الي قعر الشرور
فنتهاون . فانه قد يكون مثل هذا الوصب في كثيرين . بل نتقبل هذا الوعظ بعقاب لئلا
نستدعي الي اكثر من ذلك . من قلة الحس بهذا . فان جدب الارض وهلاك الثمار شديد .
وكيف لا . وقد كانت سرت بالامال . وقربت من المخازن . فالحصاد في غير وقته شديد
اذا ما كان الاكارون علي اعمالهم معبسين . وكانوا علي غلاتهم جالسين كقوم مرابطين
امواتا . فالذي رباه الغيث الانيس حصده الوحشي . فلم يملا الحاصد يده منه .
ولا حضنه الذي يجمع السنبل . ولم يحصل له التبريك الذي يهبه عابري السبيل للاكره .
فما اشده من منظر . واحقه بالترثي . ارض قد شمت وخلقت لم يبقي عليها شي من
زينتها . علي مثل ذلك ينوح يوييل السعيد في ذكر الشده من فساد الارض .
وعقوبة الجوع . ذكرا زاد فيه علي غيره . وينوح ايضا نبي آخر . فيجعل بعد الرتبه
الجميله في الاول . ضدها في القبح اخيرا . فيما ذكره عن سخط الرب اذا ما فنت الارض .
فيقول . ان قدامه جنة ترفه . وخلفه بقعة هلاك . فهذه عظايم شديده
وتتجاوز الشده . ما دامت تعم بحضورها وحدها . ولم ياتي بعد حسن ضربه اصعب
من هذه تعم . لان مثل ذلك في المرض الالم المودي في وقته . لانه اشد آلما مالم تحضر
بعد اديته . فالاشد من هذه الاشيا . هو ما قد خزنته خزاين الله عندها . مما لا يطرق
اليكم ابدا ملابسته . ولا نالكم شي من ذلك . اذا ما التجاتم الي رافة الله من يد الرحمه .
واجتذبتموها بالدموع . فرددتم بذلك باقي الرجز عن نفوسكم . فهذه تدعى دعه
وحنان وتاديب لين . واصول ضربه تودب صبي . وذلك بعد دخان رجز ومقدمة
عقوبات . لانه لم تاتي بعد نار ملتهبه التي هي شدة الحركه . ولا جمرات تتقد وهي
اواخر الضربه . وانما قد وعد بشي من ذلك . وبسط بعضه . وامسك الباقي بشدته .
وقدم شيا . فهو بالسوا يودب بالضربه وبالوعيد . ويطرق سبيلا لرجزه . لموضع

الغـ[...]ـط من خير بيته . فيبتدي من الصغار . حتي لا يحتاج الي اشد منها . وقد يودب
الكبار ان اضطر اليها . وانا فقد اعرف حربه تلمع . ومديه قد امرت بان تذبح وتطرح
رقاب تمرو ولا تشفق علي لحم ولا مخاخ ولا عظام . وقد اعرف ان الذي لا يلحقه وصب .
قد يتجبر في بعض الاوقات مثل الدب . ويتقلي مثل النمر علي طريق الاسوريين .
ليس الذين كانوا في ذلك اليوم وحده . بل وكل من كان في هذا الوقت من معني شر
صورتنا . وليس يمكن الفرار من عزة سخطه وسرعته . اذا ما اشهر وابرق علي
سياتنا . وطردة اعداه غير تعرف المخالفين نقضا واستغاضا وغليانا وتفتيت
قلب وانحلال ركب . ومثل هذه الاشيا يقاتل بها الفاسقون . هذا اذا ما تركت ذكر
التهديدات التي هناك . التي يسلم اليها الاشفاق هاهنا . فيتبين من ذلك . ان
الاجود التاديب والتطهير هاهنا . من التسليم الي العقوبه هناك . بحيث ان
الوقت هو وقت عقوبه وعذاب . وليس هو وقت تطهير وتهذيب . كما ان الذاكر
لله هاهنا . خير من ذاكره بعد الموت . وقد تفلسف في ذلك داوود الالهي تفلسفا
حسنا . وكذلك ليس للماضيين الي الجحيم اعتراف واصطلاح . لان الله قد اغلق
هاهنا علي المعيشه والعمل . وهناك علي الفحص والمطالبه . بالاعمال . فماذا نصنع
فيما يدهم من ذلك اليوم . الذي به يفزع بعض الانبيا . اما في مطالبة الله لنا
ومقاولته في الواجب . واما فيما سمعنا به علي الجبال والروابي . واما فيما كان علي
اي صوره وحال كانت . اذا ما كان لنا موافقا ومبكتا . ونصب في وجوهنا
اثامنا . فتكون هي الحجة المره علينا . ويقيم ما اتمنا فيه بازا ما احسن فيه
الينا . بحدا ما نالنا من خير . واتيناه نحن من اثم . واورد شيا بدل شي . وصدع
مكرا بفكر وقوم عملا بعمل . وطالب بواجب الصوره التي تفكرت وتخلطت .
وباخره صرفنا ونحن خازيون من نفوسنا . والحكم واجب علينا . لا يتسع لنا ان .
نقول . اننا قد ظلمنا بحسب ما يكون في ذلك هاهنا عزا من القول لمن اوهبت عليه

حكومه

حكومه . فمن يكون هناك مساعدًا في حكم . واي تلفيق قول . واية حجة بكذب . ولا ايما
اقناع واي ما حيلة تحتال بها علي الحق . وتدفع بها ذلك الحكم . وتشرق الحكومة المستقيمة .
التي قد وضعت كل شي بالميزان . والعمل والقول والفكر . وتوم بجد الشرور . ماكان من
الفضايل حتي يغلب المايل . ويكون الحكم مع الاكثر . وبعد هذه الحكومه ليس اختيار . ولا
قاضي ارفع . ولا حجة باستصلاح من اعمال ثانيه . ولا دهن من العذاري الجاهلات
والعاقلات . ولا من بايعين نستمد منهم المصابيح الفانيه . ولا توبة للغني وهو دايب
في اللهيب . ولا استصلاح اذا ما طلبه لاهله . ولا اجل توجل للعوده . بل الحكم فرد مهيوب
وهو آخر . عدل عادل اكثر من كل مهيوب . بل انما هو مهيوب من جهة انه عدل . اذا ما
وُضعت الكراسي . وجلس عتيق الايام وفُتحت الصُحف . واُطلق نهر النار . وكان النور
من هاهنا . والظلام من هناك مُعدًا . وتفد صانعوا الخير الي قيامة الحياه التي هي بالمسيح
للان مستوره . وبه فيما بعد ظاهره . وصرف صانعوا الشر الي نشور الحكم . الذي بالزام
من الكلمه . التي تدين لمن لا يومن بها . ويقبل النور الذي لا يوصف لقوم . ومعرفة التالوت
الملكي المقدس . من حيث يشرق ببيان شديد وبقآء مبين . ويختلط بكل العقل امتلاطا
كليًا . وهي وحدها التي اري انا انها خاصة ملكوت السمآء . ويلقي قوم اخرين عقاب مع
غيره . بل قبل غيره . وهو الاطراح من الله والبعد . والخزي في النية الباطنة الذي لا
اخر له . وذلك فيكون فيما بعد . اما الان فماذا نصنع يا اخوتي الاذلا . المتسكرون بالسكري .
لا من مسكر . ولا من خمرة . تقلقل وتظلم قليلاً . بل من الضربه التي اوردها الرب . القايل .
وانت يا قلب اهتز وتقلقل . قال ذلك . الذي يسقي المتهاونين روح حزن وتندم . الذين
يُقال . انه قيل لهم انظروا ايها المتهاونون واطلعوا واتعجبوا من العجايب وتغيبوا .
كيف نحتمل تبكيته . وماذا نعطيه من جواب اذا ما عيّرنا علي كثرة احسانه . الذي بقينا
علي ترك شكره . وذكر مع ذلك الافات وعدد المداواه التي عنها ما تداوينا . ودعا وقال النا.
يا ابنا لكن ذوي عيوب . ويا اولادًا ولكن غربا قد عرجوا عن سبله . لا حادتهم عن الطريق الي

خزونها . يعني نخزونتها . كيف ينبغي وكيف كان يجب ان تودبوا . فما ادبتكم بما اوردته مما
لاَن من المداواه . قد تجاوزت عن دم مصر الذي شرب مع الينابيع والانهار وكل معين
ما . وذلك الضربة الاولي من ضرباتها . وتعذيب الضفادع والدباب والدبان وتلك
الضربات التي دهمتها فيما بعد . وابتدات من البقر والبهايم والغنم وهي الضربة
الخامسه . وقصدت الدواب مشفقاً علي اولي النطق . ولم يكن عليكم في ذلك انكسار . بل
صرتم الي اقل نطقاً وادباً . مما اوردت الافه عليه . وحلت به . امسكت عنكم القطر .
وامطرت ناحيه . والاخري التي امطرها فجفت فتقلتم بتنجع . اوردت عليكم البرد ليوديكم
بالضربة السابعه فحصدت كرومكم وغواب اشجاركم وغلاتكم فلم اهدم شروركم . وقد
اعلم انك صلب غليظ . وان عنقك عصب حديد . هذا ما قاله لي . عندما الاعتني
بالافات التي وعظت بها . ولا بالوعيد . الجاحد يجحد . الفاسق يفسق . الوعظ الوارد
من السما لا شي . الضربات لا شي . قد عدم الكور وفقد الرصاص . وذلك ما عيرتم
به في القديم علي لسان ارميا . الضراب يضرب بالملا . اذا كانت شروركم ما ذابت .
اتقدرون انكم تقدرون علي احتمالي ساخطاً . يقول لكم الرب . اوتظنون ان يدي لا تقدر ان
تورد عليكم آفات اخري . عند شرار نار ملهب من دخان اتون كان موسي قد ربتها علي
السما . اوغير ممن كان خادماً . حركه الله بصورته . فادب مصر بمرض . وعندي ايضاً
جراد وظلمه تلمس وهي الضربة الاخيره في الترتيب والاولي في الوجع والقوه . وفي فساد
الابكار وهلاكهم . ومن اجل الخلاص منها . والانحراف والتواري عن المهلك . من اجود
الاشيا وهي عتب العقل . وهي العلم والعمل . والاستيثاق منها بخاتم الخلاص الكبير . الذي
هو دم الوصية الجديده . اذا ما انصلبنا مع المسيح ومتنا بموته . لننتشر معه . ونمجد
بمجده . ونشارك في ملكه الان وفي ظهوره الاخير . ولا ننكسر وننطحن ونتوح . اذا ما
ضربنا الشرير مهلك بكورنا . التي هي حركات ومولدات حياتنا . التي كان يجب يقربها
الله . ويفعل ذلك نجاه في هذا العمر المظلم . ياليته لا يصير لي مع الافات الاخري
ان اعير وبهذا من قبل الخير . اذا ما سلك نحوي بغضب وانحراف لموضع انحرافي .

فيقول . شدختكم وقرعتكم باليرقان والحمي والصداع لاغير . آتكلكم السيف من
خارج ولم ترتدوا ولا رجعتم . ولا علي مثل هذا الحي . يقول الرب . فلا اكون كرما
للحبيب . اشعث بالشعث بعد النصب والتدعيم والتسييج . والتحصين ببرج
وغيره بحسب ما امكن من الحصانه . وانتم بعد ذلك شوكا فيتها ونبي . ومن اجل
ذلك يهدم البرج وينتزع السياج . ثم لا يكسح ولا يفلح . بل يصير لكل احد نهبا ومسبه .
مشتركه ومداسا . فهذا هو خوفي وكلامي . وبهذه الصوره انا مكروب من هذه
الضربه . فاصلي بمثل هذه الصلوة . التي انا زايدها فيما قلته . قد اخطانا وقد اسانا .
تدحدنا عن واجب العاده . لاننا نسينا وصاياك وسلكنا خلف هوانا الخبيث . وسرنا
سيره تخالف الدعوه . وبشارة مسيحك والامه المقدسه . واستفراغه من اجلنا . لاننا
صرنا عارا لحبيبك . فرق الكاهن والشعب معا . حدنا جميعا ونقصنا . فليس صانع
حكما وعدلا حتي ولا واحدا . اغلقنا رافتك وحنانك . واحشا رحمة الاهنا الموضع شرنا .
وخبث صنايعنا التي بها تقلبنا . انت لعمري صالح الا اننا نحن قد اسانا . انت ذو اناه الا اننا
نحن للافات اهلا . ونحن نعرف صلاحك وان كنا جهالا . وقليلا ضربتنا بالاضافه الي
ما اخطانا . انت مهيوب فمن الذي يقاومك . ان الجبال فلتاخذها منك الرعده . ومن
يثبت علي عظمة عضدك . ان انت رججت السما فمن الذي يغيثم . وان انت فتحت
طوابيقها فمن الذي يطبقها . سهل علي الحاظك ان تفقر وتغني . وتميت وتحيي .
وتصرع وتبري . وعند ارادتك فالفعل كاملا . انت سخطت ونحن اخطانا . هذا
قول بعض القدما عند اعترافه . واما انا فالوقت يدعوني ان اقول ضد هذا القول .
نحن اخطانا وانت سخطت . فلذلك صرنا معيره لجيراننا . رددت وجهك عننا
فامتلانا هوانا . فاكفف يا رب . امهل يا رب . العفو يا رب . لا تسلمنا الي الغايه من
اجل سياتنا . ولا تودب غيرنا بضرباتنا . بل يمكننا نحن ان نتادب بعقوبة اخري . فمن
هولاي الامم التي لا تعرفك . والمملكات التي ما خضعت لعزتك . واما نحن فشعبك
يا رب وقضيب ميراثك . ولذلك ودبنا بصلاح لا بغضبك . ولا تجعلنا قليلين

وتصيرنا امتهانًا دون سكان الارض • فمثل هذا القول اجتذب انا الرحمه • فان كان
الاستغفار انما يكون بضحايا ومحرقات علي هذا السخط • فلا نشفق ولا علي ذلك فتشبهوا
وانتم يا احبا بكاهن حنان • نعم يا اولاد حنان • نعم يا مشاركين في الوعظ الالهي والتحنن •
املكوا نفوسكم بالعبرات • وقفوا الرجز • اجعلوا صنيعكم افضل مما تقدم • قدسوا
صومًا • واكرموا مداواه • هذا يامركم به معنا يوبيل السعيد • اجمعوا الشيوخ والصبيان •
الذين يرضعون • المرحوم من الانسان الذي يستحق خاصه التحنن من الله • فقد كنت
اعرف انا اذ كنت خادمًا للرب • ما امرني به ويامركم معشر الموهلين للمساواه في المجد •
ان ندخل مع المسيح • نتقطع مناحه ليلاً ونهارًا بين الدرج والمذبح • ونكون رحمه
في زينا • ورحمه في اصواتنا • ونهتف دايمًا عن نفوسنا ومعشر الشعب • ولا نهون
بشي • لا بنصب ولا بكلام بل مما يستعطف الله به • ونقول • اشفق يا رب علي
+ شعبك • ولا تعطي ميراتك لمعيره • وغير ذلك مما يتلوا في الصلاه • ويكون نصيبنا +
في المرتبه • ونودب الشعب بنفوسنا • تاديبًا يوديهم الي التندم وتلا في الشر • وما
يتبع ذلك من اناة الله وتاخير السوط • هلموا يا اخوه نكفهر ونخر ساجدين •
ونبكي قدام الله الذي خلقنا • نقيم مناحه مشتركه • ونقسم بحسب الاسنان
والاجناس • نعلن بصوت الصلاه عوضًا من الصراخ الممقوت • نقدم هذا الصوت
الي مسامع الرب الصاباوت • نسبق الرجز بالاعتراف • نختار كما ابصرناه ساخطًا
ان نبصره كذلك متعطفًا • فان قال قايل • من يعلم ان كان يرجع ويتوب او قد ابقي
+ خلفه تركه • فانا الذي اعلم ذلك علمًا يقينًا • انا ضامن حنان الله • وانه تبارك •
ما اتي دون طباعه في الرجز وتعود ما يخص طبعه من الرحمه • فاما ذلك فمن قبلنا •
اضطر اليه • واما هذا فانعطافه من ذاته اليه • فان كان يقرع مضطرًا فكيف لا
يحل مستعملاً طبعًا • ولكن سبيلنا ان نرحم نحن نفوسنا فقط • فنفتح الطريق لاحشا
رحمة الاب العادل • هلموا نزرع بالدموع حتي نحصد بالجذل • نصير بني بنين
لاصادوميين • نداوي الشر لا نقني الشر • نسمع انذار يونان لا نحرق بالنار
والكبريت

+ في الحزن اوفر مقدار ودون نصيبنا +

والكبريت . وانّ خرجنا من صادوم فلنلصق بالجبل . نهرب الي سيغور مع بزوغ
الشمس . لا نقف علي شي من البلاد ولا نقلب الي ورا نظرنا حتي لا نجمد فنصير
قطعة ملح . فنكون بالحقيقه شهره لا تموت . وفضيحه علي النفس التي تعود الي
الشر . نعلم ان نترك الخطايا بالكليه فوق البشريه بالحقيقه . وانّما يخص ذلك
الله وحده . وانا تارك ان اقول من اجل الملايكه في هذا المعني شيا حتي لا نقضي
وقتا للاوقات ونفتح فا نا للمقاومات الخبيثه . واما البعد من قبول المداواة .
فيخص الطبيعة الخبيثه المقاومه ومن يتمسك باعمالها . واما الخطا والعوده يخص
البشر . ولكن من كان من اهل الصلاح منهم ومن حزب الخلاص . فان كان التراب
يسحب شيا من الشر . وكان المسكن الارضي يحط العقل الذي هو الي العلو منقاد .
وعلي الانقيا دالي فوق مخلوق . فسبيل الصوره ان تغسل الدرن وتضع الجسم
المزدوج بها في العلو . وتخففه بريش القول . ولقد كان لعمري الا نحتاج الي هذا
الرحض والغسل . والان فننتطهر ما دامت الرتبة الاولي باقيه التي اليها نسارع .
من التاديب هاهنا . ولا نسقط من شجرة الحياه بالمداقه المرّه من الخطيه . الا ان
العوده بعد الخطا . اجدر من التاديب علي الجرم . فانّ الذي يحبه الرب هو
الذي يودبه . والانتهار فقد يخص الوالدين . وكل نفس لا توعظ فهي ايضا
لا تبري . فليس الانجراح شديدا . بل اشدّ منه الايتادب الواحد به . وقد قال
بعض الانبيا في اسرايل الغليظ الذي ما ختن قلبه . يا رب ضربتهم فما اوجعتهم .
ادبتهم فما شاوا ان يقبلوا ادبا . وقال ايضا ان الشعب ما رجع حتي خرج . وما
اعناه . وقد عاد شعبي عوده خبيثه . بتهشم بالكليه منها وبفسد . ما افزع
يا اخوه الوقوع في يد الله الحي . ووجه الرب ايضا علي صانعي الشرور . فالشر مفزع
ومبيد بهلاك كامل . والسماع بالله مهيوب . وقد كان احسن بصوت هابيل
من دم صامت . واقدامه للشرير مدركه . ومهيوب بافعاله وامتلي الكل منه .
حتي لا يكون فرار من حركة الله الي موضع . لا من يروم ان يطير الي السما . ولا لمن

تقصد الجحيم . ولا لمن يلتجي الي المشارق . ولا لمن يريد يختبي في قعر البحر . او في شي من
الاقطار . وقد جزع قبلي ناحوم الكسي فيما ذكره علي البقيه من نينوي في اشهار الاسهار
للاله الغيور والرب المنتظر بغضب من المخالفين . المستعمل من غزارة القساوه .
ما لم يبقي بعده علي الاشرار انتصاراً يكون ثانياً . وانا اذ سمعت اشعيا متهدداً الشعب
صادوم ورؤسا عامورا قايلاً . بماذا فيما بعد تضربون اذا ما زدتم سيبه . فقد اكدت
ان اقشعر وانهمل بالدموع . لا تقول لن يوجد للزياده من الخطيه زياده من آفه .
لانكم هكذا قد استعبرتم كل شي واستفرغتم كل نوع من الافات . بما استدعيتموه بالشر
من ضربه تتجدد عليكم بعد ضربه . فليس عقر ولا قرحه ولا ضربه وارمه .
ومعني قوله . ان الضربه قد عمت الجسم كله حتي صار لا دوا لها . فليس يمكن
ان يوضع عليها الطوخ . ولا يوصب زيت . ولا تعصب بعصايب . وانا تارك
ما ذكر بعد ذلك من الوعيد . حتي لا اصير عليكم ثقلاً من الافه التي قد وردت .
ولكن سبيلنا ان نعلم ما لهذه السوة . ومن اين جفت الغلات وخربت الاهرا .
وفني مرعي القطعان . وقل ما يدرك من محاسن الارض . التي تدرك وقت بعد وقت .
فلم تمتلي البقاع تري بل عبوسه . ولا اكترت البطحاير ٢ بل بكاء . وما قطرت
الجبال حلاوه كالغيث للصديقين . بل انتزعت زينتها وكرامتها . فقبلت لعنه .
من الاضداد . وصارت الارض كلها كما كانت في الاول قبل ان تتزين بجمالها . وقد
اشرقت علي الارض اشراقاً شديداً مشيناً بسكرٍ مهلك . فاف من هذا منظراً
لان الخصب عندنا في الفصل . وانما يعرف الزرع من بقايا حقيره . وبالكدي في حصادنا
بقرا بين المقدمات للرتب . وانما نعرف معرفه من المشهور لا من الشمايل . فهكذا
هو عنا الفساق . وكذلك الزارعون بالرداوه . ان ينظر الانسان . كما جاء في اللغز
العتيق . الي الكثير ويحصل القليل . يزرع فلا يحصد . ينصب فلا يعصر . الموضع
الذي يعمل فيه عشرة فدن بقر يستغل منه كيل . وقرميده واحد . وان يسمع
بالخصب عند قوم اخرين . ويتلذذ القوم بالعوز في نفوسهم . فمن اين هذا وما

السبب

السبب في هذا التكس. ما سبيلنا ان ننتظر قوماً اخرين يبكتونا علي ذلك. بل نكون
نحن الذين نشرف علي نفوسنا. فان الاعتراف والفرار من الجريرة دوآء عظيم لما سبق
من الشر. فاني انا اول بحسب ما عرفت شعبي فيما تقدم. وفرغت من عمل المنتصب
للنظر والمراعاه. وما سترت حال الحريه القادمه. بل رايت ان اصلح حالي في نفسي.
وحال السامعين. وكذلك آخر بعصيان شعبي. واختص لنفسي بما يخصهم. لعل
اصل بهذا المعني الي حنان علي البشر وراحه. فواحد منا ضغط الفقير واختطف
جزواً من ارض. وتجاوز حداً بسواياه وتخماً. اما بان يكون قد سرق او غشم. وجمع منزلاً
الي منزل. وحقلاً الي حقل. ليسترع شياً من يدمن يقرب منه. وحرص ان لا يكون
لجاره شي. كانه عتيد ان يكون ساكناً وحده علي الارض. وآخر فقد نجس الارض
بالربا والتكثيرات. وجمع من حيث لم يزرع. وحصد من حيث لم يبدر. ولم يفلح الارض.
ولكن فلح حاجة المحتاجين. وآخر فاعدم الاله الذي اعطي كل شي. ما يجب له من
مقدمات القرابين عند البيدر والمعصر. فصار لا شكر له. ولا عقل معاً. لم يشكر
علي ما كان حواه ولا نظر في المستانف واستفاده. ان لم يكن بشي آخر. فبالحفظ
والمراعاه. وآخر فلم يرحم ارمله ولا يتيماً. ولا انال خبزاً ولا يسير من الطعام
للطالب. بل للمسيح الذي يتعزا بالقليل مما يصل الي هولاي المعوزين باليسير من هذا
ومعه الكثير. ولعل وفوق ما آمله. وهذا لعمري هو الاشد في الظلم. اذا ما
كان ذاك الانسان قد ضاقت عليه الاهرا. فملا بعضها. وهدم بعضها حتي
يبني للغلات المستانفه اكبر منها. وما علم انه سيخطف قبل وصوله الي ما
يرجوه فيقوم بالحجه عن الايسار والخيلا. اذ كان قد صار بيس مدبر لخيرات
غريبه اي لم يكن مالكها بالكليه. واخر فقد احاد طريق الذليلين وميل
الواجب بالظلم. وآخر ابغض المبكت في الابواب ورفض قول البر. وآخر
فذبح بشبكته لما جمعت كثير. وكان في منازله اختطاف المساكين. فاما ان الله
لم يذكره او ذكره. ذكراً رديا. وقال مبارك هو الرب. فاننا قد استغنينا. وتوهم

قوبل كراس ٤

سببه من حيث قدر ان هذا له من نفسه . فمن ها هنا وجبت عليه العقوبه . من
اجل هذا يجي سخط الله علي اولاد العصيان . من اجل هذا . اما تنطبق السما . واما
تنفتح انفتاح سوء . واكثر ذلك اذا مالم نرجع . ولا بعد ما ضربنا . ولم نقترب من
الذي يدنوا منا دنوًا طبيعيًا . فماذا نقول في هذا نحن معشر خزاني الحنطه . المتجرين
بها . الذين نترقب صعوبة الاوقات حتي نوسر فيها . ونتمتع بمصايب غيرنا ونقتني
ليس ما كان للمصريين كما صنع يوسف بالسياسة الكبري . لان ذاك عرف ان يجمع
ويفرق الحنطه كما ينبغي . بل اقتنينا ما اقتناه الفساق من دونهم . اعني القايلين
متي يعبر الشهر حتي نبيع . والسبوت حتي نفتح الخزاين . الذين يفسدون الحق
بكيلين ووزنين . فيميلون علي انفسهم كيل الاثم الرصاص . ماذا نقول في هذا .
نحن الذين لا نعرف غايه لما نقتنيه الساجدون للذهب والفضه كما سجدوا القدما
للعال واسطرتي ونجاسة خاموص . الذين يتمسكون بلمع الاحجار ونفاستها . واللين
الناعم من اللباس الذي هو للدود قوت . وللصوص والمغتصبين والسراق مخازن .
الذين يبجحون بكثرة المماليك وذوي الاربع . المتوسعين في البقاع والجبال . فبعضها
ملكوه وبعضها يسترثون وغير ذلك . ينتظرون فيتسابقون كمثل علقة سليمان .
التي لم يكن من شانها ان تشبع وتمتلي . وقد اشبهوا بذلك الجحيم والارض
والنار والماء . الطالبين مسكونه اخري يستزيدونها لقنيتهم . فمن ها هنا
يذمون حدود الله . كانها عندهم صغيره . ليس فيها كفاف لشهوتهم ومتاجرهم .
فماذا يقول الجلوس علي المنابر العاليه . الذين يرفعون خبا الرياسه . ويجعلون
حاجب الناظر ارفع ما هو . ولا يفكرون في الاله الذي هو علي الكل . وعلو
الملك الذي لا يوصل اليه . فتكون رياستهم علي ذوي طاعتهم كما ينبغي
ان تكون الرياسه علي من شاركهم في العبوديه . اذ كانوا محتاجين الي المساواه
بهم في الحنان علي البشر . وانظر الي الذين يتفكهون علي الاسرة العاج .
الذي قد احسن عاموص النبي الالهي فيما مسهم به . والي الذين يتغلفون بالانفس

من

من الطيب ويصفقون علي صوت الملاهي ٭ ويتمسكون بالاشيا الهاربه منهم كانها
واقفه عندهم ٭ ولا يتالمون ولا يتوجعون لانطيحان يوسف ٭ وقد كان سبيلهم ان
يكونوا صالحين لمن قد سقط قبلهم حتي يقتنوا الرحمه بالرحمه ٭ وتنوح الصنوبر
لان الشربينه قد سقطت ٭ ومعني ذلك الامتغاص بمصيبة القريب واصلاح
ما خص من الحال اصلاحًا حسنًا ٭ بالحق اضرني من البوس حتي يحصل لهم الزياده علي
من سبقهم ٭ بمقدار خلاص هولاي باوليك ٭ ومن حيث لم يصطلح بهولاي قوم
اخرين ٭ فهذا تفلسف فيه معنا يا هامه الاهيه طاهره ٭ قد جمعت الخير بطول
الزمان ٭ الذي منه تكون الحكمه ٭ بهذا اصلح شعبك ٭ علمهم يفتتوا للجياع خبزًا
ويستروا الضعفا الذي لا ماوي لهم يسترهم ٭ ويغطوا للعري . ولا يغفلوا عن من
كان من ذوي زمانهم ٭ لاسيما في هذا الوقت ٭ حتي يكون الخير من جهتنا ٭ من بعض
ما نحتاج اليه لا مما فضل عنا ٭ فبمثل ذلك من المعروف يفرح الله اكثر من كثرة ما
تقدم ٭ وعظيم ما يزاد فيه ٭ وعلي هذا وقبل هذا فكن لي اليوم موسي او فنحاس ٭
وقف من اجلنا واستغفر ٭ لتكف الكسر ٭ اما بغنميه روحانيه واما بصلاه
ومحاوره نطقيه ٭ اضبط رجز الرب بالوساطه ٭ وقف ما تتبع الضربه ٭ فانه
يعرف الاستحيا من شيبة والد متضرعه من اجل الاولاد ٭ اطلب من اجل السوا ٭
الذي تقدمت ٭ واضمن المستانف وقدم شعبًا بضربه وخوف مطهرًا ٭ اطلب
طعامًا جسمانيًا قبله ملكيًا من السما منحدرًا ٭ فانك ان فعلت ذلك قربت الله الينا ٭
وسكنت السما . واعطيت ثمرًا متقدمًا ومتاخرًا ٭ فان الرب يعطي الصلاح وارضنا
تعطي ثمرتها . اما السفلي قوت يوم بيوم . واما ٭
قوابنا فيعطي الدهري . الذي نوعيه علي يدك ٭
في المعاصر الالهية اذا ما قدمتنا ٭
وقدمت اموالنا بربنا يسوع المسيح ٭
الذي له المجد والعز الي
الادهار امين ٭

الميمر السادس والعشرون

لابينا المعظم في القديسين غريغوريوس الثاولوغوس الناز ينزي مما اجاب به في باب الكهنوت لما عاد من البنطس من اجل تاخره عن قبول القسوسيه ويبين فيه ما هو موعد الكهنوت ومن ينبغي ان يكون اسقف

لقد انخفضت وانهزلت وانا معترف بهزيمتي وانخزالي • لاني خضعت للرب وتضرعت اليه • وليبتدي لي بهذا القول داوود المغبوط • بل الذي لفظ بذلك علي لسان داوود ولا يزال يلفظ به والي الان • لان من افضل الترتيب لكل مبتدي بقول وعمل • ان يبتدي من الله • ثم يعود فيقف عند الله • والسبب في هذا • اما الوقوفي وصغر نفسي • الذي لاجله ابعدت هاربا وسكنت نايا عنكم مده يسيره • ولعل كنتم الي مشتاقين واما لانسي وانتقالي الذي من اجله عدت وجيتكم بنفسي دفعه ثانيه • فليتوهم في ذلك الغير ما شا ان يتوهمه ويقوله ممن كان لنا اما محبا واما ماقتا • احدهما لا يطلقنا من الملامه • والاخر فيحمد ما كان منا • اذ كان لا شي عند الناس ماثورا هكذا مثل ذكر ما لا يختصون به • ولا سيما ان اتفق لهم ان يكونوا متجدبين • اما من حسن راي • واما علي بغض ربما علي الامر الاكثر يشرق الحق فيما بينهما • واما انا فاني اضع الحقيقه فيما بينكم ولا اخزي • وافصل الامر فيما بين الفريقين • من يعدلنا • وممن يعذرنا • ونبسط الاحتجاج عنا • والوم نفسي في بعض ما اقول • واحتج عنها في الباقي • ولكيما ينفذ الكلام نفوذا علي منهاج مستوي • فانا افاوضكم في الاول بحال جبانتي فيما تقدم • لاني لم اوثر ان يمس قوما الم في بابي • ممن يراصد اسبابنا ويراقبها بحرص ان كان الحال فيها مسني ام غير ذلك • لان حالنا • اذ كان الله قد اري لنا ان نكون نصاري • فسبيلي في ذلك ان اشفي من تالم من جهتي • ان كان قوم بهذه الصوره فاطبهم واتلافي امرهم بجوابي • فانه جيد الا يكون احد مخطيا ولا متهما بخطا • فيضع عثره للكثيرين او ريبه • اذ كنا نعلم ان من يريب واحدا من الاصاغر فعليه عقوبه

تقيله لا تنفك عنه . ممن لا يكذب عنده . وانا يا قوم قد لحقني مثل هذا . ليس لاني
عديماً الادب ولا فهم . بل وان افتخرت قليلاً . فما لحقني ذلك من معني التهاون
بالشرايع والاوامر الالهيه . وانه قد يجب . كمثل الجسم الواحد . ان يكون فيه ما يروس
ويتقدم . وما يراس وينقاد . وكذلك امر الله في الكنايس . بناموس المساواه
التي تاتي منها الاستحقاقات . ومن تقدم عنايته بالكل التي بها ربط الاشيا
كلها . انه جعل قوماً يرعون ويراسون . وهم الذين وافقهم ذلك . فصاروا يقومون
بالقول والعمل . وجعل قوماً رعاه ومعلمين لاصلاح البيعه . وهم معشر علي الطبقه
في الفضيله . والقربي من الله يكونون علي معني نطق النفس . لتتركب الحالات
ويمتزج بعضها مع بعض . الناقص مع الزايد كما يكون في الاعضا . فتلتيم الحالات
بنظام الروح ويرتبطون . فينبغ منهم ما يكون جسماً واحداً تاماً . ويكون يسوع
المسيح راسنا بالحقيقه اهلاً . اني لست اري ولا القوم اخرين من الناس . ان
عدم الرياسه والترتيب موافق اكثر من الترتيب والرياسه . بل هولاي ليس هم
بدون غيرهم في الحاجه الي ما ذكرناه . بحسب ان خطرهم اكبر من خطر غيرهم . ولكثير
عندهم . وان لم يتخلص لهم الاول من القول . اعني لم يخطيوا ولا يغلطوا في شي .
والثاني ان يصل لهم . وهو العوده بعد الخطا كانوا علي الافضل . ولما ظهر لي ان هذا
جيد واجب . ظهر لي آخر يساويه في معني البشر وعدم الترتيب . ان يكون كل
احداً يريد ان يكون رييساً . ولا يكون احد مرووساً . وانه ايضاً لو هرب كل احد من
المعنى الآخر . الذي لست اعلم . كيف ينبغي ان يدعي خدمه او يسمي رياسه .
لاختل الكل في اكثر الاجزا . وما كان تمام الكنيسه في الجوده يبقي علي حاله جيداً .
والامن اني كانت تتم عبادة الله في الاسرار التي تودينا الي فوق . وذلك
فهو اكبر الاشيا من اسبابنا وانفسها . واذا لا يكون ملك ولا رييس ولا كهنوت
ولا ذبيحه . وكل ما كان حكم به علي قوم في زلات عظيمه زلوها . وكانوا بها
مخالفين في القديم . ولا يكون ايضاً الصعود من مرووس الي رييس . وكان

ذلك من الاشيا الغريبه الممنوع منها عند كثيرين من المتفلسفين في اللاهوتيات ٠
وكان خارجًا ايضًا عن ناموس الفلسفه وحدودها ٠ موديًا الي العار ٠ فما الذي
يودي الي منفعه ٠ وهذا ايضًا فليس ممنوعًا ولا بملاح من البصرا ٠ ان يتقدم
يجلس علي مقدم السفينه ٠ ولا لمن جلس علي المقدم وعرف الرياح ٠ ان يتقدم
ايضًا فيوتمن علي الرجل منها ٠ وان اردت ايضًا فلن يكون ممنوعًا ولا الجندي هزل
ان يصير الكيرج ٠ ولا الكيرج بجيب ان يصير استراتيغوس ٠ ويوتمن علي رياسة
الحرب ٠ ولاكان مناغير هذا ٠ وما عسي ان قد توهمه بعض ذوي التشنيع المسارعين
الي الاذي ٠ الذي يحكمون علي كل شي ٠ علي حدود النكت الذي فيهم ٠ وهو اني استحييت انا
من الرتبة السفلي ايثارًا للكبري ٠ ولا انا هكذا بصورة من لا يعرف ٠ اما اللاهوتيه
في عظيم شانها ٠ واما البشريه في ذاتها ٠ وانه لعظيم ٠ كطبيعه مكونه ان تقرب
من الله ٠ المنير وحده ٠ البين ضوه ٠ الذي يزيد علي كل طبيعه هيولانيه وغير هيولانيه ٠
في النقا والطهاره ٠ اذا قربت منه اي قرب كان ٠ ولكن ما هو الذي لحقني وما كانت
الحاجه في امتناعي ٠ لاني ما تبينت عند الجماعه ثابتًا في ذاتي ٠ ولا عرفت اني علي
صورتي ٠ بل توهموا في اني صرت غيري ٠ فزدت علي المعني في المخالفه والتهجم ٠
وهذه الاسباب فليسمع بها من كان في القديم مشتاقًا ٠ ولكني انصدعت بما دهمني
كمن ينصدع من اصوات وفقعات بداهمه ٠ فاضطبت فكري ٠ بل حللت عقال
الحيا ٠ وان كنت آليفه في طول زماني ٠ ثم تداخلني صنة الي السكون الماثور والانفراد
الذي لم ازل عاشقًا له عشقًا لست اعلم ان كان غيري يعشق مثله ٠ من الحريصين
علي علوم الكلام ٠ وهذا السكون والهدو ٠ فقد كنت وفي عظيم من الشدايد الصعبه
نذرته وصنته لله ٠ وكنت قد لمسته بمقدار ما صرت في دهليز منه ٠ ثم اشتعل
شوقي اليه اكثر لما مارسته ٠ فاصبرت علي الاغتصاب ودفعي الي وسط التخليطات ٠
وجذبي من هذا العيش الطاهر ٠ الذي لا يسكب مني الي شده اخري اقهر عليها ٠
فرايت ان ليس لي شي غير تغطية حواسي وقبضي عليها ٠ حتي اكون كمن قد خرج من الجسد
والعالم

والعالم وعاد الي ذاته . لا يلامس شيًا من البشريات الا ما دعت اليه الضرورة كلها . فاكون
مسامرًا لنفسي ومفاوضًا لله . احيا واعيش عيشًا يزيد علي المبصرات . وتحصل تلك
الاشباح الالهيه في نفسي نقيه . لا تخالط التماثيل المتسفلة التايهه . فاصير بالحقيقه
مراة لله وللالهيات مجلوه . واكون كذلك كونًا صادقًا . استزيد ضوًا علي ضوو .
وبنور خفي نورًا بينًا . واجني ثمرًا صالحًا من الدهر الاتي . بالرجا الصادق . واساير
الملايكه وانا علي الارض متجاوز الارض . فيضعني الروح في العلو . فمن ملكه هذا
العشق منكم . فهو يعرف ما اقوله ويعذرني فيما يدهشني . لانه لا يمكني ان
اتنح الكافه . ممن يضحك من هذه الحال . ويسي النظر في ذلك . اما من جهله
واما من قلة استحقاقه للميعاد . ومن هذه حاله فهو يجعل لكل شي جيد اسمًا
رديًا . فيعلق بالفلسفه اسم العجب . ويستعين في ذلك بالجسد . وشر
الكثيرين المتاهبين لما زادة رداوته من الشر . فيحصل له الخطا من احد المعنايين .
اما ان يصنعوا الشر . واما لا يومنوا بالخير . ومع هذا فلحقيي شي آخر وساكشف
لكم كل المستور . والذي نالني قلت اعلم ان كان خيرًا . او ان كان قيريانيًا .
الا انه لحقني ذلك . لاني استحيت من اجل قوم اخرين لا يزيدوا في فضيلة علي
كثيرين . وعظيم هولهم الا يكونوا اشر من غيرهم بكثير . هم اذ يقدمون بايدي
غير مغسوله كما يقال . وبنفوس غير مبصره . فيدخلون نفوسهم علي المواضع
المقدسه . ومن قبل ان يستحقوا الدنو من المواضع الطاهره يتسلقون علي
المذبح . وينضغطون ويتدافعون حول المايدة المقدسه . كان هذه الرتبه
عندهم ليست رسمًا للفضيله . بل يظنونها طريقًا للمعيشه . وليست عندهم
انها خدمه تحت تبعه . بل رياسه لا يستقصي عنها . فينتهي امرهم الي ان
يكونوا عن قريب اكثر عددًا من الذين يكونون عليهم . فهم اشقيا عند القنوت .
ومغرورون عند البها . ويبلغ الامر في بابهم الي ان اظن من تمادي الزمان .
بهذا الشي الردي ان يصيروا والي ان لا يكون لهم فيما بعد من يروسون عليه .

اذا صاروا كلهم يعلمون عوضًا من ان يكونوا يتعلمون من لدن الله • كما جا في الميعاد فيتنبا
كل احد . الي ان يصير شاول في المتنبين كما جا في الخبر والمثل • وما يقدم مثل هذا ولا اكثر
في زمان من الازمنه . ولا صار الان • ولا تجدد قوم وانتهوا كما قد صار في هذا الوقت
للنصاري من العار والخطي في مثل هذه الاشيا • وايقافجري هذا الباب وضبطه فهو
اكثر من ان نصل نحن اليه • لان المقت والاستحيا منه فهو جزوًا من الديانه ليس صغيرًا •
والغايه مما اقول • بل الاكثر مما قد قيل • فانا صاير اليه • وهو ذروة القول • ولست
الكذب . لانه لا يجوز مثل هذا لمن يكون كلامه في مثل هذه الاشيا • وذلك لاني ما
ظننت ولا اظن الان • ان الرياسه علي قطيع غنم او قطيع بقر • بل سياسة نفوس
بشريه بالسوا • لانه قد يقنع في الباب الاول ان يبين الراعي • ان قطيع بقره او
قطيع غنمه قد صار ضخمًا سمينًا • والي مثل هذا ينظر راعي البقر وراعي الغنم • ان
يختار من المواضع ما جاد ماوه وغزر المرعي فيه • فيدخل ويخرج من مرعي الي
مرعي . ويريح ويسوق ويجمع ذلك بعصاه • والاكثر بصفارته . وليس لراعي الغنم
ولا لراعي البقر عمل آخر • غير قتال يسير مع الدياب • وان راي عليلًا نظر في
بابه . ثم يكون همه علي اكثر الامر بشجرة بلوط وفي سمين • وقضبان • واي ما
وجد من الرياض موضعًا حسنًا اضجع فيه • عند ما بارد • واصلح له ما يستر كيف ما
اتفق • يترنم بشي من الغزل • ويحمل قعبًا يستقي به الما • ويناغي البقر والغنم •
وياكل منها الاسمن . او يقايض به • واما فضيلة غنم او بقر فما اهتم بها احد
قط . واية فضيله لهذه • واي شي لمثلها جيدًا نظر فيه احد دون الالتذاذ بها •
واما الانسان فصعب عليه ان يعرف كيف سبيله ان يراس • فكيف لا تكاد تكون
معرفته بان يروس الناس اشد واصعب كثيرًا • ولاسيما رياستنا نحن • التي يشتمل
عليها الناموس الالهي • وتحتاج ان تكون الي الله قايده • فبمقدار علو هذه المرتبه •
كذلك الخطر فيما عند من له عقل • فيحتاج من يتلبس بها ان يتقلب في كل ناحيه مثل
من يتامل . ذهبًا او فضه • ويعود في كل وقت وحال الي النظر • حتي لا يكون فيما ينظر

اليه

اليه . اذا ما انتقده بفمه • يدله علي نحاس فيه او بهرجه • ولا يكون قد حمل شيا من ماده
رديه تحتاج الي نار شديدة الحرارة • وكلما راس كثيرين كان الخطر عليه اكثر • اذ كانت
الرداوه الصايره الي كثيرين اشد من الواقفه عند واحد وحده • لانه لا يصل
الصبغ من الصباغ الي الثوب بسهوله • ولا ما قرب من رايحة رديه كريهه او ضدها •
ولا ينصب ويدب في الهوا نسمة سوفيبلغ بالهوا بخارها الي الحيوان • وذلك
فهو الذي يقال له الوبا • مثل ما يتطرق الشر من الرييس وينمي • ويمتلي منه كل
من في طاعته • ويسهل الوصول الي الرذيله من جهته • اكثر من الوصول الي الفضيله
من قبله . وعلي هذه الطريقه وحدها يزيد الشر علي الخير بسهولة تطرقه .
وذلك فهو الذي يثقل علي شديدًا اذا تاملته • ان الشر امر يقرب التشبه به
ويتيسر اكثر من الخير • وما اسهل ان يكون الواحد شريرًا • فانه لن يحتاج الي قايد
يقوده اليه . واما الخير فقنيته فرادي • وهي في موضع شامخ • والوصول اليه
صعب ولو كثر من يقودها اليه • ويرغب فيه • واظن القديس آجاوس النبي •
لما تامل هذا • صار الي تلك الصورة الصادقه العجيبه • فقال • سالوا
النواميس يا كهنه • ان كان لحم مقدس في ثوب • فاتصل بماكول ومشروب
اداناه . هل يقدسه للوقت اذا ما قرب منه • فلما قالوا لا • اعاد السوال فقال •
فان كان الذي يتصل بهذه الاشيا شيا نجسا • اتراه للوقت يوصل نجاسته
الي ما يدنوا منه • فنعرف انهم سيقولون • اجل وان الذي يدنوا من النجس وان
كان طاهرًا فلن تبقي طهارته فيما بعد علي حالها • فماذا اراد بهذا القول •
اراد به علي حسب رايي • ان التمسك بالخير صعب علي الطبيعة البشريه •
كصعوبة تشبت النار بماده رطبه • والاكثر من الناس هم متاهبون لتناول
الشر • كتاهب قصب لقبول شرارة نار مع ريح • فانها تشتعل بسهوله
وتفني ليبسها • والواحد من الناس فاسرع الي استلاب غزير من شر
يسير اكثر من اختلاسه اليسير من فضيله جزيله • والافسنتين اذا خلط

اليسير منه بالعسل اسرع ان يجعله كله مرًّا . واما العسل ولو كان ضعف الافسنتين
لما اوصله الي حلاوته . ومدرع صغيره اذا انتزعت من سكر ساقت النهر كله في
الحدود . واما اعادة النهر الي الورا فلن يقدر عليها ولا الحصن الحصين . واول
الاشيا ما ذكرته . فقد يلزمنا ان نحذر ونتوقى الا نكون مصورين سوا للفضيله .
بل ولا نكون لعل المصورين غير مقاومين . بل للكثير من الناس رسمًا رديًا . ولا نبعد
من الصواب علي ما جا في الامثال . ونروم مداوات غيرنا والقروح فينا تتبع فلا
نداويها . وبعد ذلك . فان حفظ الانسان ذاته نقيه من كل خطيه . او من الاكثر .
فلسنا نعلم ان كان مثل هذا يقنع لمن هو عتيد ان يودب اخرين ويوصلهم الي
الفضيله . لانه ليس يقتنع من قد اوتمن علي هذا الا يكون رديًا فقط . لان هذا
قبيح وبالجماعه من التباع . بل يراد منه ان يزيد مع ذلك من الخير والصلاح علي
ما جا في الوصيه التي امرت . بان يحيد الواحد عن الشر ويعمل الخير . ولا
يكتفي من الرئيس ان يحوا الاثار الرديه من نفسه دون ان يكتب ويمثل ويمكن
الاثار الصالحه . فسبيله في هذا المعني ان يزيد في الفضيله اكثر من تقدمه في
الرتبه . حتي يصل به الحال الي ان لا يعرف حدًّا للخير . ولا للتصاعد . ولا
يتصور ان الذي يتمسك به ربح اكثر مما تصور ان الذي فاته خسران وغرامه .
بل يجعل كل ما حصل بين قدميه درجه الي الصعود والتقدم الي ما بعد . فما
يجب من هاهنا ان نعتد بما يكون منا اذا ازددنا علي جماعه . بل ان نعتد خسرانًا
اذا ما تاخرنا عن الواجب . ويكون تقديرنا ما نعمله بمقدار الوصيه . لا بمقدار ما
يحكمه ويتقنه قوم اخرين ممن يلينا اذا ما نظرنا ان كانوا اشرارًا وكانوا قد وصلوا
الي شي من الفضيله . ولا نزن الفضيله بموازين نزره حقيره . بل بذلك العظيم .
الذي منه كل شي . واليه كل شي . وانها من هاهنا علينا واجبه . ولا نقدر ان
الذي يجب علي كل الناس شي واحد . فالاسنان ليست واحده . ولا تماثيل الوجوه .
ولا طبايع الحيوان . ولا كيفيات الارض . ولا اجمال المصابيح وعظمها . بل نتصور ان

الردي

الردي من العامي . ان يعمل الشر وما يستحق به من العقوبه مما له فيه من الناموس صاحبا
شديدًا . واما شر الرئيس والمتقدم . فهو لا يكون من افضل الناس . ولا يكون الخير
يتضاعف فيه علي الدايم . ان كان نريد بالزياده من فضيلتنا ان نجتذب الجماعه الي اليسير
من الفضيله . ولا ينبغي ان تكون ولايتنا ورياستنا بالالزام والشده . بل بالاقناع والتطريق
لان كلما كان علي كره فهو مع كونه اغتصابيًا غير ممدوح . ولن يكون ثابتًا . لان ما جا
بشده والزام فهو كالقضيب الرطب الذي يجذب الي ناحيه باليد . فاذا خلي رجع
الي حاله . واما ما اتي باختيار فهو في حرز ثابت علي الناموس . مقيد برباط
النيه . فمن ههنا امر ناموسنا وصاحب الناموس . بان نرعي رعيتنا ونقودها
طوعًا لا بالزام . وليكن انسان غير شرير وواصلًا من الفضيله الي غايتها .
لاني لست اري باي صناعه تمسك . ولا باي قوه وتق . حتي جسر علي هذه
الرياسه . لانها بالحقيقه هي صنعة الصنايع . وعلم العلوم . اذا افادت
الانسان الذي هو الحيوان . الكثيره مذاهبه المتلونه فنونه . وافادته النظر فيما
هذه صورته . وقد يعرف الانسان مقدارها . من مداواة الاجسام وطب
النفوس . واذا قايس الواحد بالآخر . واذا عرف صعوبة المداواه في تلك .
وشدة اغتياضها في الاجزي التي تخصنا نحن . وتبين ذلك في طبيعة الماده .
وقوة المعرفه وغاية العمل . عرف مقدار زيادة هذه في الكرامه علي تلك .
لان غنا الصناعه الواحده متعلق بهيولي غايته الي السفل جاريه . وهي علي
كل حال منحله . صايره الي ما في غايتها المصير اليه . ولو وصلت بمعونه من
صنعتها الي الاستظهار علي تقلب الماده ومقاومتها . فلا بد من مرض او زمان
يحلها . فتخضع لطبيعتها . ولا يمكنها ان تتجاوز حدودها . واما الصناعة
الاخري في الحرص منها . علي ما اصلح النفس التي هي لاهيه ومن الله . وهي
مستمده من الحسب الاتي من فوق . وهي الي ذلك الحسب صايره . وان كانت
قد ارتبطت بشي دني . فلعل ذلك لاسباب اخري يعرفها الاله الذي ربطها

وحده • ويعرفها ايضًا من اعطاه الله الحكمه والمعرفه بهذه الاسرار • فاما انا فمن
يجري مجراي • فتعدي ذلك لاحدي حالتين • الواحد لتصل بجهاد ومصارعة الاشيا
المتسفله الي ميراث المجد العلوي • وتمتحن امتحان الذهب في النار • ويكون ما يصل
اليه الماموول مكافاه علي فضل لا امتنانًا من الله • وهذا ايضًا فهو الغايه في الجوده
ان يجعل الخير الذي من جهته خيرًا يختص به ونحن • ولا يكون مزروعًا فينا بالطبع
وحده • بل مستغلاً فينا وباختيارنا بحركات الطاعه علي الجهتين • واما السبب
الاخر الذي لاجله كان ارتباط النفس بالجسم • فهو علي رايي لتجذب النفس الجزو
الادني اليها • وتجعله متعاليًا • وتفكه قليلاً قليلاً من الغلظ • حتي تصير النفس للجسم ما
هو الله للنفس • وتودب الهيولي الخادمه لها بذاتها • وتجعل المشارك لها في
العبوديه مختصًا بالله • واما الطبيب فمن شانه ان ينظر في الاوقات والساعات
والاسنان والعادات وما شاكل ذلك • فيداوي ويسوس ويتحفظ مما يضر • حتي
يقاوم صناعة شهوات المرض • وربما استعمل في موضع من المواضع الكي والقطع
وما لذع من المداواه في بعض الاوقات فربما استعمله • الان لا شي من هذه الجمله
كلها • وان كان موجعًا وصعبًا جدًا لا يعادل النظر في الاخلاق والاثار التي في
النفس والسيره والاختيارات • وما جري هذا المجري في مداواة الانسان • وصرف
كل ما كان صعبًا ومشيًا عن تركيبنا • وادخال ما كان انيسًا وعند الله محبوبًا وتبنيته
عوضه • واعطا النفس والجسم ما يجب لكل واحد منهما • فسبيله ان يكون بالتعديل
حتي لا يقوي الادني علي الافضل • وذلك فهو الاعظم من الظلم في الرئيس المقدم
ان يجي الي الثاني في الطبيعه فيجعله اولاً • بل يرد الثاني بالطبع الي طاعة الاول
فذلك هو الناموس الالهي الحسن الممدوح في كل خليقته • ما كان مبصرًا • وما كان
يفوق الحس • ومع هذا فانا انظر الي شي اخر • وهو ان كل واحد مما عددته
لموضع انه محفوظ للشافي فهو ثابت علي ما جري في طبيعته • لا ياتي بصناعه
يتخبث فيها ويمكر ويحتال بما ياتيه من صناعته • فصناعة الطب انما موضوعها
الهيولي

الهيولي . فهي ترد الامر في الاكثر الاشيا اليها . اللهم الا ان يعرض تخليط يسير من المريض
فلا يعسر التحفظ منه . ولا تقطعه وزواله . فاما نحن فالراحة عندنا ومحبة الواحد
ذاته . وسهولة انحفاظه والاستظهار عليه . والا يعرف ما يلزمه ولا يجب اليه .
فهو اعظم العوايق المانعة من الانقياد الي الفضيله . فيصير ذلك كمصاف يصاف
معاونيه . وبدل ما سبيل الواحد يحرص في كشف المرض لمن يداويه . ربما اتينا نحن
بمثال ذلك من الحرص في الهرب من المداواه . فنصير شجعانا وفتاكا علي نفوسنا .
ويصير عملنا اذيه علي صحتنا . فاما نسرق الخطيه كما تصنع العبيد . ونسترها
في قعر النفس كالم خبيت تحت جلبه مستورا . فنقدر انه يمكننا ان نخفي عن
عين الباري العظمي . وعن المطالب بالواجب . متي استترنا وخفينا عن الحاظ
البشر . واما نحتج بحج في الخطيه . ونلفق كلاما يساعدنا . ويوافق الالام التي
في نفوسنا . واما ان تنسد استماعنا كالافعي الصما التي تغطي اذنيها حتي لا
تسمع صوت المعزمين . ولا نتداوي بادوية الحكما . التي بها يشفي مرض النفس .
او يكون في الاخوه المتهجمون منا والجسورون يتوقحون قحه بينه علي الخطيه . وعلي
من يطيها . فيقدمون براس مكشوف . كما اتي في القول علي كل من يضادد الناموس .
فتبا لذلك من جراة وقايح . او غير ذلك من الاسما المخصوصه بهذا الذا .
الذي منا يوول الامر الي ان نقاتل من يجب ان نتصور محسنا . مقاتلة العدو
العنيد . فنمقت من يوبخنا في الابواب ونرذل الكلمه البارع . ونقدر اننا قد اثرنا
في ناصحينا . اذا اسانا الي نفوسنا . كالذين يمسون لحومهم ويظنون انهم قد اثروا
وافنوا لحوم جيرانهم . فهذه الاشيا هي التي تجعلني اعتقد في طبنا انه اصعب
من طب الاجسام بكثير . ومن هذا المعني فهو اكرم . لان ذاك انما ينظر في الاشيا
الخفيه نظرا يسيرا . والنظر الاكثر في صناعته انما هو في الاشيا الظاهره . واما
نحن فمداواتنا كلها وحرصنا انما هو باب الانسان المستور في القلب . وقصدنا
لمن يقاتلنا في دواخلنا . وقتالنا فانما هو لمن يصارعنا هناك . ومن اصعب

لاشيا ان يكون الذي يقاتلنا . يحاربنا بسلاحنا فيسلمنا الي موت الخطيه . فنحتاج نحن الي
فيما هذا معناه الي امانه كثيره شديدة الكمال والتمام . ونحتاج من الله الي معونه
زايده . ولا نستغني مع ذلك من نفوسنا . عن مقاومه من ذاتنا . وصناعه لطيفه
تكون بقول وعمل . ان كان ينبغي لنا ان نطبب طبًا حسنًا . ونتقي الاشرف منا المستحق
للزياده في الاهتمام . وهو نفوسنا . فغايه هاتين المداواتين في هذه . ولكنه
يعوزنا شي آخر في الفحص . وذلك ان احدي الصناعتين انما شغلها في صحة الجسم .
اما ان يحفظ منها الموجوده . واما ان يستشفي المفقوده . ولسنا نعلم مع هذا .
ان كان ما ياتيه موافقًا لمن يستعمله فيه . لاننا قد راينا دفعات كثيره الاضداد .
وقد نفعت اكثر من غيرها . مثل الفقر والغنا . والشرف وعدم الشرف . والجاه
والمذله . وما كان بالطبع فيما بينهما . لا يميل الي احدي الجهتين اكثر من الاخري .
وقد يبين الافضل والادني منه بالاستعمال والاختيار من مقتنيه اكثر من طبعه في
ذاته . واما صناعتنا نحن . فموضوعها ترييس النفس واختلاسها من العالم
وتسليمها الي الله . وحفظ الصوره ان كانت موجوده علي حالها . وان كانت قد تغيرت
فقيادها واعادتها الي ذاتها . واسكان المسيح في سويد القلوب . والغاية القصوي
في هذا . ان نجعل الانسان الاهًا . ولمن هو مرتب مع العلويين اهلاً . وللسعاده
العاليه مستحقًا . فهذا هو الذي يراه لنا الناموس الذي يودبنا . وهذا راي الانبيا
الذي بين المسيح والناموس . وهذا ايضًا فراي متمم الناموس الروحاني . وغايته
الذي هو المسيح . ولهذا استرسل اللاهوت . واتخذ الجسم . وكانت الخلطه الجديده .
التي هي لاه وانسان شيًا واحدًا . ومن دين وكليهما في واحد . ولهذا الاه في جسم
اجتمع . بتوسط نفس . فانعقدت به ذات البين من اختصاص المتوسط بالجهتين .
وصار كل شي الي واحد . عن الكل . لاجل الواحد الذي هو الاب القديم . والنفس من
اجل النفس التي خالفت . والجسم من اجل الجسم الذي خدم فحكم عليه مع الاخري .
واحدهما فهو النفس . والاخر الجسد . والمسيح من اجل آدم . والذي هو فوق الخطيه

مستعلي

مستعلي عليها ، من اجل من ملكته وصار تحتها ، ولهذا دخل الحديث علي العتيق ، واستقبل
المتالم بالم ، وعن كل حال من احوالنا يعرض لكل واحد ما هو فوقنا ، وحدث سر جديد ،
وسياسه من محبه للبشر دبرت المخالف ، ولذلك اتي ميلاد وبكر ومهد وبيت لحم .
فالميلاد من اجل الجبله ، والبكر من اجل المراه ، والمهد من اجل الفردوس ، وبيت
لحم من اجل عدن ، فالصغار الظاهر من اجل الكبار الباطنه ، ولهذا ظهرت
ملايكه تمجد السماوي ثم الارضي ، ووفد رعاه ابصروا مجدًا علي الخروف
الراعي ، وظهر كوكب ارشد ، ومجوس سجدوا وحملوا هدايا لتنهدم عبادة
الاوثان ، فها هنا يسوع قد اصطبغ وقد شهد له من العلوا ، وصام وجُرب
وغلب المجرّب ، ولذلك طُردت الشياطين ، وطبت الامراض ، واعلن
الانذار بالدعوه ، وسُلمت الي صغار من الناس ، فقاموا بها واحكموها ، وتحزت
الامم ، وهدت الشعوب بالباطل ، ولهذا صار عود علي عود ، وعلي
يدين يدان ، علي اللتين امتدا بغير ترتيب ، امتدا بشهامه وجزاله ،
علي الليده المُطلقه ، التي ربطتا بالمسامير التي اخرجت آدم ، التي
احتضنتا الاقطار ، ومن ها هنا صار العلو علي السقطه ، والمرار علي
المذاقه ، واكليل الشوك علي عز الخبيث ، وموت علي موت ، وظلمه من
اجل الضو ، ودفن من اجل العوده الي الارض ، وقيامه ونشور من اجل
القيامه والنشور ، فهذا كله ادب تقدم الاله في بابنا ، وطب لطف به
لضعفنا . يرد آدم العتيق الي الموضع الذي منه سقط ، ويقدمه الي عود
الحياه . لموضع ما اخذ من عود المعرفه في غير وقته ، ولا كما ينبغي وابعدنا
منه ، فهذه المداواه نحن نخدمها . وكل من تقدم علي غيره ، فانما هو معين
عليها ، وعن كانت هذه صورته ، فكثير له ان يعرف الامه وامراضه ،
ويداويها . وليس ذلك ايضا كثيرا له ، ولكنني اقول ان شرا الكثيرين من
حصل علي هذه الرتبه ، يدعوني الي هذا القول ، والاعظم من هذا والاكبر

كثيرًا والاقتدار علي شفا قوم اخرين وانقيا يهم فيكون ذلك موافقًا للجميع . اعني من
يحتاج الي المداواه . ومن قد اوتمن علي ان يداوي ايضًا . ثم الذين يداوون الاجسام
قد عرفنا انهم يحتاجون الي نصب وسهر وهموم . وان يجنوا من او صاب غيرهم
ثمرات تغمهم . كما قال بعض الحكما عندهم . فبعض هذا يتكلفون العافيه وفي وجدانهم
وبعضه يجمعونه من غيرهم ويحضرونه ويقدمونه للمحتاجين اليه . ولن يحقروا
شيًا مما يجدونه او يفوتهم ولا من الاصاغر . الا وعندهم انه كبير . اما في
انتهاز الفرصه في العافيه . او في دفع المضرّه . وهذا اذا فعلوه عمادًا يفعلوه .
لعيش انسان علي الارض زياده من الايام . وربما لم يكن من الاخيار . بل من الاشرار
ممن يكاد الموت يكون خيرًا له الشرّه . وكان يكفي اعظم الامراض . وهو الشر الذي
كان يعمله . وان سلمنا ان ذاك الرجل الذي يداوونه من الاخيار . فكم كان عساه
يعيش من الزمان . وايه فايده تاتي للانسان من هذه الحياه . التي التماس الانفصال
عنها من اجود الاشيا واحرزها عند رجل صحيح الجسم والراي . واما نحن الذين
خطرنا في حياه سعيده لا تموت . وعقوبتها لا تفني ان استحقت العقوبه . ولا
يقصر مديحها ان استوجبته . احدهما الشر وآخر الخير . فكم تظن انه يجب علينا
الاجتهاد فيما نحاوله . واي حذقٍ نحتاج اليه في صنعة المداواه . متي رمنا ان
نتداوا وان نداوي . وننقل الحياه ونعطي التراب للروح . هذا وبيننا تفاوت .
عظيم فيما نحتاج اليه من الكلام والفعال . لان الانثي والذكر ليسا شيًا واحدًا .
ولا الشيخوخه والحداثه . ولا الفقر والغني . ولا من كان في سَرًا وضرًا . ولا
المريض والصحيح . ولا الروسا والمروسين . ولا الحكما والجهال . ولا الجبنا والمتهورين .
ولا الغضوبين والوديعين . ولا المتقومين والواقعين . وان انت زدت في الفحص
عرفت ما بين المتزوجين وغير المتزوجين . وبعد هذا نعرف الفرق من اهل
التفرّد فيما بين المختلطين والمتفرقين . ومن يستقصي العلم ومن يتهم ويحزن في
اصلاح ذاته . وبين المدنيين واهل القري . وبين الساذجين والمكرين . وبين

ذوي

ذوي التشاغل باحوال العالم وبين من يطلب الهدو والسكون . وبين من قرعه تغير
من حال وبين من حاله مستقيمه ولم يستنهض . فبين هولاي فروق يخالف فيهم
بعضها بعضاً في الشهوات والحركات . اكثر من فروقهم في صور اجسامهم
وان رايت وجدت ايضاً فروقاً اخري . في اختلاف الاستقصات . التي منها
تركيبهم وامزجتهم . فانك تجد هناك تدبيراً لا يسهل معرفته . ولكن بحسب
ما يحتاج اليه في الاجسام من اختلاف المداواه والتغذيه التي يحتاج منها الاصحا
غير ما يحتاج اليه المرضي . فكذلك تجد الخلف في مداواة النفوس وتدبيرها
والشاهد علي الحال في المداواه من قد عرضت له الاعراض . فبعض الناس
تقوده كلمه . واخرون يتقومون بمثال . وقوم يحتاجون الي وخز . اي زجر .
وطايفه الي عتاب . وقوم يبلغ الحال بهم في البلاده والتعسير في الحركه
الي الخير فيحتاجون الي طعنات وضربات . وقوم غيرهم فيكونون مسارعين
يطيشون عن الاقتصاد بحرارة ارواحهم . فلا ينضبطون عما يهمون به . بل
يكونوا كالمهارة الزعر التي تتجاوز المقصد . فيحتاج في اصلاحهم الي كلام يقمعهم
ويردعهم . وفي الناس من ينفعه المديح . ومنهم من ينفعه الذم . اذا كان كل واحداً
منهما في وقته . او يضره بالضد اذا كان في غير وقته . ويتجاوز ما ينبغي من الكلام .
وربما اصلح واحد لفظ وسوال . وربما اصلح غيره تنمر وزجر . ومنهم من يحتاج
الي تبكيت في الجهر . ومنهم من يصلحه الوعظ في السر . ومن الناس من لا يكترث
في المواعظ اذا كانت علي انفراد ولا يصطلحون الا بعد جماعة يخذلونهم . ومن
الناس من يتبجح اذا جوهر بالخزي من التبكيت . ولا يتادبون الا بزجر في السر
فيكافون بالطاعه . عن التعطف عليهم بالستره . وفي الناس من يلزم ان تحفظ
عليه اسبابه متحفظاً بليغاً حتي الصغار منها . وانما يحتاج الي ذلك معهم لانهم
يتضعون لستره اسبابهم فيتوهمونها قد خفيت فيعجبهم ذلك ويفحمهم ويوهمهم
انهم حكما . وفي الناس من التغافل عنهم انفع لهم . حتي يكون الناظرون اليهم

يتوهمون انهم لا يبصرون ولا يسمعون كما في الامثال ۔ ويتوهمون انهم لا يسمعون ۔ حتى يبلغ بعضهم بادمان التبكيت ۔ فيجعلهم اخرا امرهم جسورين يخلعون العنان ويطرحون دوالارتفاع الذي هو الحيا ۔ وينبغي ايضًا ان نظهر اننا قد غضبنا علي قوم ۔ ولا نكون قد غضبنا ۔ وان نكون لا نكترث باخرين ۔ ولا نكون قد تهاونا . ونظهر الاياس من قوم ولا نكون قد آيسنا ۔ ويكون ذلك فيمن طبيعته تطلبه وتحتاج اليه ۔ ونداوي قومًا بالدعه والتواضع ونبسطهم بحسن الرجا فيهم ۔ وقد ينفع قومًا ايضًا ان يغلبوا . وينفع قومًا اذا ظهر لهم انهم الغالبون ۔ واليسر والمقدرة في قوم . والفقر وتضعضع الحال في غيرهم ۔ ينبغي ان نمدح عند قوم او نذم . ولا ينبغي علي حسب الحال ذلك في الفضيله والنقيصه . كون احدتهما ابدًا حسنه نافعه لكل احد ۔ والاخري رديه ضاره ۔ فيجب ان يكون الحال كذلك في مداواتنا ۔ وذلك ان يكون الشي الواحد يصحح دايمًا ۔ او الخطر فيه كثيرًا . مثل اللين من الاشيا والغويص او غير ذلك مما عددته ۔ ان يكون الواحد جيدًا نافعًا علي الدايم ۔ والاخر بضد ذلك ۔ بحسب ما يعرض له من الاوقات والاسباب ۔ ويقبله مذهب الذين يتداوون ۔ فنقسم هذا كله بالقول والاستقصا في معرفته ۔ حتى يحتويه بالجمله من يتولى المداواه ۔ فغير ممكن ولو وصل المداوي الي الغايه من المعرفه والهمه ۔ ولكن تجربة الامور تبين القياس للرجل المداوي ما ينبغي في ذلك ۔ فسبيلنا بالجمله ان نعرف مثل حال الذين يمشون علي حبل ممدود في العلوا ۔ فانهم ما سبيلهم ان يميلوا الي هنا والي هنا لما في ذلك من الخطر ۔ وان الميل ولو كان في ادني شي لما كان الضرر منه يسيرًا ۔ وان الحرز لهم الاستقامه ۔ ولذلك في هذه الاشيا ۔ الي اية ناحيه مال احد من شر او قلة علم ۔ فالخطر بذلك ليس بدون علي المخطي وعلي من يخطي عليه . من الزلل والسقوط ۔ بل سبيلنا ان نسلك في طريق علي الحقيقه ملكيه ۔ ونتامل ونحذر من الميل فيما نستعمله الي يمنه او يسره ۔ علي ما ذكرته الامثال ۔ فهذه حال العوارض عندنا . وهذا مقدار العمل هاهنا

للراعي

٩٥

للراعي الصالح . الذي سبيله ان يعرف نفوس رعيته ويسوسهم علي اصول المرعايه .
الصالحه المستويه العدله . التي هي اهل للراعي الصالح الصادق . واما تقسيم
القول حتي اذكر اخيرًا الاول من احوالنا . اعني تقسيم القول الالهي العالي . الذي
يتفلسف فيه الان كل فكر . فاني لاعجب انا من فهم هذا الرجل اذ لا اقول من
ركاكته . والذي اراه في هذا الامر انه ليس للمتقارب بين من الناس ولا يحتاج الي
روح صغير في توزيع الكلام علي كل احد . ودفع القوت منه علي حسب الاقتصاد
فيه . وتدبير الحق في حكم ارائنا في الدين . وما تقدمت الفلسفه فيه . في
عوالم او عالم واحد . في باب الهيولي والنفس والعقل والطبايع العقليه .
ما كان من افاضلها واشرارها . وفي باب العنايه التي تربط هذه الاشيا كلها
وتدبرها . وما كان منها يجري علي واجبه وما كان دون القياس في السفل
والبشريه . وما كان في قوامنا الاول . وما ياتينا في الخليقه الثانيه الاخيره .
وما كان من الرسوم والحقيقه والوصايا . وحضور المسيح الحضور الاول .
والحضور الثاني . وتجسده . والامه . وجسدنا وانحلاله . وقيامته .
وما ذكر في الاخره من دينونه وجزا . وما كان عبوسًا ومكفهرًا . وما كان
بهجًا ومجيدًا . والراس علي كل شي . فهو ما ينبغي ان يعتقد في الثالوث .
الرياسي المغبوط . لان الصعوبه شديده فيمن اوتمن علي النور . حتي لا
يجمع القول الي قنوم واحد . حذرًا من تكثير الالهيه . فيترك الاسما
سادجه معراه . ويكون عنده ان الاب هو الابن والروح القدس . ويقسم
ايضًا الي ثلثه يختلفون ويفترقون في الجنس . او يكونوا الا ترتيب ولا ابتدا .
بحسب ما يقال هاهنا . انهم الهه يتضادون . فالضرر من هذين البابين
وان كانا من الاضداد . يتساوي كما يتساوي في غصن تجنيه وتميله . اما الي
هاهنا . واما الي هناك . وهاهنا الان امراض ثلثه في كلام اللاهوت . احدها
من عدم القول بالاله . والاخر من اليهوديه . والاخر من تكثير الالهه .

والاخري الذي اعتقده آريوس
اباليوس المقري كان المتقدم علي هذه الاعتقادات . والاخري الذي اعتقده آريوس
الاسكندراني . والاعتقاد الآخر اعتقده اقوام من المبالغين في الارتودكسيه عندنا . فما
القول والراي عندي . الراي ان نحيد عن كل ما فيه ضرر من هذه الارا . ونثبت في حدود
حسن العباده . ولا ندخل تحت كفر صاباليوس بالله من هذا التركيب والتحصيل . نحصل
لنا ان لا نعد الثلثه شيا واحدا اكثر من تحديدنا ان كل واحد منهم لا شي . لان الاشيا
اذا انتقل الواحد منها الي الآخر واختلط به . بعد عنه ان يبقي له الذات التي كان
عليها . الا ان يكون يري ان يظهر لنا الاها متركبا في غير موضعه . كما ياتي في الخرافات .
من يتل حيوانات . واختلافها غير موجودات . وفي الحال الآخري فلا نفصل الطبايع
علي راي آريوس الموسوم بالجنون فنحصر في كفر يهودي . او ندخل علي الطبيعة
الالهيه خلا . ونجع لغير المولود وحده اللاهوت . كاننا قد جزعنا وحذرنا ان
يفسد علينا الله . اذا صار ابا لاله حقيقي مساوي له في الطبع والكرامه . ولانتم
مع ذلك ثلثه رياسات يقاوم بعضها بعضا . ونرتب ذلك . فنورد رياسات
كثيره . علي حسب الراي اليوناني الذي هربنا منه . ولا نقسم اللاهوت ثلثه
اقسام لا تتفق في جنس . بل كل واحد منها غريب من صاحبه . فلا يكون لها
نظام ولا ابتدآ . بل كانها بالقول الهه متضادده . لانه يجب علينا الا نكون
هكذا محبين للاب . حتي يبلغ بنا الامر في محبته الي ان ننتزع منه الابوه . لانه
لن يكون ابا اذا كان الابن منفصلا عنه في طبيعته . وكان غريبا منه . مع
المخلوقات مرتبا . لان الغريب ليس ابنا البته . ولا يكون ذلك ايضا الابن مختلط
مع الاب . ولا منصب معه انصبابا واحدا متخلطا فنتساوي فيه انه ايضا قد
خلط . ولا تبلغ منا محبة المسيح هذا المقدار حتي لا نحفظ له ان يكون ابنا .
والا فلن يكون ابنا اذا لا يكون منتسبا الي الاب . وان الاب هو ابتداوه . ولا
نفرد الاب برتبة الابتدآ والرياسه لانه هو الاب والوالد . فهذا صغير
له ان يكون ابتدآ للاهوت وغير موجود في الابن والروح ويحفظ ذلك للابن
لانه

لكن لا رتبة له فان هذا الراي صغير وبغير استحقاق لا يكون ابتدا

لانه ابن وكلمه . وللروح لانه روح منبعث غير منحل . واما كان من الضروره ان
نحفظ الاها واحدًا . ونعترف بثلثة اقانيم . كل واحدٍ منها مع خاصته .
والكلام في هذا الطول ما يتسع له هذا الوقت . نعم وما يتمكن منه السيد
في فهمه وتفهيمه بحسب الكفايه والاستحقاق . بل والافضل ان اقول . ان مثل
هذا يختص به الروح الان ودايمًا . اذ كان بالروح وحده يعرف الله . ويترجم
عنه . فانه انما يفسح للطاهر وحده . ان يتعرض للطاهر الذي هو علي حال
واحده ابدًا . والذي تعرضنا له الان وعبرنا فيه قليلاً فاردنا به الدلاله علي انه
صعب علي من يتكلم خاصه في امور مثل هذه فيما بين جماعه قد اتفقت من
كل مذهب . وشروحال ان يجد كلامًا مقتدرًا علي اصلاح الكل . ويستعمله
استعمال ارغون كثير الاوتار . يحتاج الي نقرات مختلفه . حتي يبين بنور
المعرفه . ليس هذا الشي وحده . وهو ان الخطر يعترض في ثلثة اشيا .
وهي الفكر والنطق والسمع . وانه من الضروره ان يعرض زلل ما . فاذا لا
يعرض في كلها . يعرض في واحد منها . فاما الا يكون استنار العقل . واما
ان يكون النطق قد ضعف . واما الا يكون السمع قد وسع اذا لا يكون طاهرًا .
فيحصل من هذه الاشيا من الضروره لا محاله ان يقصر في معرفة الحق . بل ومع
هذا . فالشي الذي يكون قد ضمن تعليمه قوم في شي آخر . والذي يسهل
عليهم الكلام في ذلك . ويسرع به الي القبول . وهو تدين السامعين . ونقاهم .
لانه خسران ها هنا وخطر . لان الجهاد في الله . وفي اكثر الموجودات . وفي
الخلاص نفسه . وفي الرجا الاول للجماعه . فكلمن كان في الدين شديد الحراره .
فهو بمقدار ذلك مدافع في القول . فبقدر الذين هذه صورتهم . ان الطاعه
والتصديق . اطراح الحق وتسليمه . لانه قنوت وتدين . فهم يرون ان يتخلوا عن
كل شي دون ان يطرحوا الافكار الاتيه من كنهم . وقد قدموا وهي معهم . وما
اعتادوه وربوا عليه من ارايهم . وهذا قولي في المقصرين . الذين ما يعرض لهم

قول
كراس
٥

ايوهم عارضًا قد عرض لاشرار من ساير الوجوه، فهم وان زلوا عن الحق فلهم
عذر، في ان هذا نالهم من تدين وتحوب، وان لهم غيره وان كانت علي غير معرفه،
فيصيرون من هذا المعفي ممن لا يحكم عليهم بالكليه، ولا يضربون ضربًا كثيرًا
كما يضرب من زل عن ارادة سيده لشر وكيد فيعتقده، وربما انتقل هولاي
في وقت من الاوقات عما هم ورجع رايهم الي الحق، من قبل التدين والتحوب،
الذي من اجله كانت مقاومتهم، ويكون ذلك اذا ما مسهم قول، اما من ذاتهم
واما من خارج، وقرعهم في وقته، كما يقرع الحديد بحجر القداح، فيبين منهم
الراي المكنون، الذي يستحق النور، الذي ربما اشتعل فيه سريعًا من شرار
يسيره مشعل الحق، فماذا يقول قايل في الذين يقولون الظلم علي العلوي،
من اجل عجب، او محبة رياسه. يساوون بذلك ليانيس ويمبريس، الذين
تدججا بالسلاح، ومعضل الكلام، لا علي موسي، بل علي التعليم الصحيح. او ماذا
نقول. فيمن كان من الطبقة الثالثه الذين يهجمون بالكلام لجهلهم، وما
يتبع عدم الادب من التهور، ويستعملون ما يعرض للخنازير، ويدوسون
جواهر الحق الحسنه، او فيمن لا يكون له من لدنه راي، ولا رسم ما في الكلام
في الله، لا ما جل منه ولا ما ذل، فيضعون نفوسهم في مرتبة الاوال والمعلمين،
كانهم يقتدرون علي اختيار الاجود والاحرز من الاشيا كلها، وهم قضاه ليسوا
جيادًا، ويائتمنون نفوسهم علي الحق في ذلك وهم لا يعرفون فضله، ولا يحسنون
شيًا من الجوده، ثم ياتي الاقناع فيردهم ويدبرهم بكل حجه، ويطاهم فيحتاجون
ان يستبدلوا بالمعلمين، ويبدلون كتبًا كثيره ثم يطرحونها بسهوله كالهبا في
الرياح، وينتهي امرهم الي الكلول في السمع والفكر، فيا لها من بهيميه عندما
يصعب عليهم كل قول بالسوا، ويكتبون لنفوسهم رسمًا سيئًا، وينتهي بهم الامر
الي الضحك بنا، والتهاون باعتقادنا، كانه ليس فيه شي صحيح، ثم ينتقلون بغير
ادب من القايلين الي القول، مثل من تكون عيناه مريضه او مسامعه مفسوده،
فيلوم

(ورقة مفقودة وربما اكثر من ورقة)

مكتوب ۰ وكثيرون من الرعاه فسدوا كرمي ۰ واخزوا نصيبًا يشتهي ۰ اعني بذلك كنيسة
الله التي اجتمعت بعرق شديد ۰ واذ باح كثير تقدموا قبل المسيح ۰ وجاوا بعده ۰
وكان اجتماعها ايضًا بالالام الله التي احتملها عنا ۰ فلم يسلم الا القليلون جدًا من لم يكترث
بهم اصغرهم ۰ اوكان فيهم فضل من الفضيله فقاموا ۰ وكان ينبغي ان يبقوا زرعًا
واصلاً الي اسرايل ليحيا فيما بعد وينمي بشرب الروح ۰ والا فالكثيرون من الناس
صاروا تبعًا للزمان ۰ يخالف بعضهم بعضًا . بان قومًا منهم تقدموا ۰ واخرين تاخروا
فاصابهم ذلك فيما بعد ۰ وان قومًا منهم صاروا مجاهدين ومقدمين في النفاق ۰
وغيرهم صاروا دونهم في ذلك ۰ ومنهم من تزعزع بخوف ۰ ومنهم من تعبد للحاجه ۰
واخرون خدعهم الملق ۰ وقوم سرقهم الجهل ۰ وذلك كان من اسهل الاشيا ان كان
احدًا يقتنع للمتقدمين علي قوم او تمنوا عليهم بهذه الجهه ۰ وكما ان ليس وثبات
الاسد وغيرها من الحيوانات واحده ۰ ولا حركات الرجال والنسا ۰ ولا الشيوخ
والاحداث ايضًا واحده ۰ بل هناك فروق غير صغار تاتي ۰ من الاجناس والاسنان ۰
ولذلك ليت حال الروسا والمروسين تتساوي ۰ لان من كان عامة الناس فقد يكاد ان
يصفح عنه ۰ اذا الحقه مثل هذا ۰ فيخلصه علي الامر الاكثر قلة تجربته ۰ واما من كان
معلمًا . فكيف يسلم اليه مثل هذا ۰ وسبيله ان يقوم غيره ۰ ان لم يكن الاسم الذي يسمي
به كاذبًا ۰ كيف يجوز ان يكون للروم ناموس لا يطلق لاحد ان يجهل ۰ ولا لو انه من
افنا الناس واشدهم غبا ۰ ولا يكون لاحد ناموس اخص بعينه فيما يجري اليه من اجل
جهله ۰ ثم يكون روسا الخلاص يجهلون مقدمات الخلاص ۰ وان كانوا في غير
ذلك من الساذجين غير الغير نقيين في افكارهم ۰ ولكن فليكن عذر لما ياتي من الجهل ۰
والا فما ذا قولك في غير من هذه صورته ۰ من اولي الحصانه والمعرفه ۰ فانخزلوا وتخلفوا
للاسباب التي تقدم ذكرها ۰ وهي التي اتتهم من ذوي المقدره ۰ ثم نصبوا اضبا الحسن
العباده لعبوا فيه طويلاً ۰ فلما ظهرني يسكتهم انهدموا وانحطوا ۰
وانا فقد اسمع من الكتاب ان السما والارض قد تزلزل ايضًا دفعه واحده كان ذلك قد لحق

قوماً في القديم ۰ وكانت الدلاله من ذلك بحسب ظني علي تغيير لاحوال البين ۰
واما الزلزلة الاخيره ۰ فان وجب ان تقبل فيها من بولص ۰ لم تكن غير قدوم
الثاني ۰ وانتقال هذا الكل الي ما لا يتحرك ولا يتزعزع ۰ واما هذه الزلزله الكاينه
لان ۰ فلست اري انها اصغر من شي تقدمها ۰ اذ كان قد تحرك فيها كل من كان
منا فيلسوفاً ومحباً لله ۰ وكان قبل هذا من زمن متمذهباً بمذهب المستعليين ۰

وهولاي القوم وان كانوا في غير هذا المعني ۰ من اولي السلامه والاقتصاد ۰ ولن
يصبروا علي ان يكونوا من اهل الدعه ۰ بحيث يسلمون الله من قبل امساكهم وصمتهم ۰
بل هم هاهنا شديدون في القتال لا يرامون ۰ ولعمري هذه صورة صراع الغيرة ۰
وقد يسهل ان يحركوا شيا لا ينبغي اكثر من ترك ما ينبغي ۰ فانخرف معهم جزو من
الشعب ليس باليسير ۰ كمثل قطيع طيور ۰ تقدم فطار ثم تبعه غيره ۰ ثم لم
ينتهي ۰ ولا الي هذه من غاية طيرانه ۰
فهذا كان لنا عندما كان اتناسيوس عماد الكنيسه حاضراً ۰ وهذا ايضاً عرض لما
تواري من اجل الاذي الوارد من الاشرار ۰ وجري في ذلك ۰ مثل ما يجري لمن يروم
انتزاع معقل من المعاقل الحصينه ۰ فاذا راوه لا يرام ويصعب الوصول اليه ۰
صاروا الي الحيله ۰ فتحيلوا علي رييسه ۰ اما بمال يدفعونه اليه ۰ واما بدغل
يدخلونه عليه ۰ فاجتذبوه الي رايهم ۰ ثم ملكوا محفظه بغير كد ولا نصب ۰
وان رايت فكمثل ما دبروه الذين دبروا علي شمشون ۰ فاخذوا اجمته التي كانت بها
قوته ۰ ثم اخذوا العاصي اليهم باليد ۰ ولعبوا به بعد ذلك بمقدار ما ارادوا ۰
وكان ذلك بمقدار يعادل مقدرة الرجل التي كانت عليهم فيما قبل ۰
فكذلك فعل الغربا عندنا ۰ فدفعوا قوتنا عن القدم ۰ وجدوا امجد البيعة ۰ ثم
تمتعوا بنفاقهم وارايهم فيه واحوالهم ۰ فاتفق مع هذا الحال ۰ ان انتقل من
هذا العالم ۰ الذي كان قوام المراعي المخالف لله به ۰ وهو الذي كان يثبت امر ۰

فوضع

فوضع راسا رديا علي مملكه غير رديه ٠ وندم ندامه لاطايل فيها ٠ وهو في اخر انفاسه علي ما قيل ٠ في الوقت الذي يحصل فيه كل واحد حاكما علي ذاته لا يشوبه حيف ٠ من اجل مجلس الحكم الذي هناك ٠ فقال ٠ انه يعرف ثلثة اشيا رديه سبقت منه ٠ لا تليق بملكه ٠ احدها قتل جنسه ٠ واشهار دعوة الخارجي ٠ وتغيير الدين ٠ ثم قضي عليه وهو يقول هذا القول ٠

نحصل بعد هذا سلطان لقول الحق ٠ وات المضرورين داله فيها كفايه من ذاتها ٠ مع ما تجده الغيره من الغضب ٠ لحق مثلها الجماعة الاسكندرانيين ٠ وصورتهم معروفه في ذوي الشتيمه ٠ فما صبروا علي تفريط ٠ فمن هاهنا شهروا الخبث بموت غريب ٠ وشهروا الموت بسبه غريبه ٠

وانتم عارفون بتلك الناقه القريب والعلو العجيب ٠ وذلك المدار الاول والمحنه كان اوحد ما صار منه وعيدا ٠ او فيما بعد لذوي الشتيمه ٠ فلما جرت عقوبه عمود نار الظلم ٠ مفسد الدين ٠ سابق الشر ٠ هذا المجري الذي هو عندي ممدوح ٠ لان نظرنا ما سبيله ان يكون ٠ الي ما كان ٠ يجب ان يلحق ذلك ٠ بل الي ما كان ناتيه نحن ٠ ولكنه علي كل حال قد عوقب ٠ فصار علا لهزة جمع كثير وفسادا ٠

نعاد المجاهد من سفره الجميل ٠ وهكذا ادعوه انا ٠ من اجل هروبه بسبب الثالوث ومع الثالوث ٠ فوقع منه علي المدينه وعلي مصر كلها عن قليل ما التذوا به ٠ واجتمعوا لاجله من كل موضع ٠ وكل طرق ٠ فبعضهم ليسمع صوت اتناسيوس ٠ وبعضهم ليمتلي من النظر اليه ٠ واخرون فليتقدسوا ولو بفيه ٠ بحسب ما سمعناه عن السليحين بالرسم الجديد من جسده ٠ حتي انه قد كان من التقا الكثير لجماعه علي طول الزمان ٠ وكرامات اكرم بها الروسا ٠ ليس من كان منهم رييسا للوسط ٠ ولا كاهنا ٠ بل ولا اخر بي من اهل المدينه ٠ ما لا يذكر احدها في البها ٠ وكثرة الناس بتساوي يقولون نلقي هذا الرجل ٠ ولا يكون المثل باحد

١٠٢

فيها الا باتناسيوس . وبتلقيه قديمًا في دخله دخلها قبل هذه كرّة فيها لما عاد من هروبه
مثل هذه . وعلى مثل ما كان على هذا الهروب . وقد يقال في هذه الكرامه قول قيل .
سبيله ان يُذكر . وان كان يفضل عما يحتاج اليه . ولكن ليتفكه به في القول . ويكون
كزهم في هذا الرجل . وذلك انه دخل بعد هذه الدخله اخر من روسا الشرطه .

دليها دفعتين . وهذا فقد كان منسوبًا الينا . لانه كان من اهل الكادوك . ومن
المقدمين فيه . وقد سمع جماعتكم بخبره . وهو فيلاغريوس . وقد كانت مُقتله
مُقله ليس مثلها في غيره . والكرامه على قدر المُقله . وانا ابين كل المعرفه بقول
وجيز موجز . وهو ان رياسته كانت بشفاعة المدينه . وعادت اليه باختيار
الملك . فقيل عن انسان ممن كان في الجمع . ظهرت له كثرة الناس انها لا تحد
ببصر . وانها مثل لجه لا تدركها العين . فقال هذا الرجل لبعض اصدقايه
واصرابه . بحسب ما يجب ذكره في الجموع . قل لي يا صاح هل رايت جمعًا هذا
مقداره متفقه نفوسهم على راي واحد . في كرامة واحد من الناس . فقال له
ذلك الشاب لا لعمري . وانا اظن انه لم يصل الي مثل هذا ولا قسطنطين بعينه .
واراد بذكر الملك الغايه في الكرامه . فضحك ذلك الرجل ضحكًا جهمًا بذيذًا
معضلاً وقال . كيف قلت مثل هذا وظننت انك ذكرت امرًا عجيبًا عظيمًا . وانا
فاظن ان اتناسيوس الكبير بجهد وصل الي مثل هذا . وحلف بذلك يمين زادها
على القول . مما جرت به عادة اهل البلدان يذكرونه على تحقيق اقوالهم . وكان
رايه في هذا القول رايًا لا يخفي عنكم . وهو ان الذي نحن في هذا الوقت كان عندهم
اكبر من الملك . فهذا كان مقدار القول به عند كل احد . وهذه كانت حال خبرتهم
من هذا الدخول الذي ذكرناه . لانهم تقسموا على حسب اجناسهم واسنانهم
وصنايعهم . وذلك لان سجية هذه المدينة على هذه الصوره في التصنع .
اذا ما ارادت ان تنظم كرامة جماعيه . وكيف اصور بكلام حال ذلك المنظر

والمقام

والمقام ۔ ذلكم لانهم صاروا نهرًا واحدًا ۔ ومن صناعة الشاعر اذا اراد ان ينشي
في قريظه ويقول ۔ ان ذلك الجمع كان نيلاً آخر ينبع الذهب ۔ ويزيد في
السنابل جاريًا علي العكس الي ناحية شيرا ۔ او علي طريق يوم او ما زاد ۔

فسلموا الي ان اتلذذ بالحديث فاني نافدالي ماهناك ۔ ولا يسهل علي ان اصرف القول
عن ذلك المقام ۔ ذلكم لانه حمله جحش ۔ ولا تعدلوني في التهجم بالقول ۔ انه
كان عن قليل مثل ذلك الجحش الذي حمل يسوع ۔ وكان تاويله جماعة الامم
التي احسن اليها وحلها من عقالات الجهل ۔ او لعل القول كان يعني شيًا آخر ۔
نقبلته اغصان وفرش ثياب ملونه زاهر طرحت قدامه وتحته ۔ فنقصت
هاهنا كرامة العالي ۔ ذي كل تمام الذي لا عديل له ۔ وقد كانت هذه اللقيا ۔
صورة لقدوم المسيح ۔ يقدمها قوم يصرخون ويثنون ۔ لا ان الجماعه التي كانت
تمدح لم تكن جماعه من صبيان ۔ بل من كل لسان متفق ومخالف ۔ يطلبون ان
يغلب بعضهم بعضًا ۔ وانا فاهمل ذكر التصفيق من الجماعه ۔ وسكب الطيب ۔
والانهار طول الليل ۔ التي كانت المدينه باجمعها تبرق فيها وتلمع بكل ضو ۔
والطعامات التي اطعم فيها جماعه في الاسواق والبيوت وغير ذلك مما يبين
المدن فيه التباهي والمباراه ۔
فهكذا حل مدينته اتناسيوس وبهذه الحفله دخلها ۔ فهل كان بحسب ما ينسبه
ان يكون عليه من هو عتيد ان يلي علي جماعه ۔ ثم علم غير الطريقه التي عاش
عليها . او جاهد ۔ ولم يجاهد كما علم ۔ او خاطر في الشدايد دون خطر مجاهد
غيره ۔ او اكرم دون ما جاهد ۔ او اجري شيًا من حال المدخل بعد الدخول ۔ لا البته ۔
بل كان كل شي منه يشابه بعضه بعضًا ۔ كمثل ما يكون في عود واحد علي نظام
مستقيم الغمز القول ۔ الجهاد الشديد ما كان قبل المدخل وما كان بعده ۔
فلما ادرك البيعه لم يلحقه مثل ما يلحق غيره ۔ ممن يصادمه يدفعه بيد حصنه ۔

ان يوقع به ويضربه . ولو كان من اقوي الناس في اشفاقه عليه . فيغلبه الغضب علي ما
يستقبله فيه . بل راي ان هذا اولي الاوقات بابانة فضله . لان من يناله السوء فهو ابدا
يتمعض . والذي له سلطان علي المقابله لا يكاد ان ينضبط .
الا ان آتناسيوس استعمل فيمن غمه واحزنه الدعه واللين . حتي ان اوليك باعيانهم .
متي جاز ان يقال فيهم هذا . لم ينكروا عودة الرجل . لانه نقي الهيكل ونظفه من
المتدلسين بالله . والمتاجرين بالمسيح . ليتشبه وفي هذا بالمسيح . ولكنه لم يفعل
ذلك بدين مضفوص . بل بقول مقنع . فاصلح ما بين المخالفين . وجمع ذاتهم الي ذاتهم .
ولم يجنح في ذلك الي من يجمعهم له . وفك عن المظلومين من الاغتصاب ولم يفرق
فيما بين اصحابه وبين غيرهم . واقام القول الذي كان هاويا . واشتهر التالوت ايضا .
ووضع علي المنار يضي بنور لامع . من لاهوت واحده في نفوس الكل . وعاد فكتب
الناموس للمسكونه . ورد كل فكر الي ذاته برسايل كتبها الي قوم . ودعوه دعا الي
اخرين . ومنهم من قصده من ذاته فحكمه . وجعل الناموس علي كل احد اختيارا .
لان هذا وحده كان يكفيه هدايه الي ما هو افضل . واذا جمعنا القول راسا واحدا .
قلنا انه اشبه بحجرين ممدوحين . فصار مثل حجر الماس لمن يضارب . واما الاخرون
الذين يخالفون فصار لهم مثل المغنطيس الذي يجذب الحديد بقوة طبيعة لا توصف .
ويتمسك بالاقوي من المواد تمسكا يختص به . الا ان الحسد ما كان عتيدا ان يحتمل .
ولا ان يري البيعه . وقد عادت الي مجدها بعينه . وصحتها القديمه نفسها .
تصبر علي التيام ذات البين والتحامها وعودتها الي جسم واحد . فلذلك
نصب عليه الملك الخارجي علي نفسه . المتمرد مع الذي هو مساويه في الشر .
لا ينقص عنه شيا الا في الزمان . وهو اول من هاج من ملوك النصرانية علي المسيح .
فبرز مثل الثعبان الذي كان يجيله في قرارته . وبدر منه معين له علي كفره .
فلما انتهز فرصته في وقت صار ملكا ضابطا بذاته . شريرا علي الملك الذي
ايتمنه في وقت واحد . وصار شرا من ذاك علي الاله الذي خلصه . فخطر له

اضطهاد

اضطهاديزيد علي كل اضطهاد غيره في العتو والتغلظ علي البشريه ٥ من حيث خلط
الاقناع مع الاكراه ٥ لانه كان يحسد المعذبين علي الكرامه التي تاتيهم من جهادهم ٥
بجعل التباهي في الشجاعه مشكوكاً فيه ٥ ونقل التعريجات والمشابكات المنطيقيه
التي في القول الي مذهبه ٥ وان قلنا اوقع من هذا القول بيناً ٥ ان مذهبه انتقل الي هذا
الحرص وتشبه فيه بالشرير الساكن في دواخله بدقة الحيله في هذا الباب. فتصور
هذا في نفسه ان ملك كافة النصرانيه صغير ٥ بالاضافه الي الظفر باثناسيوس ٥
والاستظهار علي قوة ذلك وحذقه في الكلام ٥ اذ كان هذا عند الجليل الكبير ٥ لانه كان
يري ٥ ان احتياله لا يفيده شياً فيما يتحيل به علينا ٥ ما دام ذاك الرجل يصافقه
ويقاومه ٥ ويخلف عوضاً يقرعه من يعيده الي مذهب اليونانيه ٥ ويملا به ما
ما تفرغ ٥ ولقد كان هذا من فهم ذاك عجيباً معجزاً ٥ فلما راي ذلك المتحيل في القياسات
الشديد في الاضطهاد ٥ ما كان منه في هذا الباب ٥ لم يثبت ولا علي المرايا والحيل
السوفسطانيه البعيده من الخيريه ٥ بل كشف الخبث المستور وعراه ٥ ونفي الرجل
عن المدينه ٥ ولعمري انه لقد كان مما ينبغي ٥ ان يظفر بجزالة القديس ويغلبها
في ثلثة مصارعاته ٥ ثم ينال حينيذٍ الاعلان في المناداه بدعوته ونشر ذكره ٥ ولكن
بعد هنيهة مما توسط هاهنا اسلمت قضية ذلك الباطلي وحكمت عليه في بلد خارج ٥
وكانت قد حملت ملكاً بهياً ٥ فاعادته ميتاً غير مرحوم ٥ ولا يقبله ولا القبر علي ما سمعته
من بعض الناس ٥ بل كانت الارض التي زلزلها باعماله ٥ تزلزل فترمي به من زلزالها ٥
وقام بعده ملك آخر لا قحة في وجهه كما تقدم به القول في الكتاب ٥ ولا كان
يضغط اسرائيل بالاعمال المتعبه والمنتصبين عليها ٥ بل كان ديناً شديد الدعه ٥
فلما اراد ان يجعل لمملكته قاعده محموده من حيث ينبغي ٥ ويبتدي بحسن العباده ٥
فك عن الاساقفه النفي ٥ وفك ذلك عن كل احد ٥ وقبل كل احد ممن كان زايداً عن
الكل في الفضل ٥ وكان قد اوعكه القتال والمحاربه عن الدين ٥ ثم طلب صحة
امانتنا بعد ما كانت قد تمزقت وتخلطت وافضت الي اراكنين واقسام عده ٥

واختلطت

لجميع العالم كله ان امكن علي راي متفق ، وشي واحد بمعونة الروح اولاً ، فيكون هو مع
القسم الافضل ، ويعطي لذلك القسم القوه والعز ، ويعتاض من هناك مثله ،
كان رايه في هذا راياً عالياً جليلاً ، قد خطر له في الكباير من الاشيا العظايم ، فمن هاهنا
... الرجل وثباته الرصين علي الامانه بالمسيح ، معرفه قويه بيقين ، وذاك
ان جماعه من كان منسوباً الي مقالتنا كانوا قد انقسموا ثلثة اقسام ، الكثيرون
منهم مرضي في باب الابن ، والاكثر من هولاي لا يثالمون في باب الروح القدس ،
فحصل فيما بين الطبقتين اليسير من الكفر منسوباً الي الديانه وحسن العباده ، لان
الذين كانوا اصحابي البابين ، لم يكونوا الا شرذمه يسيره ، وكان هذا اول ، او واحد ،
او مع اخرين قليل عددهم ، هو الذي تشمر فيه جاسراً وجسر علي المكاشفه بالحق ،
فاعترف باللاهوتيه الواحد في الثلثه ، انها جوهر واحد ، اعترف به فكتبه
وابانه واظهره ، والذي كان سلمه الكثيرون من الاباء بالعدد ، للابن في الاول ،
سلمه هذا ايضاً ، وللروح القدس ، الذي فوهه بهذا فيما بعد ، وقدم من هذا
الي الملك هديه ملكيه بالحقيقه جليلة القدر ، وهي الامانه المكتوبه بحسن
العباده ، علي التغيير الذي لم يكن مكتوباً ، حتي يصارع ملك ملكاً . وقول مقالاً ،
وكتاب كتاباً كان به الصراع ، فاحتشم هذا الاعتراف بحسب راي كل من كان
بناحية الغرب والشرق ممن يعيش ، فاكنوا الديانه في افكارهم . ان وجب ان
يقبل في هذا قولهم ، ولم يتركوها تتجاوزهم ، بل حصروها مثل جنين قد مات في
دواخل الارحام ، وقوم اخرون فشعلوا من اعتقادهم بمقدار شرار يقومون فيها
بواجب الوقت ، او بما يرضي من كان حائراً في الارتودكسيه ، او كان محباً لله من الشعب ،
واخرون لعمري فجاهدوا بالحق وهم من لا ازلت انا من زمرته ، لاني لا اجسر ان افتخر
بما هو اكثر من هذا ، وذلك فليس هو علي طريق شي آخر يحتني ، بل افعل ذلك لموضع
من ضعف رايه ، لاننا قد سسنا سياسه فيها مقنع ، بما اجتذ بنا غريباً ، بل
افسدنا ومن كان معنا ، وهذا هو بالحقيقه المنسوب الي من ساس سياسته ،

بل

ساس

بل انا اليوم حريص علي اخراج الولد الي الضو ٠ وتربيته وتقديمه بنطق معتمد
الجماعة تامًا ٠ وهذا لعمري فهو اصغر ما يتعجب فيه من ذلك الرجل ٠ لان من
تقدم في الجهاد عن الحق بالفعل كيف يتعجب منه ان يظهر الحق بكاتب ٠ ولكن ٠
الذي ياتيني الاشفاق شديدًا به من اعمال الرجل ٠ والامساك عن ذكره فهو خوف
من اجل الزمان الذي ينبت الاشقاقات الكثيره ٠ فانا ازيده علي ما تقدم القول ٠
طالبًا بذلك ان يكون فعله تاديبًا ما المعشر من حضر ٠ ان كان نظرنا الي ذلك
الرجل ٠ فبحسب ما ينفصل من ما واحد ٠ لاما تركته اليد لما استلبت وعرفت ٠
بل وما حصل فيهما من تقلبه بين الانامل ٠ وكذلك لم ينفصل ولا منا الجز والكافر
وحده ٠ بل ومن كان قويًا في الديانه ٠ ليس في ار اصغار وحدها ٠ ما يجوز الا
يكترث به ٠ ولو كان ذلك لقد كانت قلت الصعوبه ٠ لكن في كلمات تودي الي
معني واحد ٠ لان الجوهر الواحد والاقانيم الثلثه ٠ اذا ما ذكرناها نحن ذكرًا
صحيحًا ٠ كان الواحد منها يدل علي طبيعة اللاهوت ٠ وكان الاخر يدل علي خواص
الاقانيم ٠ واما اهل ايطاليا التي هي النوكيرديه ٠ فيفهمون ذلك مثلنا ٠ ولكنهم لا
يقدرون لموضع ضيق لسانهم وفقرهم في الالفاظ ٠ ان يفرقوا فيما بين اسم
الجوهر واسم القنوم ٠ فلذلك ادخلوا اسم الاشخاص حتي لا يتولد عليهم ثلثة
جواهر اذا ارادوا ذكر ثلثة اقانيم ٠ فما ذا الذي جري من هذا المعني . انه لمضحوك
به ٠ وقد يرثي منه . لان ضيق الاسما اوهمهم ان هناك فصلاً وفرقًا في الامانه ٠
فاحتيل براي صاباليوس علي الثلثة اشخاص ٠ وراي اريوس علي الثلثة اقانيم ٠
وكان هذا اختلافًا للخصايم ٠ وطريقًا الي المبالغه فيها ٠ ثم تزيد اليسير منها دايمًا
ما يعم ٠ وهذا من افعال المشاجره التي تغمر ٠ فاشرفت اقطار الارض علي الانشقاق
مع الالفاظ ٠

فلما راي ذلك وسمع به ذلك المغبوط ٠ الذي هو صاحب لله علي الحقيقه ٠ ومدبر كبير
للنفوس ٠ لم يري مما ينبغي اهمال النظر في هذه الشنعه ٠ في انفصال قول بلا قياس

ودته لطفه . ولا يبادر بالدوا الي المرض . ولكن كيف عمل . استدعي الفتيين بدعه
ولطف . فبحث عما كان يقال . واستقصي المعني فيه . فلما راهم متفقين علي المعني
وغير مخالفين فيما يقولون . صفح لهم عن الاسما وربطهم في حقايق المعاني . فهذا
اشد نفعا من طويل النصب وكثير الاقوال . التي يصنفها جماعه . وقد يخالطها شي
من المباهاه . وربما تجددوا في القول . وهذا اثر من الاسهار الكثير . والهجوع علي
المضيض . لان الفايده في ذلك لم تتجاوز من يتمرله احكامه . وهذا العمري
فهمين . وجدير بالنفي المذكور دفعات . وهرب ذلك الرجل . لا من اثر ان يناله
من اجله تلك الاشيا . فهو الذي حرص ان يفعل . وهذا بعد ما لحقه من تلك .
ثم لم ينفك ولا بعد هذا من فعل ما هذا سبيله . وفي اشيا اخر فقوم كان
يعظهم بالوصف . واخرون ردعهم ولذعهم باقتصاد . واخرون فكان ينهض
تراخيهم . وغيرهم فكان يفيض حرارتهم . وقوم كان يعني بان لا يزلوا . واخرون
فكان يحتال في اصلاحهم . بعد الزلل . وكان في الطريقه ساذجا بسيطا . وكان في
السياسه متقننا وفي المقال حكيما . وفي التزيد من الحكمه ينخفض للمتواضعين ويتعالي
علي المترفعين . منسوبا الي صدق في الصداقه . محبا للضيافه . لطيفا في السوال .
مانعا في وقت المنع . وكان بالجمله انسانا واحدا وهو الاشيا كلها بالحقيقه . التي قسمها
اولاد الحنفيين علي الهتهم فوصفوهم بها . وكان روحنا وافكارنا وعلمنا واصلاحنا
ومطرقا للنافذين من هاهنا . واياكم لي من الاسما التي تصنفها الي فضيلة الرجل . اذا
اردت من كل ناحيه ان اسميه . فلما عاش هكذا وتادب وادب حتي صارت سيرته
ومذهبه حد الاسقفيه . واراوه حد الارتودكسيه . ثم ماذا اخذ من الثواب علي حسن
العباده . فان هذا مما لا يجب ان يهمل . كان ثوابه الانحلال من العالم في احسن ما كان
من الشيخوخه . فاتصل الي ابايه من البطاركه والانبيا والرسل والشهدا الذين جاهدوا
عن الحق . وان اردت ان اقول فيه مرتبه مختصره . قلت انه كرم في منصرفه كرامه
تزيد في التمام علي مداخله . وجري عبرات كثيره سفحت . وترك في نفوس الكافه

١٠٩

تحيلاً يزيد علي ما نظر اليه •
فيا همة طاهر محبوبه • ويامن كان يعرف مقدار القصد في الكلام والصمت
مع غير ذلك من محاسنك التي زدت علي غيرك في حفظها • تقبل لي ها هنا
المقال الذي مني ان كان ناقصاً عن حقك • فهو غير ناقص عن الامكان • وانظر
الينا من العلو نظراً لطيفاً • وخرج هذا الشعب تخريجاً تاماً • في السجود للثالوث
التام • المعروف المكرم في الاب والابن والروح القدس • واضبطنا ان كنا في
حوز سلم • وارعي معنا. وان كنا في جهة حرب فاردد نا • اوفاقبضنا
وقفنا معك • ومع من كان مثلك • وان كان ذلك عظيماً من
المطلوب • بربنا يسوع المسيح الذي له كل مجد وكرامه
وعز واعظام الي دهر الادهار امين

الميمر الثامن والعشرون

لابينا المعظم في القديسين غريغوريوس التاولوغوس النازينزي مدح به
القديس باسيليوس الكبير . قال القديس غريغوريوس التاولوغوس . قد كان
باسيليوس الكبير عتيداً . وقد قدم لنا دايماً موضوعات للكلام كثيره . لانه
كان يتباها بالتوالي تباهياً لم يستعمله بعد احد من الباقيين كلهم . في اقوال نفسه .
اذ يقدم لنا الان اقوال نفسه . ويجعلها موضوعاً عظيماً لجهاد الذين كل حرصهم
في الكلام . شرح هذه المقدمه . فهذه قدمها ها هنا
القديس غريغوريوس التاولوغوس . لان القديس باسيليوس كان في حياته يكلفه
التصنيف في معاني كان يذكرها له ويشغف بها . فقال . من كانت تقدمت له
هذه الرغبه فيما اقوله . فقد كان عتيداً ان يجعل لنا الان من نفسه معنى للقول .

النص

لان القول في مثله يحتاج الي جهاد عظيم • نقصر نحن عنه . لاننا قد تركنا التباهي في

القتال ٥ ويقصر عنه ايضًا من عمره كله القول ٥ وقد اظن من يريد ان يجعل للقوه في
الكلام تجربه ٥ ثم بعد ذلك يوثر ان يميز مقدارها ، فيقدم موضوعًا واحدًا من ساير
الموضوعات ، بحسب ما يفعل المصورون في الصحايف التي يصورون عليها ٥ راي
من هذه الاشيا بحسب ما اقنع نفسي فهو راي صحيح جدًا ٥ ولست اعلم اي شي واذا
اراد احد ذلك عمد الي هذا الموضوع الذي تقدم ذكره وافرده وحده ٥ كانه يفوق
المقدم في قوله ٥ ثم قصد بعد ذلك الموضوعات الاخري ، فاختار منها الاقدم
والافضل ٥ وميز عليها مقدار قوته ٥ فهذا لعمري مقدار العمل في مديح هذا الرجل ،
ليس عندنا وحدنا ٥ وقد هد منا التباهي في هذه الاشيا من القديم ٥ بل وعند
غيرنا ممن عمر كله الكلام ٥ وحرصه في هذا وحده ٥ وهو ان يبرز فيما هذا سبيله ٥
وهذا اي شي آخر استعمل الكلام اذا لا استعمله الان ولا لاي معني ٥ وفي وقت اكثر .
هل ارضي نفسي فيما اقوله ٥ ام لمادحي الفضيله ٥ ام للكل نفسه ٥ متي لم اعجب بهذا
الرجل ٥ اما انا فاذا فعلت ذلك ٥ فقد قدمت بدين واجب علي القيام به علي الاستقصا ٥
وذلك ان الذي عند الصالحين فهو اشيا اخر مع ذلك ، فالكلام عند الكلام ، واما
اوليك يعني مادحي الفضيله فسيكون لهم بالقول لذه ، ومع ذلك فان الكلام
داعيه الفضيله ، والذي قد عرفت مدايحهم ، فقد عرفت ان الزيادات منهم
واضحه ، ليس هاهنا من الاشيا كلها ما ليس فيه كل واحد ، يعني بذلك الممدوح ،
لان ليس هاهنا شيًا الا وقد فاق فيه كل احد ، واما الاقوال نفسها ، يعني التي
نريد نقوم بالواجب فيها ، والامر فيها من الوجهين محمود ، وذلك انها متي
اتت قريبًا من الواجب ، فقد بينت قوتها ، ومتي تاخرت كثيرًا ، وقد يلزم
ذلك الضرورة لكل من يمدح ذلك الرجل ، فقد بينت بالفعل الانخزال ، وان
الممدوح يزيد علي قوة القول ، فهذه جملة ما الزمني القول ، ولهذا وقفت موقف
هذا الجهاد ، وان كنت بهذا المقدار قد وردت بعد الوقت ثانيًا ، وبعد عدة من
مادحين هذا مقدارهم ، قد قرظوا احوال ذلك الرجل علي الملا ودونه ، ولا يتعجب

من

تلك

من ذلك احد . بل تصفح لي النفس الالهيه المكرمه عندي من كل وجه . الان ومن
قبل وعلي كل حال . فبحسب ما كان معنا ها هنا قد يصلح كثيرًا من احوالي علي حد
الصداقه والناموس الافضل . لانني لن استحي ان اقول هذا . اذ كان لكل احد
للفضيله حدًا . ولذلك اذ قد صار اعلي منا . فهو يصفح لما يجري منه
وليصفح لنا معه من كان منكم من المادحين الشديدي حرارتهم . ان كان يمكن
ان يكون في ذلك واحدًا احد من الناس . ولم يكونوا اجمعون في مديح الرجل
متساويين . ولعمري فلم نترك الواجب من حيث التهاون . ولا كان منا ابدًا ان
نضجع هكذا في واجب فضيله او صداقه . نعم . ولا ظننا انه يجب على غيرنا الكثر
منا وصفه . ولكن في الاول تراخيت في المقال . وقول الحق لعمري اولي . وكان
التراخي من هذا المعني . كمثل الذين يقدمون الاشيا الطاهره ولا يفعلون ذلك قبل
ان يتطهروا بنطقهم وفكرهم . وبعد ذلك فاقول ما لا يجهله غيري . الا انني اذكر
وذلك ما اشتغلنا به في اثنا هذا . من امر الكلمه الصادقه عندما اشرفت علي العطب .
واضطرنا علي ذلك اضطرارًا اقول انه كان حسنًا . وعساه قد كان في سبيل
الله عند ما عنينا . ولم يكن ذلك بغير راي من ذلك الفاتك في المجاهده عن
الحق . الذي لم يكن يتنفس بشي لا يكون قولاً شديدًا ولكل العالم مخلصًا . واما غير
ذلك من احوال الجسم . فلعله لا ينبغي ان يجسر علي ذكره لرجل فاتك كان فوق
الجسم قبل ان ينصرف عنه . ولا يري ان ينظر شي من حسنات النفس من قبل
الرباط . وجملة الاحتجاج . فالي هذا الموضع سبيلها ان تنتهي . ولعمري ولا
ينبغي ان نتعدي ذلك الي ما هو اطول منه . اذ اكنا انما نذكره له وللعارفين
معرفه بينه باحوالنا . ولا فسبيلنا ان نتقدم الي الوصف نفسه . ونجعل
امام القول آلة ذلك الرجل . حتي لا نشبه بمديح . ولا نصير الي ما نتاخر
فيه عن غيرنا بكثير . وان كنا بالسوا متاخرين عن ذلك اجمعين . بحسب ما
نحجم عن السما وشعاع الشمس الذين يرومون ان يكونوا اليها ناظرين . ولو كنت رايته

يتبايما بالجنس ومالحق من الجنس ، او بشي من الصغار بالكليه التي يتباها فيها الذين
يكونون في الارضيات ساكنين ، لقد كان يظهر عدة اخري من المفضلين . وقد
كانت تدخل اشيا كثيره مما كانت في الازمان التي تقدمته ، وما كنا نترك الاخبار شيا
يزيد علينا ، بل تكون الزياده لنا علي تلك ، بانا لا نتزين بالمصنوعات في
الافانين ، بل بالامور نفسها التي الشهود عليها كثيرون ،
لان بلد البنطس قد تاتينا باخبار كثيره عن والده ، ليست بدون العجايب
التي كانت فيه قديما ، والصحف منها مملوه مع الاسفار ، وقد تاتي باشيا
كثيره اخري ارضي هذه ، واهلها الكبادوكيون اللطيفون ، التي ليست تربي
الفتيان بدون تربيتها للخيل ، ومنها اضفنا نحن الي جنس الوالد جنس الام ،
ولقد كان الواجب ان نذكر مع ذلك التقدم في قيادة الجيوش ، والرياسه
في الجموع ، والعز في دور الملوك ، ومع ذلك ايضا في النعم والعلو علي المنابر ،
والكرامات من الكافه . والبها في الاقوال ، والجمله من ذلك فهي التي نقول
لمن كان اكبر منهم واعظم ، ونحن فمتي اردنا ذكر ما هذا سبيله فلم يكن عندنا
مقدار البالو تيدا والكفر وتيدا والاقساونس والاكيدا والارقليدا والذين لا
شي ارفع منهم ، الذين ليس لهم شي يثبتون ذكره فيما يخصهم ، فيلتجون
الي الخفي ، وينسبون الي والديهم شياطين والهه والغاز ، الطف ما
فيها قلة التصديق ، واما ما يصدق من ذكرهم فهو مشبه ، ولكن اذا كان قولنا
في رجل نري ان حسبه ينبغي ان يميز من حيث نسبة الرجال ، والايكون الصور
والالوان تميز من ذاتها ، وكذلك ما كان من الخيل له حسب اوهوان من نفسه ،
ونكون نحن نتزوق بالاشيا التي من خارج ، فسبيلي ان اذكر شيا واحدا واثنين ،
مما كان له في القديم ، ومما هو خاص بمذهبه ، وما يلتذ به هو خاصه . ثم اعود
اليه ، فان لغيري معرفة اخري وخبر اخر ، من جنس وغيره ، من الاشيا الجاريه ،
ما صغر منها ، وما كبر ، وما كان كانه ياتي ميراثا من اب ، او ممن تقدمه ، وابتدي
من

من قريب او بعيد ۰ وانحدر اليّ من بعد ۰ واما هذا فحسن عبادة جنسه معروف ونبيّن
ذلك لمان القول ۰

وذلك انه قد كان صار اضطهاد من الاضطهادات اشدها واثقلها ۰ وهو اضطهاد احد
مكسيموس الذي اذكره لمن يعرفه ۰ ومكسيموس هذا قد كان جاء بعد اخرين
تقدموه قريبًا ۰ فبين ان جماعتهم كانوا علي البشريه متجنين ۰ عند ما زادوا عليهم
بالتهجم العظيم ۰ والمماراه في ان يكون هو وحده متقلدًا لغزا الكفر ۰ وهذا فجماعه
من اصحابنا المجاهدين ۰ الذين بلغوا الي الموت في الجهاد ۰ حادوا عنه قليلاً قبل
الموت . بمقدار ما ارادوا ان يعيشوا مع الظفر ۰ ولا ينصرفوا في نفس المصارعات ۰
بل يتخلفوا ويكونوا لغيرهم الي مرسخين ۰ وشهودًا احيا ۰ ومنابر متنفسه وكورًا
صامتًا مع كثيرين من المعدودين ۰

وكان والدوه الذين قبل والده ۰ بهذه الصوره ۰ وكانوا قد احكموا كل طريقه في
مسن العباده ۰ فاحضر لهم في ذلك الوقت نهايه انتهوا اليها حسنه ۰ وقد كان
في اعتدادهم وما انطوي عليه ضميرهم ۰ ان يصبروا ويسهوله علي كل شي مما يتوج منه
المسيح الذين يتشبهون به في جهاده عنا ۰ ولما كان ينبغي لهم ان يكون جهادهم
بحسب ما يقتضيه الناموس ۰ وكان ناموس الشهاده لا يتقدم الناس اليها بارادتهم
اشفاقًا علي المضطهدين والضعفا المقصرين ۰ ولا ان يحجموا ايضًا اذا وردوا علي ذلك ۰
لان احدي هاتين الخلتين تاتي عن التهجم ۰ والاخري عن عدم الشجاعه ۰ فما الذي
تحيل به اوليك القوم لما ارادوا ان يكرموا بهذا لواضع الناموس . بل والي ما صاروا
اليه من قبل السياسه التي كانت لاسبابهم كلها مدبره ۰ كانت حيلتهم انهم التجوا الي
غابه في جبال البنطس ۰ والغواب هناك فكثيره وعميقة تنتهي الي مواضع عاليه
من الجبال ۰ واستصحبوا من الخدام والمعينين علي الفرار اصحابًا عدتهم قليله جدًا ۰
دقوم اخرون فليعجبوا من طول الزمان في هذا الباب ۰ لان هربهم انتهي علي ما قيل
الي مده طويله نحو سبعة سنين وزياده عليها قليله ۰ وليعجبوا في ذلك من حال

الطعم ۰ لاجسام قد آلف النعيم في ترايه ۰ وتغيرت عن المالوف ۰ وحصولهم في البرد والحر
والامطار اشقيا متضجرين ۰ ومع ذلك فالبريه البحيث من الصديق ۰ وقلة المشاركه
والمخالطه ۰ فحسب ذلك من شقوةٍ لمن قد الف الكرامه من الخدام والحفظه ۰ الا اني
انا اقول ما هو اعظم من هذا واعجز ۰ ولن يكذب ذلك الامن لا اضطهاد عن المسيح عندي ۰
والكاين من اجلها لا مقدار لها بعظمته ومعرفته في ذلك برديه ۰ وبالعطب موديه ۰
والذي اذكره فهو هذا ۰ ان القوم لا انجاد اشتاقوا الي شي يلتذون به ۰ عندما كان طال
مرصهم في مده في الزمان ۰ وكانوا من الاشيا الضروريه مملوين ۰ فلم يقولوا ما قال
اسرايل ۰ لانهم لم يكونوا مثل اوليك مزمجرين عندما شقوا في البريه ۰ بعد الهرب
من مصر ۰ بقولهم ان مصر كانت خيرًا لهم من القفر ۰ عندما كانت تقوم لهم
بالغزير من المراجل واللحوم وغير ذلك ۰ من الاشيا التي خلفوها هناك ۰ لان عمل اللبن
والطين لم يكن له مقدار عندهم لجهلهم ۰ ولكن الذي قال هولاي كان غير ما هذا
سبيله ۰ مما بين حسن امانتهم وعبادتهم ۰ اذ قالوا ليس من الممتنعات ان يكون الاه
الاعجوبات المغذي والقيم بالغزير من الاقوات ۰ لشعب غريب في بريه شريد ۰
حتي امطر عليهم الاخباز ۰ وامطر وافرع الطيور ۰ وقام لهم ليس بالضروريات وحدها ۰
بل وبالزيادات التي هي شق البحر ۰ ووقوف الشمس ۰ وقطع النهر ۰ واضافوا الي هذا
في القول غيره مما صنع ۰ فان النفس فيما هذا سبيله ۰ قد يجب ان تكون كثيرة الحديث ۰
وان يسبح الاله بذكر كثير من عجايبه ۰ ثم اشفعوا ذلك بقولهم ۰ ان يغذينا نحن
ايضًا في جهادنا عن عبادته بشي من المطاعم الطيبه ۰ فها هنا وحوش كثيره قد هربت
من موايد الملوك ۰ وقد كان لنا مثلها في القديم ۰ وهي الان ها هنا في هذه الجبال
كامنه ۰ وها هنا ايضًا طيور كثيره من الماكولات ۰ وهي تطير فوقنا ونحن اليها من
المشتاقين ۰ فما المانع من هذه لا تصاد اذا اردت انت وحدك ۰ فبينما كان قولهم هكذا ۰
اذ ظهر الصيد ۰ فصار طعامًا من ذاته ۰ ووليمه لم يتقدمها تعب في سوق ۰ وذاك ان
جمع ايل ظهرت في الغابه بغته ۰ وقد كانت . ولقد كانت عظامًا ۰ وكانت سمانها ۰

دكانها

وكأنها كانت الي الذبيحه نشيطه ۰ ولقد كان يقرب ان يظن فيها ان الصعب ليها
كان ۰ انها لم تستدعا قبل ذلك ۰ والرجال كانوا بالايماء يستدعونها ۰ وهي كانت الي
الايماء منقاده ۰ فمن كان الذي يطردها ۰ ومن كان الذي يلزمها فلا احد ۰ واياما خيل
كانت ۰ واياما كلاب حاضرت ۰ واي نبيح ۰ او اي صراخ سمعت ۰ او احد ان تقدموا ۰
واخذوا عليها الطرق بحسب العاده في القنص ۰ فلم يكن شي من ذلك ۰ بل كانت
الايله بالصلاه مشدوده ۰ وبالطلبه التامه ماخوذه مضغوطه ۰ فمن راي
مثل هذا القنص في هذا الزمن او من قبله ۰ يا لها من عجيبه ۰ وهولاي القوم فكانوا
خزان الصيد ۰ وكان ما يريدونه تابعا لارادتهم ۰ وما فضل عنهم الي الغواب عايدا ۰
لما يده تاتيه معدا ۰ وكان المتشوقون للقوم حضورا بلا اتفاق ۰ والغدا معدا ۰ والطاعون
شاكرين ۰ وكانت هذه العجيبه عندهم لما كانوا يرجونه في المستانف ۰ فمن هذا صاروا
علي الجهاد ۰ الذي من اجله كانت لهم هذه الاشيا مربصين ۰

فمثل هذه اخباري انا ۰ وانت فاذكري لي ما كان لك من الافيفولس والجبابره والاكاوس
والصيادين الاشقيا ۰ وقولي هذا معك ايها المضطهد المعجب بالخرافات ۰ وبالايل
الذي افدي البكر ۰ ان كان لك شي بهذا المقدار ۰ ان سلمنا اليك ان هذا الذي تخبر
به ليس بخرافه ۰ فان ما يتلوا ذلك من القول الشديد الخبيث والرداه ۰ واية
فايده في هذه الفديه لبكر ۰ حتي تتعلم قتل الغربا ۰ وتكون ما تتعلمه عتوا علي
البشريه ۰ مكافاه لتحنن عليها ۰ فهذا الذي قلته انا مقدار شي واحد ۰ من اشيا
كثيره بحسب القول عندي ۰

ولم اذكر ذلك حتي ازيد ذلك الرجل فضلا في الشرف ۰ ولا البحر محتاج الي ما يطرح
اليه من الانهار ۰ وان صبت اليه كثره عظيمه ۰ وهذا الممدوح ايضا فلا يحتاج الي
زياده اخري في مديحه ۰ وانما ما ذكرته حتي ابين من اي المقدمات كانت له في
الاصل ۰ والي ما نظر من المثالات فزاد عليها وفضل عنها ۰ لانه اذا ما كان عظيما
لغيره ۰ ان ياخذ شيا من فضايل من تقدمه ۰ والاعظم عند هذا ان يزيد سلفه من

١١٦

قوبل
كراس
٨

عنك مثل مجري ما يحضر ثم يعود الي ماوراه . واما ارواح والديه فلم يكن في اتفاقهما في
الفضيله بدون اتفاقهما في الاجسام . وقد كان لهما علامات اخري . وهي القيام
بالمساكين وضيافة الغربا . وطهارة النفوس بالنسك . واداء الفريضه لله من
اموالهم المقدمه له . وقد كان ذلك في كل حين . امرلا يقصد كثيرين بحب مانشا
في هذا من زمان . وكثير من المثالات التي كانت له مقدمات . وغير ذلك مما اقتسمه
اهل البنطس والكبادوك . وكفاهم ان يلا وواذان خلق من السامعين . واما انا
فالاكبر والابهي عندي هو حسن الاولاد . لان اولادا كثيرين باعيانهم جميلين انما
يشتمل علي ذكرهم الخرافات . واما نحن فقد اظهرتهم لنا التجربه . وهذه فكانت
صورتهم . لان الوالدين لو لم يكونا لهما والدين . لقد كانا في نفوسهما لذاتهما كفايه
في المجد . ولما صاروا المثل هولاي الاولاد والدين . صاروا ولو لم يكن قدرهما في
الفضيله لذاتهما من نفوسهما . لقد كانا يزيدان علي غيرهما الحسن اولادهما . ولو كان
واحدا او اثنين هم الممدوحون . لقد كان يجوز ان يسلم الانسان للطبيعه والاتفاق .
واما الغاية القصيا الجماعه كلها فهي دليل بين علي فضل القوم . وقد بين ذلك
العده المغبوطه من الكهنه والابكار . والذين لم يبصروا ايضا بالتزويج في مساواة
غيرهم في الفضيله . وان جماعتهم جعلوا ذلك فرقا في مذاهبهم اكثر من سيرتهم .
ومن الذي لم يعرف باسيليوس والد . واسمه عند كل احد عظيم . الذي وصل
الي دعوة والد . حتي لا اقول انه وصل الي ذلك وحده دون غيره من الناس .

لانه زاد علي كل احد غيره في الفضيله . الا ان ولده منعه من ان يكون له التقدم
فيها . ومن لم يعرف ايضا امالنا . وهي بالعربيه همه . وقد تقدمت فسميت
بما كانت . او صارت ما كانت تقدمت . فدعيت التي هي بالحقيقه سميت الهمه .
وصارت في النسوه اذا ما اوجزت في القول . ما صار ذلك في الرجال . وكانه حتي انه
لما كان ينبغي ان يخدما الطبيعه لا محاله . كانت ثمرتهما موهبة هذا الممدوح من الله
لجماعة

لجماعة البشر • مثل اجر من وهبه للمنفعة العامه • ولا يكون هذا يليق من غيرهما اكثر من
كونه منهما • ولا يكون لهما ايضاً ان يسميا لغيره والدين • وذلك فتي كان سالماً • فاتفق
مطابقاً • والان فاذا كنا قد اتبعنا الناموس الالهي في المقدمه من المديح • وهو الناموس
الذي يامر بالقيام للوالدين بكل كرامه • واذينا الفرض من ذلك لمن ذكرنا • فسبيلنا ان
نصير اليه هو بعينه ونقول • المقدار الذي يحصل عند الكل المعرفه بصدقه من
كان به من العارفين • وذلك ان صورته هو كان سبيله ان يحضر اذ كانت الحاجه
داعيه لواصفيه الي حضوره وحده • حتي يقوم بصفته • لانه هو لما دحه موضوع
بهي • وهو ايضاً بقوة القول فيه قيم بما يحتاج اليه الموضوع • الا اننا نحن نترك
ذكر الجمال والقوة والعظم • وهذه الاشيا التي اري جماعه بها مسرورين • فنتركها
لموتريها • ليس لانه كان فيها عن احد من الناقصين الهمة • الذين لا يزالون في
احوال الجسم متقلبين ناقصاً عندما كان حدثاً • ولم يكن قد صار بالفلسفه للجسم
مالكاً. ولكي لا يلحقني ما يلحق الاغنيا من الجاهدين في الصراع • وهم الذين يستفرغون
قوتهم في الباطل والفضلات من الجهاد • ثم اذا وردوا الي الحقايق وما يصلون
به الي الظفر والتاجات وجدوا ناقصين • واقتنع انا بما ذكري اياه لا افضل فيه •
ولا ارمي فيه القول دون الغرض • واصف ذلك وحده وامدحه • وقد اظن ان كل
احد يعترف من ذوي العقول • ان الادب هو افضل الخيرات التي عندنا واقدمها •
ولست اعني هذا الادب وحده الذي يخصنا • وهو الحسب الذي قد تهاون بجميع
البلاغه والتباهي في الكلام • وقد قصد الخلاص فقط • وحسن المعاني • بل
واذكر بعد ذلك الادب الذي جماعه من النصاري يرفضونه كالمدبر لهم • والخطر
عليهم • والمبعد اياهم عن الله • ورايهم في ذلك راي سو • وكان السما والارض
والهوي • وما يجري مجراه • وان قوماً قد سخف رايهم حتي عبدوه دون الله • قد
يجب لهذا ان نتهاون به نحن • بل ما كان منها نافعاً اخذنا منه ما يقوم باودنا
وملادنا • وما كان خطراً اهربنا منه • ولم نقم الخليقه علي خالقها • ولا نجعلها له

مخالفه بحسب راي الجهال . بل تدرك البارعي من براياه . وما قاله الرسول الالهي
نفعله . ونسبي كل فكر ونقوده الي المسيح . وكان ليس شي من نار ولا طعام ولا
حديد ولا غيره . قد عرفناه في ذاته نافعًا او ضارًا . بل علي ما يرا مستعملوه . وكذلك
الراي فيه . ومع ذلك فمن الدبابات الوحشيه قد اتخذنا ما خلطناه بالادويه .
المخلصه . لذلك فعلنا فيما تقدم ذكره . ما كان منه يودي الي فحص وعلم قبلناه .
وما كان يودي الي الجزع من الشياطين والضلال وقعر الهلاك طرحناه . هذا اذا
لا يكون قد انتفعنا من ذلك . في عادة الله . عند معرفتنا من الاشر بالافضل .
وعند ما نجعل ضعف تلك الاشياء قوة لقولنا . فليس ينبغي ان نتهاون بذلك الادب .
لان هذا راي قوم فيه . بل ان نعتقد فيهم انهم ناقصون . وكل ادب عادمون .
لانه قد كان الاثر عندهم . ان يكون كل احد مثلهم . حتي يخفي نقصهم عند مشاركة
غيرهم فيه فيخلصوا من تبكيت الجهل . والان فاذا ما كنا قد قدمنا مثل هذه المقدمه .
واعترفنا بها . فهات ننظر في احواله .

وذلك انه في الاوايل من سنه كان يتعصب ويتخلق خلقه شديد فضلها
وطهارتها . وهي التي يسميها داوود الالهي خلقه نهاريه . وقد احسن في ذلك .
اذ هي لليل مخالفه . وكان ذلك عند الاب الكبير . الذي كان بلد البنطس قد
اظهر مودبًا للفضيله . يعم كل احد . فتادب عند هذا . ذلك العجيب في
مذهبه ومنطقه .

وكان المنطق والقول ينميان معه . ويتزايد احدهما الاخر في التصاعد . ولا يفتخر
بلقب وجد قد جعله اهل البطاليا للفضيله محلًا . ولا يكنطون متجبر معلم
للجبابره . ولا يرمي خرانق الارانب . ولا ينافس بعد طلب الخشوف . ولا يصيد
الايله فيما تعلمه . ولا ان يزيد علي غيره في الحروب . ولا ان يروض المهارة
ويكون معلمًا للمهر ومتعلمًا منه . ولا ان يطعم الايله والاسد بحسب ما ذكره في
الخرافات . بل كان يتادب بعلم الادوار . واحكام العباده لله . واذا جمعت

القول

القول • قلت انه كان في جميع اسبابه الي الكمال المستانف بعلوم الاوايل منقادًا
لان من يصلح • اما مذهبًا وحده • واما كلاهما وحده • فلا فرق بينه وبين
الذي لهم ناظر واحد • نحسا بهم عظيمه • وقبح منظرهم اعظم اذا ما نظر او نظر
اليهم • واما قد حصل له الفضل في الجهتين • وان يكون ذا عينين فقد حصل
له التمام وان يكون عيشه بقصد الغبطة المستانفه • وهذا فقد عرض ان
يختص به ذلك الرجل • وان يكون فعله فيه فعلا حسنًا • من حيث كان مثال
الفضل عنده من ذاته • وهو ناظرًا اليه • وصابرًا لوقته فاضلاً • بحسب ما ترى
الفلا والعجول مع ولادتها للوقت حول امهاتها داير ومتقلبه • وكذلك
هذا الرجل كان يدور بذلك الاب • ويحف به من قريب • وهو في ذلك
الوقت في عنفوان الصبي • واطراف حركات الفضيله • ولم يكون بالكثير ناقصًا
عنه • وان رايت فقد يدل من الرسم • بما تصير اليه الصورة عند تمامها
وتبين قبل الاستقصا بما تصير اليه عند الاستقصا • فلما اكتفي من التاديب ها هنا •
وكان سبيله لا يفوته شي من المحاسن • ولا ينقص من محبة الاجتهاد عن النحله
التي تجمع من كل زهر منفعته • ✻ ✻ ✻
وقصد حينيذٍ من هناك مدينة قيسارية ليشارك من فيها في موضع الادب •
وهذه المدينه هي مدينتنا البهيه • لانها هي كانت الامام لي والمعلم
لاقوالي • التي ليست ام مدينه للقول • بدون ما هي ام للمدن التي تليها •
ولها عليها المقدرة وهي متي اعدمها احد قوة الفضل في القول • فقد انتزع
منها ما هو الاخص بها والاحسن فيها • لان غيرها من المدن قد يسر بجمال
آخر • اما قديمًا واما حديثًا مما قد اشتملت عليه الاحاديث عنه • او ما ينبصر
فيه • واما هذه من المدن فالكلام هو دليلها الذي يخصها بحسب الاشيا التي
اشار اليها في السلاح والمقامات • وما كان بعد هذا فليتحدث به و يذكر
هو دبوا هذا الرجل الذين تمتعوا بتاديبه • ويذكرون ما كان مقداره عند

المتأبين وعند الاتراب . فالمعلمون كان يطلب الامتداد والالحاق يسًا ويهم .
والاتراب فكان يوم ان يزيد عليهم في كل نوعٍ من الادب . وليشرحوا ايضًا
مقدار الفخر الذي حصل له عند كل احد في المدّه اليسيره من الزمان . وكان
ذلك عند الجموع وعند المقدّمين في المدينه .
وكان ادبه اكبر من سنه . وكان ثبات طبعه وخلقه ازيد علي ادبه . وصار
خطيبًا في الخطبا قبل كراسي الكرامه . وفيلسوفًا في الفلاسفه قبل الارافي
الفلسفه . والاعظم من ذلك انه كان كاهنًا للنصاري قبل الكهنوت . وكان
هذا مقدار ما سلمه له كل احدٍ في ساير الاشيا . واما الاقوال والاشعار فكانت
له عوضيًا لا يتعمد بجني منها بمقدار ما يحتاج اليه . في الفلسفه التي تخصنا .
لانه قد يحتاج الي قوتها في الدلاله علي المعاني . لان المعني الذي لا يلفظ به
في حقه انما هو حركة الخدر . واما الفلسفه فكانت حرصه وقصده .
وان ينفصل عن المسيح ويصير مع الله . ويقتني بالاشيا العليا . وبالسايله
التي لا ثبات لها الاشيا الثابته الباقيه .
ومن هاهنا صار الي البزنطيه . وهي المدينه المتقدمه علي ناحية الغرب .
لانها كانت مبرزه باقوام نامين في الحكمه والفلسفه . فجمع منهم في المده
القصيره الاشيا النفيسه بسرعة طبعه وعظمه .
ومن هاهنا ارسله الله وحسن قدمه علي الادب الي ارض الكلام وهي اتينا .
التي هي عندي مذهبه . لانها افادتني الخيرات . اذ كانت افادتها لاحد . وهي
التي عرفتني هذا الرجل معرفه تامه . وان كان لم يكن ولا من قبل هذا عندي
مجهولًا . وكنت للكلام طالبًا . فصرت بالسعاده فايزًا . واشبهت من معني
آخر لشاوول اذ كان لحمير ابيه طالبًا فصار للمملكه واجدًا . وصار لما لم يقصد
له حما انتهاه وقصده . وقد كان لعمري الي هذا الموضع الكلام لي مطلقًا .
والي طريق سهله لي قايدًا . ولي في سبيل ملكيه متوجهه جدًا سالكًا . في

معني وصف هذا الرجل • واما من هاهنا فلست ادري كيف استعمل الكلام • ولا الحق
اني اصير • لان في الكلام عندنا صعوبه في هذا الموضع • وانا فعند ما صرت
الي هاهنا من القول • واذ قد تكلفت بهذا الوقت • اشتاق الي ان ازيد فيما
اقوله • شيا مما يخصني • وان اتاخر قليلاً في اصل الحديث • بذكر الصداقه فيما بيننا •
بل والمشاركه في النفس والطبع • اذا اردت ان اقول ما هو اخص من الصداقه
من اي اصل ذلك كان • وان الناظر لا يوثر بسهوله ان يتصرف في المناظر المطربه •
فان اجتذبته الي غيرها ضروره فهو اليها يعود • وكذلك الكلام لا يستجيب
الي الانصراف عن الاحاديث اللذيذه • الا انني افرق من ثقل ما ارومه من
ذلك • وعلي كل حال فانا احاول ذلك واختصر فيه بحسب الطاقه • وان
كانت الصبابه تقودنا الي هذا • والعذر في العارض منه • اذا ما كان اوجب
العوارض واضح بين • بل واذا لا يعرض مثله • فاولي العقول لا يعدون
ذلك خسرانا • والذي اقوله • ان اثنينا اشتملت علي كلينا • وقد كنا مثل
جدول يبرز من معين واحد وهو وطننا • ثم افترق فرقين في الغربه • ثم
اجتمع الي موضع واحد في هذا المكان الذي اجتمعنا فيه لعشقنا الادب •
كاننا في ذلك قد كنا علي موافقه • وكان الله جل وعز الذي قدرنا الي هذا •
الا انني انا كنت قد سبقت قليلاً • ثم لحق ذاك بعدي • وقبل قبولاً اقتضاه
الامل الشديد • لان الرجل قد كان ومن قبل كهوع بدور • وفي السن
كثير بني من الناس • وكان الحرص عند كل احد عظيما في ان يكون السابق اليه •
وليس مانع ان ازيد في الحديث شيا صغيره يطيبه • وهو عند من يعرفه
تذكره • وعند من يجهله تعليم • ✿ ✿ ✿

اذ كان الكثيرون من احداث اثينا وجهالها قد يهجون في الحكمه • وليس يكون
ذلك من الاوباش منهم وحدهم • وممن لا اسم له • بل ومن ذوي الاحساب
والاموال الظاهره • اذ كانوا جماعه ملفقه وشبابا غير منضبطين عما ينهضون

اليه • والذي يبصر منهم • فهو نظير ما يلحق الاحزاب المختلفه في البدرم في مجتمعهم
الخيل والنظر اليها • فهم يقفزون ويصرخون وينفضون الي السما غبارًا ويركبون
الخيل وهم جلوس • ويخبطون الهوي ويضربون الخيل باصابعهم كالمقارع ويكدونها.
ثم يخلوها • ولا سلطان لهم علي ذلك ويحطي بعضهم لبعض بسهوله خيلًا وركابًا
للخيل واصطبلات وسرادغه ومن الذين يفعلون ذلك من الناس الفقرا في اكثر
الاوقات المعسرون • ومن لا يصل الي قوت يوم واحد وما سواه • نمثل هذا بعينه
يلحق لاهل اتينا في معليهم واضدادهم حتي يكثر عدد المعلمين • ويوسر المعلمون •
فلهذين ابا بين مرصهم • والفعل لعمري شنيع وشيطاني الا انهم يسبقون الي المدن
والطرق والمواني وروس الجبال والبقاع واقصي المواضع • ولا يخلوا منهم جزو
لراتيكي ولا لغيرها من بلدان اللاده . نعم • ويصلون الي اكثر سكان المواضع
وقد اقتسموها علي قدر حرصهم • فاذا احضر حدث من الاحداث وصار في
ايدي اضديه . اما باختيار او كره منه • فرسمهم فيه الذي يخص اهل اينكي رسم
هزل مخلوط بجد • فاذا حصل واحد معهم • فقد يضيف بعض من سبق اليه
من الاصدقا ومن الاهل او من بلديته او غيرهم • من الزايدين في التحكم ويجمعون
ما ياخذونه للمعلمين • فمن هاهنا يصير عندهم الي كرامه بينه • لان الثواب
عندهم علي ذلك • هو بلوغهم الي ما يتعمدون ويقصدون • ثم بعد ذلك فكل من
اراد ان يهزوا بالغريب هزاء • وراءيهم في ذلك علي ما اظنه ان يخفضوا نخوة
القادمين • وان يجعلوهم من الاول تحت ايديهم • فقوم من اهل البلد يهزون
بالغريب هزو متهجمين • وقوم اخرون يهزون هزو عالمين بحسب ما تصل
اليه كل واحد منهم من لطف وخشونه • وهذا الامر لعمري فهو عند الذين
يجهلونه مجزع ووحش جدًا • وعند الذين تقدموا فعرفوه هو مستطاب لذيذ ماتور •
لان الهلع فيه من المنظر اكثر من الفعل فيما ياتي به الوعيد من المخبر • وذاك ان
الغريب كان يزف في السوق ماضيًا الي الحمام • وزفته تكون هكذا • يصطف الذين

يطوفون

يطوفون به • ويمشون اثنين اثنين منفصلين عن الاخرين الذين في اثرهما • ويسيرون
بالصبي الي الحمام • فاذا قربوا منها • كان لهم صراخ عظيم وتقفز • ثم قوم قدهاجوا
وصرافهم فهو بامر الجماعه بالا يتقدموا • بل يقفوا • كان الحمام لا تقبلهم • ثم
تخبط الابواب ويفزع الصبي بصوتها • ثم يطلق له الدخول • ويعطي الغربه •
ويصير مساويا لهم في الكرامه بعد الحمام • ويقبلون به من الحمام كواحد منهم •
فهذه هي لذة ما يعملونه وهي سرعة الانفصال عن الموريات وهدمها •

وحينيذ لم اكون انا وحدي ذا حشمه لباسيليوس الكبير الحكيم لموضع ما كنت اراه
فيه من ثبات الطريقه وحسن الهدايه الي الكلام • بل وقد اقنع قوما اخرين
ان يبصروا بهذه من الذين كانوا به جاهلين • وانما اكثر الناس فقد كان من الاول
عندهم محتشما لموضع انه قد كان سبق سماعهم به •

سوال

وعن هذا المعني فما الذي جري به • جواب • انه خلص
وحده من هذا الناموس الذي يستعمل عاما في جميع القادمين • لانه كان اهلا
لكرامه تزيد علي كرامة كل غريب • وهذه المقدمه كانت عمده لصداقتنا •
ومن هاهنا اشتعل مشعل الخلطه • فصار كل واحد منا جريحا بود صاحبه •
ثم عرض بعد ذلك شي هذه صورته • ولا ينبغي ان اهمل ذكره • وذلك اني
لست اجد جنس الامر جنسا ساذجا • بل جنسا مستورا دغلا •
وحينيذ حضر منهم قوم من اصدقايه ومخالطيه من ايام والده • لانهم كانوا من
صحبته ومن ناحيته • فتقدموا اليه باختلاف صداقه • وكان الحسد الذي
اقدمهم الي ذلك لا احسن الراي • فسالوه سوال محاكه لا سوال علم • وراموا
ان يتنوه من اول المجادله • لمعرفتهم من القديم بذكايه • ولم يكونوا صابرين
علي ما صار اليه من الكرامه • وكان عندهم من اصعب الاشيا ان يكونوا والي الفوطات
والبرانس ويعملوا هذا اعذب المقال • ولا يكون لهم فضل علي غريب وطاير •

واما انا العطل المحب كنت لاتينا • فلم اكن صيت بالحسد • بل وثقت بما اختلقوه
وتصنعوا فيه • فلما رايتهم قد انثنوا واعطوا ظهورهم • مع عبرتي لاتينا • وان ينهدم
تهذا الرجل شرفها ويتهاون بها سريعًا • فادعمت الاحداث واعدت القول • ومننت
عليهم بمعونه من جهتي • وقد تقدر المعونه اليسيره في مثل هذه الاشيا علي الكل •
حتي يجعل الروس متساويه لمسطرح • كما قد جا في المثل •
فلما عرفت سر المحاوره • ولم يكن بعد ذلك ضبطها • بل انكشفت بالكليه • انقلبت
بغته وضربت موخر السفينه وملت اليه • وجعلت الغلبه من جهته • واحس هو
للوقت بما كان • لانه كان رصين العقل يزيد علي غيره في هذا • فامتلي من النشاط •

وانا اقول اذا اردت ان ازينه مره او مرتين من اوميرس • انه طرد بقوله اوليك
الاجلاد وقلقلهم • ولم يزل يساطعهم بالقياسات • حتي لم يسك عنهم ما هزمهم
بالكليه • وتعصب عليهم بعز الغلبه • ولبس عليهم تاجها •
فهذا كان للصداقه فيما بيننا ليست لشعلة شرار بل مشعلاً وقدوقيدًا في الهوي
شديد الظهور والبيان • فمضي اوليك القوم بغير طايل • ولاموا نفوسهم
علي تهجمهم كثيرًا • وصعب عندهم ما كان مني من التدبير عليهم • حتي اعترفوا
بعداوه ظاهره • واشتكوا الي اسلمتهم • ولم اقصد بذلك وحدهم • بل قصدت اتينا
كلها ودكتها • باول تجربه • حتي خزيت من رجل واحد • من قبل ان يصل الي وقت
الحساره والانبساط فيما بين اهلها •
واما هو فلحقه عارض بشري يعرض للناس • اذا ما املوا املاً كبيرًا • ثم وصلوا الي
ما املوه جمله في واحد • فبان لهم ان ما ظهر لهم وابصروه كان اصغر واحقر مما
ظنوه وقدروه • ولما لحقه مثل ذلك عبس وجهه • وثقل عليه الامر • ولم يمدح سعيه
في قصده وطلبه ما امله • فسمي اتينا حينيذٍ العطل الفارغه •
وعند ما كان هو فيما سبيله • اخذت انا ان اصرف عنه الكثير من غمه • وداخلته بما
يقتضيه

١٢٥

يقتضيه العلم . ورقيته بصحيح الفكر . وذكرت ما كان صدقا . لانه لا يمكن ان يستقرا خلق الانسان للوقت الا بعد الزمان الطويل والمخالطه التامه . ولا يعرف الا دبع بيرونه من اشيا يسيره وبقليل من الملابسه . فكنت آردة الي طيبة النفس . واعطي وآخذ امتحانا بعد امتحان منه الي ان ارتبطت به لنفسي ارتباطا تزيد علي ما تقدم . فلما امتد بنا الزمان اعترف كل واحد منا لصاحبه بالود . وان قصدنا جميعا انما هو الفلسفه . فحينيذ كان كل واحد منا لصاحبه لا اشيا . واختلطنا في المسكن والمطعم والطباع . ونظرنا الي شي واحد . وكان شوق الواحد منا الي صاحبه علي ممر الزمان ينمي ويزيد حرارة وقوه .

وذلك ان عشق الاجسام عشق اشيا سايله تسيل عاجلا وتذبل مثل ذبول ازهار الربيع . وكذلك اللهيب لا يثبت اذا ما نفدت مادته . بل يزول بزوال ملهبه . ولا شوق يقوم ويثبت بعد انحلال وقيده . واما العشق العفيف الذي هو في الله . فانه لما كان لشي ثابت صار اشد بقا من غيره واثبت . فكل ما ظهر لاهله الجمال اكثر وتخيلوه بحسب ذلك تشتد العشاق بعضهم الي بعض وترتبطوا . فهذا هو نامو العشق الذي هو فوق منا . الا انني احس باني قد جزت الحد . ولست اعلم كيف اندفعت الي هذه الاقوال . ولا سبيل لي مع ذلك ان امسك نفسي عن الحديث . لان كل ما تركته من الاشيا بان لي دايما انه ضروري . وانه انفس وافضل مما تركت . وان رام احد ان يردني عن التمادي فيما انا فيه الي ما وراي بسلطته . لحقني ما يلحق الهوان الكثير الارجل . لانه اذا رام احد اجتذابه عما تعلق فيه واستتر به . امتسك بشي من الصخور بتجويف ارجله . ولم ينفصل بعضها من بعض الا بعد ما يتناوله الواحد من الآخر بشدة الجذب . فان عذرني احد في هذا فقد وصلت الي ما اطلب . وان لم ينلنا العذر لنفسي .

فلما صارت حالنا نحن فيما بيننا علي هذه الصوره . وبيننا المجد السعيد عمرا مذهبه . بحسب ما قاله . تيدرس الشاعر . صرنا فيما بعد زايدين علي ما نحن

عليه • مستعينين بالله وبصحة الود • الان كيف يمكنني ان اذكر ما انا ذاكره • ولا
تكون دموعي هاطله • وذلك ان حالنا كان متساويًا في امر من عشق الكلام • يتوجه
الحدث فيه • وكان الحسد عنا غايبًا • والتباري حاظرًا والحرص لكلينا مشتركًا •
ليس في ان يتقدم الواحد عن الاخر • بل ان يفسح لصاحبه في التقدم • لانه
يصل كل واحد منا كان يتصور للاخر انه له ويخصه • وكان يظن بان النفس
في كلينا نفس واحده لجسمين حامله •

وان كان لا ينبغي ان يصدق الذين قالوا • ان الكل موجود في الكل • فينبغي لك ان
تصدق فينا لما كان بعضنا في بعض • وكانت الفضيله علينا جميعًا • وان يكن
عيشنا للامال المستانفه • وان نكون من هاهنا منتقلين قبل نقلتنا الاتيه •

ولما كان نظرنا الي ذلك وحده كنا نحرز ونقوم مذهبنا وافعالنا كلها • ونتقاد
في هذه الوصيه • ويحد الواحد لصاحبه علي الفضيله حد الحديد • وان لم
يكن هذا القول مني مستعظمًا • فانا اقوله • اننا كنا مسطرتين وميزانين كل واحد
منا لصاحبه • يميز بهما ما كان منا مستقيمًا • وغيره • واما الرفاق فما كنا نخالط
منهم اهل الفسق والشبق • بل ذوي العفه والتقي واولي السكوت والسلامه •
الذين من مخالطتهم اتم منفعه لموضع علمنا • ان التناول من الشر اسهل من افادة
الصحه • فاما العلوم فما كنا نسر منها بالالذ والاطرب اكثر من سرورنا بالاشرف
والاجود • لان من هاهنا يرتسم الاحداث في النهوض الي الفضيله والي النقيصه • ومن
الطريق • فكان يعرف لنا طريقان • احداهما الاولي والاولي بالتكريم • والاخري
ثانيه وليست مثلها في مساواة التعظيم • فالاولي فالقصد الي هياكلنا
الطاهره • ومن هناك من المعلمين • والاخري فقصد المودبين اليونانيين •
فاما الطرق الباقيه فخلينا ها جميعًا للموثرين • وهي الاعياد والمقامات
والمواسم والمشارب • لانني لا اظن شيًا كريمًا اذا ما لا يودي الي الفضيله •

ويجعل

+ تناول من الخمر الفضل بحسب ما يحتاج اليه
الرمس اسرال من +

ويجعل مستعمليه والحريصين عليه افاضل . المتقدمين ۞ ۞ ۞ ۞
وغيرنا من الناس فله تسمية اخري اما من ابايه . واما من اوطانه . واما من
فضايله واعماله . واما نحن فلامر العظيم عندنا وبالاسم الماثور ان نكون نصاري
ونسمي مسيحيين . وبهذا كنا نحو ونفتخر اكثر من افتخار جرجس بدوران فضه .
اذا لم يكن ذاك خرافه الذي منه اغتصب ولادته اهل لوديه . واكثر من افتخار
مندس بالذهب الذي به هلك لما وصل امنيته فيه . وصار كل شي منه وله
ذهبا . وهذه خرافه اخري لاهل فريكيه وامسلهم يابس افاريدس
العلاني . فما قولي فيه . او في حصان ارغس صاحب الجناحين . فان ما كان
لهذين طريق الي الارتفاع في الجو اكثر من ارتفاعنا نحن الي الله تبارك . بعضنا
ببعض وكل واحد مع صاحبه . واتينا فيها مضرات لقوم اخرين . فيما يخص
النفس . واعتقاد ذلك فيها عندنا من حسنة عبادته . ليس هو الا في موضعه .
لانها غنيه بغني سو . وكانت تزيد علي غيرها من بلد اللاده في الاصنام .
وهو يصعب لانتقاد الناس مع ماديها والقيمين بحجها . الا اننا نحن لم يعرض
لنا منها خسران بته . لموضع اكتناز افكارنا وتحصنها . بل الذي صار
الينا منها متي وجب ان يذكر كان معجزا . وهو ضد ذلك . لاننا بتنا من
هاهنا علي الامانه . وعرفنا خدع هذه ورذالتها . وتهاونا بالشياطين
في موضع الاعجاب بهم وتكريمهم . وان كان يوجد نهر حلوا الما فيما بين
المالح جاريا او يوثق بما ذكر فيه . او يكون حيوان يطي النار التي تفني كل شي
ولا ينضر بها . فكذلك كنا نحن هناك فيما بين رفقاينا . ومن اجود الاشيا . انه
كان يتصل بنا وينضم معنا فرقه ليست من ادني الناس . تتبع ذلك الامام
وتتادب منه . وتوافقه علي رايه . ۞ ۞ ۞ ۞
فان كنا نحن بعدو رجلا ورام كب من عجل لوديه . يطلب ان يساوي في عدوه
ومذهبه . وصار لنا من ذلك ان نكون معروفين عندهو دبينا ومرافقيهم .

ومعروفين ايضاً عند جميع البلاده . وعند المذكورين فيها . والمعروفين من اهلها .
ثم وقد كان شاع خبرنا الي ماورا(ءها) بحسب بيان ذلك من جماعه تحدث توابه وذكروه .
ثم مع ذلك فانذاع خبر مودتينا بحسب ما يذاع خبر من اتينا . وكان خبرنا نحن
ايضا يساوي خبر مودتينا عند من وصل خبرهم اليه . فيسمع ذكرنا مع ذكرهم .
ويتحدث بنا مثل الحديث بهم . وكان ذكر اسمهما غير مستتر عند الكل . والسماع
بنا ذايع في كل مكان .

ولم يكن عندهم مع ذكرنا ذكر ادرسيا . وبيلا . راسيا . ولا المتوليو بيدا . وهم
الذي اشتملت صحيفة اوميرس علي شرح اجوبتهم . لان اوليك انما عرفتهم
شركة المصايب وحسن شوقهم مركبهم عندما اقتسموا فيه الاعنه والمقارع .
الا انه خفي عني . ودخلت في مديح نفسي . وما كنت بالذي اقبل ذلك ولا من
غيري في القديم . وليس ذلك بعجيب ان كنت وهاهنا تمتعت بصداقة ذلك
الرجل بحسب ما انتفع به في حياته في معني الفضيله . وكذلك شاركته في
المديح . ولكن سبيل القول ان يعود الي معطف غرضه .
واقول من كان انسب هكذا بالفهم قبل الشيب . لان سليمان بمثل هذا يحد الشيخوخه
ومن كان مثله محتشما في الاحداث والقدما . ليس في زمانه فقط . وبل وممن
تقدم كثيرا . ومن كان هكذا لا يحتاج الي المنطق من اجل المذهب . او من كان مع
المذهب قد وصل الي درجة من النطق . واي نوع من الادب لم يكن قد اتي عليه . بل
واي نوع لم يصل الي الغايه فيه . كانه ما تعاطي غيره . بل ومن وصل الي الاداب
كلها هكذا اكثر مما وصل غيره الي واحد منها . ومن هو الذي انتهي مثله الي غاية
كل واحد من الاداب . كانه لم يصل من الاداب الي سواه . فيه اتفق الحرص مع الذكا .
ومن هذين يحصل القوه في العلوم والصنايع . وكانت حاجته يسيره الي سرعة
الطبع لموضع المداومه . وحاجته ايضا قليله الي المداومه لموضع السرعه .
فهكذا جمع الشيين واصارهما الي معني واحد . حتي لم يكن يتبين بايهما ينبغي ان

يفضل

يفضل الكثر من الاخر • ومن وصل الي مقدار في الخطابه التي تنفخ نارًا • وان كان خلقه
لم يكن للخطبا موافقًا •

ومن عرف مثله الغرماتيكي ووصل الي ان يفقه اللسان ويجمع الاخبار • ويقوم
الاوزان • ويرتب الاشعار • ومن احكم مثله الفلسفه الرفيعه العاليه • التي هي
الي العلو قايده • ومن مثله وصل منها الي العلم والعمل • والبراهين المنطيقيه •
التي مصارعتها في المقاومه • وهي التي يسمونها محاوره • حتي قد كان سلوك
التعريجات المذكوره اسهل من الخلاص من مقاولته • اذا ما احتاج الي مناظره •

واما النجوم والهندسه ونسب الاعداد • فالذي اخذ منها كان بمقدار ما يحتاج
اليه • في ان لا يصرعه المبرزون فيها • وما زاد علي ذلك فاطرحه • لانه لا فايده
فيه لمن يوثر ان يحسن عبادته • حتي صار الفضل له فيما اتخذه منها اكثر مما تركه • بل مما
تركه اكثر مما اخذه •

واما الطب فدعته الضروره الي صناعته • لموضع علل جسمه • وما كان يعني به
من البيمارستان • وكان الطب ثمرة فلسفته • ومداومة نصبه . حتي ابتدي
من ذلك الي ما صار به الي تاصل الصناعه فيه • فوصل منها الي ما لم يكن نظره
في الظاهر الموضوع سفلاً • بل الي ما كان قياسًا متفلسفًا • ولكن اي شي هذه الاشيا
وان كان هذا مقدارها عند ادب ذلك الرجل في اخلاقه •

فان خبر دينك اللذين يقال لهما • ميتوص واداميتوص • وهما اللذين اهلهما
الحنفا للحكم في الجنان والبقاع والمطلقه . وعرفوا ذلك علي ما اظنه من كتب موسي
وصنينا حتي تخيلوا الجنه المذكوره عندنا • وان كانوا قد خالفوا الشرح وبينوا المعني
باسما اخر غير اسماينا • فمن خبر ذلك الرجل كان ذكر هذين المذكورين عنده هزوًا •
وكان ذلك هكذا •

وكانت سفينتنا مملوه من الادب بحسب طاقة الطبيعة البشريه • لانه قد تقدم

في القول ٠ ان ما قطع الموضع المعروف بعاديرا غير مسلوك الي ماورا ٠ فدعت
الحاجه الي العوده ٠ والاهتمام بالطريقة التامّه ٠ والتشبت بالاشيا الماموله عندنا
والمُعدّه لنا ٠

نحضر يوم الانصراف وما يتبع الانصراف ٠ من كلام الوداع والاطلاق والمراجعه
والزفرات والعناق والعبرات ٠ مما لا يكون محزن اكثر منه عند المتفقين هناك
في انفصال من ينفصل منهم عن اثينا ٠ وبعضهم عن بعض ٠ فصار حينيذٍ منظر رقي
منه ٠ ويستحق ان يخبر بهِ ٠ لانه اصطف حولنا صفّ رفقتنا واترابنا ٠ ومعهم
قوم من المعلّمين ٠ وهم يقولون انهم لا يطلقون الانصراف ٠ ولوكان ما ذا ٠ فلم يزالوا
يسَالون ويلزمون ويقنعون ٠ ولم يتركوا شياً من القول ٠ مما يشبه ان يقولوه
المتالمون ٠ وهاهنا فاعنتّ علي نفسي ٠ واعنتّ علي تلك النفس الالهيه التي لا
يوصل اليها ٠ وان كان في ذلك جسارة ٠ وذلك انّه ذكر هو السَبب في اجزامه
علي العوده ٠ فتمكن بذلك ممن كان تشبت بهِ ٠ وكان ذلك شديداً عليهم ٠ الا
انهم علي كل حال سمحوا لهُ بهِ ٠
وامّا انا فتخلفت في اثينا ٠ لانني من معنيّ لبثت ٠ واقول في ذلك الحقّ ٠ الا انّه
هو الذي اسلمني ودبّر عليّ في اقناعي ان اتركه ولم اكن تاركاً واطلقهُ لما يديه
وكان ذلك امر لم يُصدّق ان يكون مثلهُ الابعد كونه ٠ فصار هذا مثل قطع
جسم واحد بين اثنين ٠ وموت كليهما بعد القطع ٠ او مثل انفصال عجلين
مترافقين ٠ يعج كل واحد منهما ويطلب صاحبهُ ٠ ولا يصبر علي الانفصال عنه ٠

الا ان الحسرات في ذلك لم تطُل ٠ ولا صبرت علي ان كون مرثا المُدّه الطويله التي
احتاج فيها الي اعتذار عن المفارقه ٠ ولكن كان مقامي باثينا مدّة يسيره ٠

ثم عمد بي الشوق مثل ما ذكر عن حصان اوميرُس ٠ فقطعت رباطات المتمسكين

بي وتوجهت في البقاع طافرًا • الي رفيقي متوجهًا • فلمّا عدنا وارضينا العالم وسيرته
باليسير • وقمنا بذلك بما اوجبه الشوق الي الكثير • اذ كنا لم نكن ممن يرايي ويتصنع •
صرنا بعد ذلك سريعًا الي ملك نفوسنا • وتم لنا ان نصير من المودة الي عداد الرجال •
فارحلنا وتبررنا في ملازمة الفلسفه والتزيّد فيها • الا اننا لم نكن مجتمعين . لان
الحسد ما تركنا • ولكننا قد كنّا بالودّ مجتمعين • ⁂ ⁂ ⁂

اما هو فتمسكت به مدينة قيساريه كالتمسك منها بمن عمّرها واسكنها • ثم بعد
ذلك عرض له اسفار اوجبتها الضروره • وكان في ذلك . اننا لم نكن عنده • ولم يكن
ذاك عن الفلسفه المقصوده بعيدًا • ⁂ ⁂ ⁂

واما انا فتمسك بي القول بالوالدين وخدمتهما في الشيخوخه • ومصايب اخري
آخرتني عن الرجل • وعسي ذلك لم يكن جميلاً ولا واجبًا • الا انني تاخرّت • واذا اما
نظرت • فمن هاهنا تعسرت علي الامور واتتني الصعوبه في جميع عمري • ولم تتسهل
لي الطريق الي الفلسفه • ولا اتجهت الي اختياري بحسب ما يوجبه الحال • والان
فاما اسبابنا نحن • فالله اولي ان يقودها الي ما يختار • بل يقودها بشفاعة ذلك
الرجل الي ما هو افضل • ⁂ ⁂ ⁂

واما ذاك فتحنن الله عز وجل علي البشريه باختلاف انواعه وحسن سياسته
لجنسنا • شهره وبيّنه باسباب كثيره توسطت • وجعله مصباحًا للكنيسه بهيًّا
بيّنًا في كل موضع مذكورًا • ورتّبه في منابر القسوسيه الطاهره • وانار به من مدينه
واحده وهي قيساريه جميع المسكونه • وان سالتني عن الطريقه في ذلك • ذكرت
لك زياده يسيره • وبينت المعني فيه • ان الدرجه لم تاتيه بديهًا • ولا غسلته
وحكمته في وقت واحد • بحسب ما يجري في هذا الزمان من جماعه يهوون المراتب •

بل كان ذلك بترتيب وناموس الصعود الروحاني . فعلي هذه الطريقه اهّل للكرامه .
وانا فلست امدح ما يجري عندنا من القبيح وعدم النظام . في اقوام ربما تقدّموا الي

الرابع . لانني اجسر علي مدمة الكل . ولا ذلك ايضًا من الواجب . بل امدح ناموس الملاحين . لانه انما يصلح ان يسلم الي الرييس المقداف في الاول . ثم يقدمه الي مقدم السفينه . ويثق به علي النظر الي قدام . ثم يجلسه بعد ذلك علي موخرها ويسلم اليه تدبيرها باريحها . بعد ما يكون قد ضرب البحر كثيرًا . ثم تامل طرق الرياح فيه . ومثل ذلك ايضًا قد يجري في مراتب الحروب . فان الانسان هناك قد يكون في الاول جنديًا . ثم اكسيرح . ثم استراديقوس . فهذه الطريقه هي الفاضله النافعه للمبتديين . واما امرنا نحن فيما نستعمله . فقد كان يساوي كثيرًا لو كانت هذه صورته . لان الطمع الذي يزيد علي غيره في القدس عندنا . يكاد الان يكون ضحكًا اكثر من ساير الاشيا . لان المتقدم فيه ليس هو من الفضيله . بل بالشر والحيله . وليس الكراسي لمستحقيها . بل لمن يتقوي عليها . فصموييل في الانبيا . وهو الناظر كان المستانف لاله . وقد كان شاوول ايضًا المردول . وقد كان راجيعام ابن سليمان في الملوك . لانه قد كان ايضًا يوربعام العبد المارق . وليس يكون احد طبيبًا وهو لا يعرف طبايع الامراض . ولا مزوقًا الا وقد مزج الالوان ورتب الصور . واما المتقدم في الكهنوت فيوخذ بسهوله من غير ان يتقدم له عنا ولا تعب . ويكون جديدًا في المرتبه . في وقت واحد يزرع ويثمر . كما يصلح الخرافات للجبابره . فنحن نخلق القديسين في يوم واحد . ونامر الذي لا حكمه عندهم ان يكونوا حكما . ومن لا يتقدم الي مرتبته بشي غير الهوي والاختيار . فيصير علي الرتبه السفلي والوقوف بها ذليلًا . ومن كان للعاليه مستحقًا . وكان قد درس الكتب الالهيه كثيرًا . وقد امر جسمه باوامر كثيره في الخضوع للروح وغيره فيجلس متعظمًا . ويرفع حاجبيه علي من هو افضل منه . ولا يرتعد من الكرسي . ولا يقشعر من النظر الي الناسك وهو دونه . بل عند ما يصح له القوه والعز يتوهم انه حكيم . ورايه في ذلك راي سو . والسلطه عندا نتزعت منه العقل . لان باسيليوس الكبير

الذي

الذي هو في كل معني كبير . لم يجري امره هكذا . لكنه بحسب ما كان في ساير الاشيا
الاخري رسمًا ومثالاً كذلك ايضا صار للجمال هاهنا مثالاً للكل . فلم يزل في الاول
يقرا الكتب علي الشعب . وهو القادر علي تفسيرها . ولم يانف عن هذه الرتبه
من مراتب المديح . ثم حصل بعد ذلك في مجلس القسوس . ثم في رتبة الاساقفه .
يسبح الرب . ولم يشرق السلطان ولاحفظه . ولا عدا وزا الكرامه . بل الكرامه
طلبته . ولم يحصل له المنّة في ذلك من البشر . بل من الله الهه . واما
القول في رياسته فسبيله ان يتاخر في هذا الموضع . ويتقدم شرح الحال
في كونه دون الرياسه . وما اعظم ما كان يحل علي وهو موضوع في وسط ما قيل .

وهو انه جري بينه وبين الذي كان متقدم علي البيعه قبله خُلف . ومن
اين كان ذلك . وكيف . والامساك عن ذكره اولي . الا انه جري ذلك . وقد
كان ذلك الرجل في الوجوه الاخري غير ناقص . بل عجيبًا في حسن عبادته .
بحسب ما بينه الاضطهاد الذي جري في ذلك الزمان وقاومه الرجل . الا انه
لحقه في باب هذا ما يلحق البشر . لان العيب قد يعرض مع الكثيرين والافاضل
في بعض الاوقات . حتي يكون الله وحده لا يعاب ولا تدخل عليه الاعراض .

نتحرك اليه المقدمون في الكنيسه الزايدين حكمتهم عندنا . وهم الذين افردوا
نفوسهم من العالم . وقدموا الله اعمارهم ذبيحه اعني بذلك الناصريه عندنا .
وهم شديدوا الحرص فيما هذا سبيله . وكان لعمري قد صعب عليهم . ان
يروا عزهم مطرحًا مشتومًا مدحوضًا . فجسروا علي امر خطر . وهموا بقطع
جسم الكنيسه العظيم الذي لا ينفصل . واقتطعوا معهم قسمًا من الشعب غير
يسير من عامة الناس واهل المراتب ايضًا . وكان هذا متيسر من ثلثة
اسباب قويه . وهي ان الرجل كان محتشمًا . لا اعرف مثله من اولي فلسفتنا .

ومتمنعًا من ان يجري هذا الجمع علي ما اراده لو كان اختار ذلك • وكان مع ذلك
الذي احزنه منهما عند المدينه لموضع الاضطراد الذي كان جري في وقت
اصلاحه • وان اصلاحه كان علي غير ما يوجبه الناموس والقانون • بل بحسب
الاغتصاب والسلطان • وكان قد حضر جماعه من روسا كهنوت الغرب
اجتذبوا الي ذاتهم الارتودكسيه من الكنيسه • فما الذي صنع ذلك الفاضل
الذي هو تلميذ المسيح • لم يكن من شانه ان يخالف السايمين والحريصين •
ولا كان ايضًا يليق به ان يناضل ويفصل جسم الكنيسه • وعليها في ذلك
الوقت من جهال اضري قتال • وهي في خطر من قبل اقتدار الهراتقه • مع
ذلك فاستمد من جهتنا الراي والوعظ • فهرب معنا الي بلد البنطس •
وصار ناظرًا في بيوت الله هناك • وكان عندهم يستحق الذكر الكبير •
واختار البريه مع ايلياس ويوحنا الفيلسوفين المعظمين • وكان عنده لعمري
هذا اوفق من التفكر في شي يخالف فلسفته • ويفسد بالتخليط تدبيره •
في هدو الافكار • ولما كان انصرافه هكذا فلسفيا والاهيًا • فاننا نجد
عودته عجيبه اكثر من ذلك • وكانت هكذا • ؤ ؤ ؤ
وذلك انه ادركنا بينما نحن علي هذه الحال • غيم من البرد مملوًا • وبالهلال
مفعمًا موديًا • قد هدم كل كنيسه سقط عليها ووصل اليها وهو الملك
المحب للذهب ~~للذهب~~ • المبغض للمسيح • المريض من شيين عظيمين •
وهما الشره والتجديف • وقد كان لعمري بعد مضطهد مضطهدًا وبعد
التمرد • وان كان غير متمرد • فلم يكن بدون ذلك علي النصاري • بل علي
الجزو من النصاري الحسن العباده الطاهر الساجد للثالوث • الذي له
وحده نسمي حسن عباده ومجدًا ومخلصًا • اذ كنا لسنا نحد اللاهوت •
ولا نجي الي الطبيعه الواحده التي لا ترام • فنفصلها عن ذاتها • ونجعلها
غريبه غير مجانسه ولا نداوي الشر بالشر • اعني ان نقسم ما يجمعه

صابا اليوم

صاباليوس عدو الله قسمة كفر اشد منه • ونحلة ينقطع كان مرضًا لاريوس
سمي الجنون • فزلزل الكتب البيعه وافسدها • ولم يكرم للاب واهان من كان
منه بالروح غير متساوي في اللاهوت • بل الذي نعرفه نحن • مجد واحد هو
مساواة للابن الوحيد للاب في الكرامه ومساواة الروح للابن فيها • وان
كلما حططنا من الثلثه كنا قد هدمنا به الكل • بل نحن نري ان الثلثه ثلثه
بالخواص نعدها ونكرمها بالوحده في اللاهوت . لان ماهذه سبيله لم يكن
لذاك يعني الملك ببال • ولا كان يقدر يرفع الي العلو ناظره • بل كان ذليلاً
يقوده الي الذل غيره • بخسران يحط مع نفسه طبيعة اللاهوت • فصار
خلقه خبيثه بحط الرياسه الي العبوديه • ويضع الطبيعه الغير مخلوقه
التي فوق الزمان مع الخليقه • وكان رايه هكذا • وقصده ايانا بما هذه
سبيله من الكفر • ولم يكن ينبغي ان يتوهم في ذلك • الا انه قصد من يريد يهدم
غير سور • ولا مدن ولا مساكن ولا غير ذلك من صغار الاشيا المصنوعه بالايدي
ويمكن اصلاحها فيما بعد • بل يقود النفوس الي الاشر • وورد معه جيش له
اهل • وهم روسا البيع الاشرار اصحاب ارباع المسكونه التي كانت تحت يده •
وقد كان حصل لهم بعض الكنايس • والباقي فكانوا يرجونه من قبل الملك معهم
وقوة يده التي كانت تدمها الي قوم وتهدد بها الي اخرين • فوردوا اجمعون
ليهدموا كنيستنا مع ما كانوا اليه قاصدين • ولم يكن لهم الجسارة علي ذلك مثل
الاشيا الباقيه كلها • اومثل جسارتهم لموضع انقباض النفوس فيما تقدم ذكره •
وقلة خبرة رييسنا في ذلك الوقت • وللامراض التي كانت فينا . فصار من هاهنا
الجهاد شديدًا • ونشاط الكثيرين غير ناقص في الجلد • بل كان قويًا . الا ان
المصاف كان ضعيفًا • ليس له مدبر حاذق ولا مبارز بقوة الله الكلمه والروح مقلق •

فما الذي صنعته تلك النفس الجزله العالي فكرها في الجلاده المحبه للمسيح محبه

قوبل كراس ٩

سيادقه ، ما احتاجت الي كلام كثير في الحضور والمساعده في القتال ، بل معما ابصرنا
نتشفع اليه في هذا الباب ، لان الجهاد كان لنا جميعًا مشتركًا ، اذ كنا مقدمين في
المناضله عن الكلمة ،
فلما ضرعت منا الشفاعه ورضخ لها ، وقسم في ذاته بفضل حكمته وفلسفته بحساب
الروح ان صغر النفس والانقباض اذا كان لا بد من ان يعرض ذلك له فله وقت آخر ،
وهو وقت الهدو والسكون ، واما طول الروح والمسامحه فلها وقت آخر ايضًا وهو وقت
الضروره . فسار للوقت معنا من بلد البنطس وغار للحق عند شرفه علي العطب ،
وصار مساعدًا غالبًا بارادته ، وحمل نفسه وسلمها الي والدته الكنيسه ،
فهل كان نشاطه هكذا ، وجهاده دون النشاط ، وجاهد بشجاعه ولم يجاهد بفهم ،
او جاهد بادب وعلم ولم يدخل مع ذلك في شدايد صعبه ، ام فعل ذلك كله بما
يفوق القول ، وبقي عنه بقيه لوحشة النفس التي تقدمت ،
جواب ، معاد الله ، بل جمع كل شي في وقت واحد ، فصالح واشار بالصواب ،
وتقدم في المصاف ، وحل ما كان عرض في الوسط من الاشيا الصعبة المعبر ، التي من
اجلها جسر عليها المخالفون وقصدونا ، وجا الي الناس ، فمنهم من تمسك به ومنهم
من استدعاه واستصلحه ، ومنهم من دفعه ودحضه ، وصار للقوم سورًا حصينًا ،
ومعقلًا منيعًا ، وللاخرين حسامًا قاطعًا او صخرةً صلده ، او نارًا في شوك
حسب ما ذكر الكتاب ، تفني بسهوله شيعة اللاهوت ، الذين رايهم في السخف
ضعيفًا ضعف للافريعان في الوقيد ، فان كان برناباس قايل هذا القول ،
وكاتبه ساعد بولص وعاضده ، فالمنه لبولص الذي اختاره ، واستدعى منه
المعونه في الجهاد ،
فانصرف عنا حينيذ الذين قصدونا بغير طايل ، وكانوا اشرارًا ، وكان خزيهم
شرًا عليهم من انهزامهم في الاول منا وانهم علموا انه لن يسهل التهاون باهل
الكبادوك ، ولو سهل بغيرهم من الناس اجمعين ، لان ليس لهم شي يخصهم مثل

التيام

التيام الامانه ورصانتهم وايمانهم بالتالوت وقرباهم منه . اذ كان من التالوت التيامهم
فيعينونه لانه هو لهم المعين ، بل معونته اياهم افضل واشد ،
ثم كان فعله التاني بعد هذا ، حرصه رضي الرئيس وازالة ما كان توهمه فيه واقناعه
كل الناس ، بانما تقدم من حزنه ، وكان ذلك من الشريف امتحانا وقتالا من معني
حسده علي الاتفاق في الصالحات ، واما هو بذاته نفسه فكان بناموس
الطاعه عارفا . وبالطقس الروحاني عالما ،
فمن هاهنا مضى وحكم واطاع ووعظ ، وصار لذلك الرئيس للاشيا مشيرا صالحا ،
واقفا نافذا للالهيات مفسرا ، والي ما يجب من الافعال قايدا . للمسيح عكازه ،
وفي الامانه قاعده ، الامين في الدواخل ، الكافي في الاعمال من خارج ، واذا جمعنا
القول في ذلك بكلمه واحده ، قلنا انه صار مقداره في النصح مثل ما توهم فيه
قديما من العداوه ، وصار له من هاهنا العز في الكنيسه والتقدم ، وان كان
مجلسه في الجلوس تانيا ، وقدم من النصح ما حصل له عوضه من السلطان . وكان
الاتفاق هاهنا وانتظام المقدس عجيبا ، لان الواحد من هذين الاتنين كان
يقود الشعب . والاخر كان يقود القايد ، وكان كانه مثل سايس اسد ، يجعل
صاحب السلطان انيسا بحدق صناعته ،
لان ذلك الرجل الرئيس لما كان قريب العهد بالجلوس علي الرياسه ، وكانت فيه
بعض روايح الهيولي الدنيويه ، ولم يكن كاملا في الروحانيه ، وكانت الامواج
من الهراطقه تبادر والاعدا يقصدون الكنيسه ، وكان من هاهنا الي من يرشده
محتاجا ، والي من يسنده فقيرا . فلهذه الحال مال الي المساعده ،
وعند ما كان الامر كذلك كان يتوهم هذا باسيليوس ان الامر له ، وان امكنه
ذلك في مكنته ، واما نظر هذا الرجل في باب الكنيسه وسياستها والتقدم
عليها ، فقد كان له في ذلك علامات اخري ، تقدمت كثيره ، وهي الداله
علي الروسا الاخري ، ومن كان في المدينه من المقدمين ، وحل الخلف فيما بين

الناس لا مخالفة فيه • بل كان كلامه برسمه • ومذهبه يدعوا الي العمل به • واهتمامه
بالمحتاجين الاكثر منه روحاني. والاقل جسماني • لان هذا قد يودي في كثير من الاوقات
الي النفس ويتعبد لها بالنصح والقيام بالاقوات للضعفا • وضيافة الغربا • ومراعاة
الايتام • ووضع النواميس للمتوحدين بعضه مكتوب • وبعضه غير مكتوب • ورسوم
الصلوات • وزينة المذبح • واشيا اخر بها يكمل الانسان • المنسوب بالحقيقه
الي الله • وهو مع الله مرتب ان ينفع بها الشعب •
وها هنا شي اخر واحد • وهو من اعظم الاشيا وابينها دلاله • وذلك ان مجاعه
اتت • وكانت تزيد علي ما ذكر قبلها من امثالها من الصعوبه • وكانت المدينه
في شده • والمعونه من ساير الوجوه غايبه • ومداواة الضر غير موجوده • لان
المدن الساحليه اذا عرض لها العوز لن يصعب هناك احتماله • واما نحن
سكان البر فما يفضل عنا ولا ينتفع به • وما يعوزنا لا حيله لنا فيه • من حيث
لا يتهيا لنا ان نخفف ما عندنا • ولا ان نستمد ما يعوزنا • واعظم الاشيا فيما هذه
سبيله • شره ذوي الاحوال ومن عنده الشي • وقلة توجعهم للمحتاجين •
اذ كانوا يترقبون الاوقات ويتاجرون للعوز ويستغلون من الافات الوارده
علي غيرهم • ولا يرون ان يقرضوا الرب • ولا يقبلون ممن يرحم المساكين. ولا
يسمعون ما قيل ان من يخزن البر انما يعرض نفسه للعنه من الكل • ولا ينقادون
لشي مما وعد به المتحننون • ولا يجزعون من الوعيد الذي اوعد به الفاسقون •
فزيادتهم في الشره مفرطه • واراهم رديه • يغلقون احشاهم علي الطالبين
منهم • ويغلقون احشا الباري تعالي • فيما يطلبون منه • ويجهلون ان حاجتهم
اليه اشد من حاجة اخرين اليهم • فهذا راي اصحاب الاهرا الذين يتقطون
القمح ويتاجرون فيه ولا يكتئبون لمجانسيهم • ولا يشكرون خالقهم •
الذي منه صارت لهم المكنه • من حيث حصل الضر لغيرهم • ففي عروض هذا
لم يكن يمكن ذلك الرجل • ان يطر من السما خبزا بسوال • ولا يطعم في القفر شعبا
هاربا

هاربًا. ولان يشبع من انا طعامًا لا يفني. بل بعد فراغه يعود ملا. وذلك كان معجزًا
ليغذي التي كانت مغذيته. ويكون ذلك لضيافتها اياه مكافاه. ولاكان يمكنه
ايضًا ان يشبع بخمس خبزات آلوفًا كان الذي فضل عنهم فيه كفوًا لموايد كثيره
اخري. لان ماهذه سبيله كان لموسي ولايليا ولالهي الذي منه كان لاوليك
الاقتدار علي مثل هذا. ولعل ذاك انما كانت تلك الاوقات ونظامها يقتضيه.
لان الايات انما هي للكفار ظاهره. وليست للمومنين.
الا انه فكر في غير هذا المعني. فاتاه وصنع ماهو تابع لهذا ومودي الي مثله
مع مثل تلك الامانه فاستوفاه. فاول مافعل. انه فتح بالقول من مواعظه.
خزاين من كانت الاقوال عندهم واتي ما اشتمل عليه الكتاب. في فتنة الغد اللغربا
والجياع. واشباعه الضعفا والمساكين من الاخبار. وتغديته نفوس جايعه
ملاها من الخيرات. وعلي اية طريقه فعل هذا. فان ذكرها ليس بصغير في
الزياده.
جمع في موضع واحد من كان الجوع قد جرحه ونكاه. ومن كانت النفس قد
بلغت التراقي بنفسه. برجال ونسا وصبايا وشيوخ. وكل من يستحق الرحمه
والترثي من اسنان الناس. فيفرق عليهم كل نوع من الطعام الذي فيه معونه
للجياع. وملا مراجل من دهن ومكسود فيه شبع وتغديه للمساكين. ثم
تشبه بخدمة المسيح الذي شد وسطه بميزر. ولم يانف من غسل ارجل
تلاميذه. واستعان في ذلك بغلمانه بل بالمشاركين له في العبوديه. فشفي
اجسام المحتاجين. وشفي النفوس. واضاف الي الحاجه الكرامه. وتم الشفا
للجميع من المعانيين. فهذه كانت صورة يوسف الثاني القيم باقوات البر الحديث
عندنا. نعم. وعندي شي آخر اقوله. يزيد علي ما اصطنعه ذاك. لان ذاك
تاجر اهل مصر بالجوع. وشراها منهم بخس النظر. وخزن وقت الخصب
لوقت المجاعه. وانتفع في ذلك الرويا وبالمنامات التي ابصرها غيره. واما هذا

كان صلاحه وخيره مجانًا ٠ وكانت معونته عند عوز الوقت بغير تجارة ٠ وكان
الي شي واحد ناظرًا ٠ وهو ان يقتني بالتحنن ومحبة البشر تحننًا ٠ وان يصل
بكيله هاهنا الطعام الي الخيرات التي هناك معدات ٠ وكان هذا مضافًا
الي ما يستعمله من التغدية التامه بالقول ٠ والمصنفات التي هي للاحسان
الكامل ٠ والتوزيع الوافر الذي هو بالحقيقه سماوي رفيع اذ كان غدا
الملايكه هو النطق ٠ الذي به تشبع النفوس وتروي اذ كان الي الله سعيها ٠
والغدا غير الزايل وغير النافد ٠ بل الذي هو الي الابد ثابت طالبًا ٠ وهذا
الغدا فذلك الرجل كان بالقوت فيه قيمًا ٠ غنيًا مبالغًا ٠ وقد كان افقر من
عرفناه واعسرهم ٠ الا انه كان يشفي لا من جوع خبز ولا من ظما ماء ٠ بل من
الشوق الي القول الصادق المحيي الشديد التغديه الصاير الي نما السن الروحانيه
لمن يحس ان يتغدي حسنًا ٠ فمن هذه الاشيا وامثالها ٠ ولما اتمادي في ذكر كل شي ٠

وان ذلك الرجل الذي هو الرييس ٠ لما انتقل سمي حسن العباده ٠ وكان انصراف
نفسه في يدي ذلك الرجل ٠
بلذه اصعد هذا الي الكرسي ٠ ليس خلوًا من تعب وحسد ومصارعة
المتقدمين في وطنه ٠ واشرار المدينه لما اتفقوا معهم ٠ الا انه كان ينبغي
ان يغلب الروح ٠ فغلبت بقوة شديده ٠ وحركة من البعدا الذين كانوا
عتيدين ان يسموه بدهن الكهنوت ٠ وقد كانوا رجالًا بحسن العباده
معروفين ٠ والي الغيره في ذلك منسوبين ٠ وكان في جملتهم ابراهيم
البطريرك الجديد ٠ اعني به والدي ٠ فعرض في بابه امر عجيب ٠ وذلك
انه كان من كثرة السنين وطولها فانيًا ٠ ومع ذلك بمرض ملددًا ٠ وهنه
الي اخر نفس واصلًا ٠ فتجري علي الطريق للمعاونه علي الاختيار وكان
تجاسره تقده منه بالروح ٠ وانا اقول في ذلك قولًا مختصرًا ٠ وهو انه فرضع

في

في المحل ميتًا في قبر منه موضوعًا • فعاد شابًا قويًا الي العلو ناظرًا • قد عوفي من ايدودهن
الكهنوت • وان قلنا مع ذلك . ومن راس المدهون لم يبعد فليرد هذا في الاخبار
القديمه • ان تعبًا ربما افاد صحه وان النشاط يقيم الاموات • وان الشيوخه تنهض
اذ لمست دهن بالروح . فلما وصل هكذا الي التقدم في الرياسه • بحسب ما كان يليق
بمن هذه صورته • وقد وصل الي هذه النعمه . ومن هكذا كان الظن به • لم يجر ذلك
وينقصه شي مما يتلوه • ولا اخفض فلسفة نفسه • ولا كذب امل مؤتمنيه فيه •
بل كانت زيادته علي نفسه في ذلك دايمًا . بمقدار ما كان يظهر منه قبل هذا
للباقين من الناس • وكان رايه في ذلك احسن الاراء واوفقها • وللفلسفه مطابقًا •
لانه كان يري ان فضيلة الواحد من العوام • الا يكون شريرًا • او يكون بمقدار يسير
خيرًا • واما اذا كان الانسان رييسًا متقدمًا ولا سيما في مثل هذه الرياسه • فمتي
تاخر عن ان يزيد في الفضيله علي الكثيرين • ولا يكون افضل منهم دايمًا • ولا
يجعل فضيلته بازا من نيته • وبمقدار حسد حاسديه • فان ذلك يعد منه
شرًا عظيمًا • لانه بالجهد يبلغ الانسان عند تباهيه في القابه الي الوسط •
وبالزياده من الفضيله يجبذ الكثيرين الي المقتصد منها • بل متي ما اردت
ان ازيد تفلسفًا في هذا المعني • قلت ان ما اري انا وكل واحد من الحكما في المخلص
كاينًا . لما صار معنا بصورتنا وفوق منها متصورًا • مثل هذا اراه هاهنا كان جاريًا •
وذلك انه بحسب ما كان المخلص ناميًا في الحكمه والنعمه • مثل نشوه في السن
والزمان • لا لان النعمه كانت تنشوا فيه • اذ كان التام من الاصل لا يمكن ان
يستزيد تمامًا • بل لان النعمه كانت تتجدد وتظهر فيه قليلًا قليلًا مع الزمان •
وفضيلة هذا الرجل ايضًا هي هاهنا فلم تكن زياده في ذاتها بل زياده في العمل
بها • لما وصل الي سلطان بمدة زياده كثيره تقويه علي الفعل • فبين في
الاول عند كل احد • ان الموهبه التي صارت اليه • لم تكن فعلًا من هنه بشريه •
بل من الله خالق البريه • ويدل علي ذلك • ما جري في بابنا لما وافقني

علي تقلدي في ذلك الزمان • وذلك ان كل احد كان يتوهم • اني
اسبق اليه مسرورًا بما وصل اليه • وقد كان لعمري هذا ربما جري من غيري • وان
اكون مقاسمه علي الرياسه • فضلاً عن ان اكون تبعه فيها • وكانوا يظنون ذلك
بحسب الصداقه المتقدمه • الا اني انا لما تجنبت التنقل • وكان من شاني ان اتجنب
ذلك في كل شي • وازيد فيه علي غيري • وتحايدت مع ذلك فرط الحسد في ذلك
الزمان لا سيما ان اموره كانت في ذلك الحين مضطربه مقلقله • فاقمت في منزلي.
وقبضت شوقي عن اختياره بشده • فلامني في ذلك • الا انه ابدل عذري.

ولما حضرت بعد ذلك • ولم اقبل الكرامه في تقدم المجلس • ولا الارتفاع مع القسوس.
لم يلم • بل مدح واحسن في ذلك • ورآه ان ينسب هو الي التكبر من قوم يجهلون
سيرته في ذلك • ولا يفعل شيًا يخالف القياس عنده ويضاد اراه • ولعمري كيف
كان يتبين • انه كان انسانًا نفسه تفوق التصنع والملق • وان نظره الي الناموس
في الجميل وحده • لو لم يري فينا مثل هذا الراي • ونحن اول من عرفه من اصدقايه واترابه.

ثم بعد ذلك لين المخالفين الذين كانوا عليه واصلح حالهم • بمعان من طب كبر
النفس • ولم يفعل ذلك بطريقة ملق ولا تذلل • بل بشهامه جزله ورياسه.
لم يكن نظره الي ما حضر في الوقت • بل كانت سياسته تحصيل الطاعه في
المستانف. لانه كان يري • ان اللين يحل ويرخي • والقساوه تخشن وتمزق.
فاستعمل من الصنفين ما يكون منه معونه من الواحد للآخر • فمزج الصلابه
بدعه. واللين بشده • فصارت حاجته الي القول قليله • وقوته بالعمل في
المداواه شديده • وكان لا يستعد لصناعه • بل يقرب بلطفه من الراي • ولا
يستعمل المقدره • بل يستصحب باشفاق بعد ظهور القوه • وكان اعظم الاشيا.
ان الناس كلهم كانوا عن قوة فكره ناقصين • وكانوا عالمين بان فضيلته لا

ترام. وان الخلاص لهم بان يكونوا معه الي جملته منقادين. وان العطب لهم واحد.
وهو ان يعاندوه بعد علمهم ان الانفصال عنه بُعد من الله وغربه. فرضخوا له
وانخزلوا طايعين. وانحطوا وانصرعوا كالانصراع من صوت الرعد. وكان كل
واحد منهم يطلب ان يسبق غيره في الاعتذار. وان يكون مقدار الصحبه والطاعه
والزياده في الفضيله فيما يستانف بقدار العداوه والخُلف فيما سلف. وهذا
كان اقوي ما يجدونه في الجواب والاستعطاف. ما خلا ان يكون انسان وقع
التهاون به بشر لا دوا له. فاسقط لينطحن هو في ذاته ويفني. مثل الصدا
الذي يفني مع الحديد. فلما اصطلحت حال خاصته وجري الامر فيها علي رايه
ومحبته. وكما لم يقدر احد من الجاهلين به الغير مومنين. انه لم يتم له مثله.
فكر في شي اعظم وارفع من هذا في ضميره. وذاك ان غيره من الكل. انما يرون
ما حضر قدامهم. وينظرون فيما يحرزهم وحدهم. اذ كان ذلك حرزا. ولا
يتجاوزون هذا ولا يمكنهم ان يفعلوا غيره. ولا يفكروا فيه. ولقد كان لعمري
في غير هذا متواضعا. لانه لما راي هاهنا. ان يقتصد. بل رفع راسه علوا.
وبسط نفسه ناظرا دورا. واستصحب المسكونه التي ادركها. ودار عليها قول
الخلاص.

وذلك انه راي حزب الله العظيم. وامته المقدسه. وكهنوته الملكيه
التي قد اصطنعها باقواله ونواميسه والامه. ونظر اليها وقد سات حالها.
وتمزقت الي عدة اراء وضلال. وابصر الكرمه المنتقله من مصر. المنتزعه بالله
من الجهل المظلم. لانه اعظم الجهل. ثم تقدمت بعد ذلك الي جمال وعظم لا يحد.
قد سترت الارض كلها. وعلت علي الجبال واشجار الارض. لانه قد افسدها
بعد ذلك خنزير وحشي خبيث. فلما راها علي هذه الصوره. لم يري ان المناحه
والندب علي ما المها يكون كافيا بمد اليدين الي الله وحده. والطلب منه
الانقاد من هذه الشرور المحدقه. وان يكون هو في ذاته مع ذلك هاجعا.

بل وان ياتي من نفسه بشيًا من المعونه . اذ كان لم تكن ازيد من هذه المصيبه في المضره .
ومن اجل مثلها . سبيله من نظره الي العلوان يحرص ويجتهد . لاحاله وحده . اذا اصلحت
اوساط لم يبين ذلك علي الكافه . واما الجملة المشتركه فاذا كانت حالها هكذا ام
هكذا . فالضروره داعيه الي ان تكون حال كل واحد منها مثلها . فلما تبين ذلك
المدبر للجماعه المتقدم عليها وتامله . وكان القلب الحساس هو دودة العظام .
علي ما ذكر سليمان . ودابه من ذلك موافق للحق . وان المسرور من لا يحس بالم .
وان المشارك في الالم مشارك في الغم . وان دوبان القلب الفكر الدايم . وبهذه الحال
كان يتقلي ويتالم . ولحقه ما لحق يونان . ويتاقف بنفسه ويتجرح مثل داوود . ولا
يملي عينيه من الكري . ولا يعطي اجفانه وسنه ولا رقده . بل كان يفني ما بقي
منه من اللحم بشدة الهم . حتي يحذروا لا لهذا الضو . فطلب المعونه من الله اكثر
من المعونه من البشر . واستمد معاضده . فيها كفايه لابعاد هذا الحريق . وصرف
ما حل بنا من الظلام . فوقع الاختيار من رايه علي شي واحد . وكان ذلك لعمري
شديد المعونه علي الصلاح . فجمع نفسه الي ذاتها بحسب الطاقه والامكان .
وحبسها عند الروح . ونفي كل افكار بشريه . واستقر القعر من الكتب . فكتب
حسن العباده . وفرز ذلك لمصارعة وقتال . ورفع بذلك تهجم الهراطقه ودحضه .
ومن كان منهم تقدم الي بين يديه . كان يصرعه بالسلاح القريب من لسانه . ومن
كان بالبعد منه يرميه بسهام من المداد لم يكن بدون المسطور في الصحف . ولا صارت
لامة اليهود وحدها وصغرها واضعة ناموسًا في الماكل والمشارب والذبايح التي
تطهر الاجسام في الوقت . بل كان الذي عمله عمالاً لكل جنس . وكل جزو من اجزا
المسكونه . من الكلام في الحق الذي منه يحصل الخلاص . وكان الثاني بعد هذا .
ولعمري ان العمل بلا علم والعلم بلا عمل . في عدم التمام متساويان . فلذلك زاد هو علي
العلم المعونه من العمل . فكان يفد علي بعض الناس بنفسه . ويشفع الي اخرين .
ويرغب الي قوم بالوعظ والتوبيخ والزجر والتهديد والتعبير والتفنيد ويقاتل

عن

عن الامم والمدن وعن كل احدٍ . ولا يترك نوعًا يودي الي الخلاص الا وتحيل به وتسكع فيه
طالبًا المداواه من ساير الجهات . وقد كان نظيرًا البسلاييل المقدم في عمل تلك القبة
الالهيه . واستعمل في عمله بكل مادة صناعة كل شي ونظمه للفوز لجمال ونظام واحد .

ولمالي اشتغل بقول آخر دون ان اذكر . انه قصدنا دفعه ثانيه ذلك الملك المعاند
المسيح . المتمرد علي الامانه . وكان قصده ايانا بكفرٍ اشد من الاول . ومصاف اقوي .
من الجراه . لان المقاوله كانت مع المجاهد شديدة القوه . مثل تلك الروح النجسه
الخبيثه . الذي اذا ما انحلت من الانسان ضلت . وعادت اليه مع ارواح اكثر من
الاوايل لتسكن فيه . وذلك هو ما سمعناه في الانجيل . فتشبه الملك بتلك الروح
الرديه . ليستقبل عثرته في الاول . ويزيد شيًا آخر علي ما تقدم من صراعه . وكان
عنده من اصعب الاشيا واشدها ان يكون قد راس امما كثيره . واهل المجد كبير . وقد
صرع كل من حوله بقوة كفره . واستولي علي كل من تعرض له . فينقص بعد ذلك عن
رجل واحد . ومدينه واحده . ويصير ضحكه عند الذين كانوا يشرفونهم . وهم المقدمون
في كفره بعد عند ساير الناس . لانه قد قيل عن ملك فارس لما قصد بلد اللاده .
وساق اليها كل جنس من البشر . واشتد غليانه في غضبه . ورايه انه لم يقتنع ان
يتعالي من هذا المعني ويترفع . حتي يكون لا يجد مقدارًا في الوعيد وحده . حتي
اضاف الي ذلك غيره من التهويل . فجعل نفسه مهولاً بما جدده علي الاستقصات
في ارضٍ سمع بها غريبه . وبحر من خالق جديد . وجيش يركب في بحر من البر .
ويمشي في جلد من بحر . وجزاير تنهب . وبحر يضرب بالسوط . وغير ذلك من
التهويلات التي اظهرها ذلك المتجبر في غزوه وقيادة جنوده . وكان ذلك لعمري
عند المهينين فزعه . وعند الشجعان الشديد باسهم ضحكه . واما هذا الملك
فلم يحتج الي شي مما هذه سبيله في قصدنا . بل الذي اتاه كان شرًا من هذا
واضر فيما صنعه وسمع من قوله . لانه رفع فاه الي السما . ولفظ بالتجديف

والغلبة الي العلو • وخطر قوله الي الارض • وقد وسمه قبلنا داوود الالهي • اذ كان
اما ل السما الي الارض • وعدم مع الخليقه طبيعه تفوق العالم لا يمكن البريه ان
تطيقها • وان كانت صارت معنا من معني التحنن علي البشر ليجد بنا لما انخفضنا
الي الارض • ولعمري لقد كانت مبارزته في الاول بهيه • وصارت في جهاده الاخير
علينا ابهي • وانما هي المبارزه التي اقول انها الاولي • فتوكه النقي الشديد الاشهار
الجيل الظاهر والباطنه • الاقناع في وقت الاقناع • القسر اذا لا يكون اقناع •

نفوم من البيع مدفوعون • وهم الذين كانوا بقول الصدق قايلين • والينا منقادين •
وقوم اخرون هم الي البيع مدخلون • وكانوا في هلاك الملك له موافقين • والذين
يطالبون بالخطوط علي الكفر حاضرون • والذين يكتبون سرا • من ذلك مسارعون •
وقوم من القسوس في سفن البحر يحذفون • وسرادغة الكفر لا يقصدون بلد فارس •
ولا ياسرون الصقالبه ولا ينظفون غيرهم من الارض عن الامم البربريه • بل غزوهم
علي الكنايس • ورفصهم علي المذابح • يدنسون الذبايح التي لا دم لها بدم • ويقصدون
الابكار فيسودون حياتهم • ويشتمون سيرتهم • مسله • ماذا يكون •
جواب • ليبعد يعقوب البطريرك • ويدخل عوضه الصوم المبغض من
قبل كونه • فهذه من جملة فتوكه • او نشاطه في الاحاديث القديمه التي تحرك من كل
احد دموعا • اذا ما ذكرت ووردت الي مسامع السامعين • فلما تصرف في كل شي • نهض
الي هذه البيعه التي لا تتزعزع • ولا يدخل عليها حادثه • وهي لغيرها من الكنايس
والده • يتعمد استعبادها والاشتمال علي هذه الشعله المحبيه • التي هي وحدها
كانت الي ذلك الوقت باقيه • حينيذ امس بسور رايه ولا ارتد • مثل سهم
صدم ما هو اقوي منه فانكفي • ومثل حبل انقطع فسقط • لما صادف للكنيسه
مثل هذا القيم بامورها • فتهشم عند معارضته للمتقدم عليها وانحل •
وغير ذلك فما اريد اذ اقوله • فقد يسمع من ذاكريه الذين كانوا في ذلك الوقت
مشاهدين

مشاهدين وبما جري مخبرين. وليس احد منهم يخبر بما كان لجميع الاشيا متحققا. الا من
عرف الجهاد في ذلك الوقت. فهو المعجب به. اعني ماجري من المصادمه والمواعيد
والوعيد. ومن المتقدمين اليه من اهل القضا. وكانوا يرومون اقناع الرجل باستقصا
ومن كان منهم من الجند. ومن كان من منازل النسا. الذين هم رجال في جملة الحور. ونسا
في جملة الرجال. الذين شجاعتهم ورجوليتهم انما هي في الكفر. فهم اذاً لا يمكنهم
ان يكونوا من حيث الطبيعه فاسقين فهم يعودون. الي ما يكونون عليه وحده مقتدرين.
وهو اللسان ففيه قد زنون ومنه بنوزردا اذان رييس الطباخين. المتهدد من
صناعته بالمدي والسكاكين. وكان الي النار المعده له من المرسلين. الا اني اعود
الي اعجوبه اشد بها عجبا مما جري لذلك الرجل. ولا يمكني ان اترك ذكرها ولو
اردت ذلك. واسلم الي القول ذكرها. من حيث اختصر واقتصر بمقدار الامكان.

وهو الذي لم يعرف حال الابيرخس في ذلك الوقت. وقد استعمل معنا بل علينا ما
يلايمه من التهجم. وقد كان منه بالمعموديه متمما. بل مضرما. فزاد علي المفترض
في اتباع رضي من امره. ليحفظ لنفسه العز دايما. بموافقة ذلك علي جميع ما
يهواه. فادخل اليه ذلك الشهم الباسل. بل هو دخل عليه وهو متفخم ومتعضل
في قصن الكنيسه. وقد تزيا بلباس اسد يزير مثل زيرانه. ولا يقدر كثيرون
من الناس علي التقدم اليه. لان دخول صاحبنا عليه لم يكن مثل دخول
داخل الي حكم. بل الي عبد. فكيف اتمكن انا في ذكر ما جري علي حسب واجبه
من يهودي. وتهور الابيرخس. او من مقاومة هذا الرجل له بفهم وسداد.

وكان ما ابتدي به الابيرخس انه قال. ما رايك يا هذا. واضاف اسمه الي ذلك
وحده. لانه لم يكن بعد اهله ان يسميه اسقفا. فقال ما رايك يا هذا.
فقال الشهم الفاتك. فبماذا وما هو تعني فلست بعد عالما. فقال الابيرخس.

في التنا — علي مثل هذا الامر العظيم والتقدم من دون غيره.

انك لا تعتقد اعتقاد الملك وغيرك من الناس فقد فضح وانخزل وهلع . اجاب
القديس . لان ملكي انا لا ايري هذا الراي . وانا لا اجيب ايضاً ان اسجد لمخلوق . وانا
خلقة الله . ومامور بان اكون متالهاً . قال الابيرخس . ونحن فما ظنك فينا . او عندك
انا لسنا شياً عندما نامر بهذا . فاجاب القديس . لست انكر انكم ابرخيه ومن اهل
النباهه . الا انكم لستم اكرم واجل من الله . ومشاركتكم فهي من عظيم الاشيا وجليلها .
وكيف لا وانتم خلقه من خلق الله . الا انكم مثل غيركم ممن هو اليوم تحت ايدينا لان
النصرانيه لا تميز بالوجوه بل بالامانه . فحينيذ تجهم الابيرخس واشتد غليانه
ونهض عن كرسيه وزاد في التغليظ عليه في الكلام . وقال . ما بالك فلست
تجزع من السلطان . اجاب القديس قايلاً لماذا وما العل يكون يلحقني . فقال
الابيرخس . لعل شياً واحداً مما سلطاني ان اعمله . اجاب القديس . وما هو عرفنا .
فقال الابيرخس . القبض علي الاموال والنفي والعقوبات والموت . اجاب القديس
ان كان شي آخر تهول به فاذكره لان ما ذكرته ليس شي منه يمسنا . فقال الابيرخس
كيف ومن اي معني . فقال القديس . لان من لا شي له علي ماذا القبض له . اللهم
الا ان اكون محتاجاً الي خرق خشنه . او الي مصاحف قليله فيها معاشي كله .
واما النفي فلست اعرفه اذ كان لا يحويني موضع واحد . ولا هذا الموضع الذي
انا ساكنه . وكل موضع بعد لي اذا احصلت فيه . بل كل المواضع لله الذي انا
ساكنه وضيفه . واما العقوبات فما هو الذي تاخذ اذ لا يوجد جسم تقع عليه
ولكن ان كنت تعلي الضربة الكبري فلك عليها وحدها سلطان . والموت فهو الي
احسان . لانه يسرع بي الي الله الذي له اعيش وانصرف . وقدمت بالاكثر من
اجزاي . وانا صاب اليه منذ قديم . فعجب الابيرخس من هذا الخطاب . وقال لم
يخاطبني احد الي هذه الغايه مثل هذا الخطاب . ولا جسر علي هذه الجسارة احد مثل
فلان . وذكر اسمه . فاجاب القديس وقال . لانه عسي ما اتفق لك اسقف . الا
كان قد خاطبك بمثل هذا الخطاب اذ كان في مثل هذا الباب . في غير هذا من الاشيا

اي لا تستعظم ان تكون في جملتنا وان تكون لنا شريكاً

ايها

ايها الابيرغس . اعلم انا من اهل الدعه . نتواضع لكل احد . اذ كانت الوصيه بهذا
آمرت . لا نرفع مواجبنا علي واحد من المقارنين دون من له مثل هذا العز . واما
الموضع الذي تشرف فيه علي ان يكون ضرر ان الله عطبنا . فنحن نتهاون بكل شي .
ويكون نظرنا الي وحده . فالنار والسيف والسباع واظفار التي تجرد اللحوم . انما
هي لنا ترفه . وليست مفزعه . ففيما هذه سبيله . اشتم وانب وتهدد وافعل جميع
ما تختار . وكل ما بدي لك . وتمتع بالسلطان . ولتسمع بهذا والملوك انك لم تمكنا .
ولم تقنعنا في ان نطابق علي الكفر . ولو توعدت بما هو اصعب من هذا . فلما قال
هذا وسمعه الابيرغس . وعرف ان موقف هذا الرجل بهذه الصوره من عدم الجزع .
والبعد من الانخزال صرفه الي ما خارج . ليس بمثل ما تقدم من الوعيد . بل بحيا
واحتشام . ونهض الي الملك بما امكنه من الاسراع . فقال . قد انهزمنا ايها الملك
واتضعنا من المقدم علي هذه الكنيسه . لان الرجل فوق الوعيد . واجلد من الخطاب .
واشد من الاقناع . وقد يجوز ان نعرض لغيره من اولي المهانه . واما هذا . فاما
ان يشرف عليه بالمكاشفه من الالزام . واما لا نومل فيه الانجذاب بتهديد . ولام
الملك نفسه علي ما جري منه . ولان لا وصاف الرجل . اذ كان قد يشغف العدو .
ربما بفضيلة رجل لا يذكر له . فامر الا يعترض الرجل بالالزام . حتي لا يجري في بابه
ما يجري في الحديد الذي يلين في النار ثم يكون وفيما بعد حديدا علي كل حال .
ونقل الوعيد الي الاعجاب . ولم يقبل لعمري المشاركه استحيا من النقله . الا انه
تطلب بحجه وكانت جميله . وسياتي القول علي ذكرها . وذلك انه دخل الي الهيكل
ومعه الكل من حشمه . وكان اليوم من الايام البهيه الكثيرة الجموع . فصار واحدا
من الشعب . وقضي ما وجب عليه من الاتحاد . وقد يجب مع هذا الانتحا فكر شي آخر .
لانه لما حصل في الموضع وصدمه شمعة القراة . كان ذلك عنده مثل الرعد . وكان
له الجمع مثل لجة البحر . وبصر الترتيب في الزينه الي حول المذبح وبالقرب منه . وكانها
ملايكيه وليست بشريه . ونظر الي المتقدم علي الشعب وهو منتصب علي مثال صموييل

الذي ذكره الكاتب لا ينحني ولا ينثني جسمه ولا بصره ولا فكره ، ولا كان عنده شي تجدد .
بل انه كعمود . اقول انه قد انتصب لله وللمذبح . واما من كان حوله فكانوا وقوفًا
بخشوع وتكرمه وخضوع . فلما راي ذلك ولم يكنه تشبيهه بشي راه . لحقه شي
بشري . وكان ذلك من دوران . وظلمه اشتملت علي بصره . ونفسه من البهته .
وكان هذا عند كثيرين غير معروف . فلما حضر تقديم القربان الي المايدة الالهيه .
الذي كان هو صانعه . ولم يسنده احد ممن كانت عادته ذلك . لما لم يعلموا انه
يتقدم . فحينيذٍ عرف ما لحقه لانه صرعه . فلو لم يبادر واحد من اهل المذبح ومسك
بيده ومنع من صرعته . لقد كان سقط سقطه تستجلب الدموع . واما ما خاطب
به القديس للملك . وكيف كانت جملته من الفلسفه . لانه جمعنا فيما بعد علي
طريقه ما . وادخله الستر . فتقدم علي النظر اليه . وكان مشتاقًا منذ تقديم علي
مخالطته . فما سبيلي ان اقول في ذلك . ما خلا ان اقول انها كانت اصواتًا من الله . سمعها
الملك ونحن الذي كنا حاضرين . فهذا كان ابتدي تحنن الملك علينا حينيذٍ من الاذيه ،
بل صرف لاكثر من ذلك لجري الماء المنصرف .

وها هنا شي آخر ليس بدون ما ذكر . وهو ان الاشرار كانوا غالبين وحكم علي الرجل
بالنفي . ولم يكن شي مما يقتضيه غايبًا . بل كان الكل حاضرًا . والمركوب مسرجًا . والمنفون
في طرب . والمومنون في حزن وكرب . ونحن فطايفون بالمسافر النشيط . وغير ذلك
من الاشيا التي تقتضيها الهوان الماثور . فقد فرغ منه وتم ، سوال .
فمن الذي حل ذلك ونقضه . جواب . الله الذي ضرب
ابكار مصر لما غلظت وخشنت علي اسرايل . هو الذي هشم ولد الملك بضربه
من مرض . وكان اشد سرعه من ها هنا كان الكاتب بالنفي . ومن هناك كان
الامر بالعله . فانضبطت من ها هنا يد الكاتب الخبيث ، وخلص الرجل القديس .
وصار المومن هبه من جهة حمي اعتبر بها ملك عنيد . فاي شي كان اوجب من هذا
واسرع . والذي بعد ذلك فهو هذا . ان الولد كان عند الملك في ضر . وحال جسمه كانت
سيبه

سبيله . وكان الملك مع ولده مكروبا . وحسبه ان يكون والدا . فطلب من كل ناحيه
لالمه معونة . وتخير الافاضل من الابا . ولزم الصلوات اكثر من كل وقت . وتضرع
علي الحضيض . لان الالم يذل الملوك بعجيب . لان داوود لحقه مثل ذلك في
ولده بحسب ماذكر في الكتاب . فلما لم يجد بجهه من الجهات لهذا الضر
الكاين في ولده دوا . لجا الي امانة الرجل . ولم يستدعيه بنفسه حياء مما
كان له قريبا من مسبته . ولكنه تقدم الي قوم اخرين من خواصه . واجابه
بالاستشفاع اليه . فحضر ولم يتلوم . ولا استفرص للوقت للمقاله مثل غيره .
فيما هذه سبيله . فصلح المرض عند حضوره . وقوي الرجا من والده في صلاحه .
ولو لم يمزج الما المشروب بملح مكروه في استدعايه هذا الرجل . وثقته بالمخالفين
لقد كان وصل الي العافيه وخلص بها الي والده . وهذا الخبر فقد كان مصدقا
عند من حضر وكان فيما عرض مشاركا .
وقد جري مثل ذلك مع الابيرخس علي ما قيل فيما بعد . لانه اضناه تحت يد
القديس ايضا مرض . ولعمري ان الضربه تكون لذوي الالباب مادبه . وربما
كانت الضرا انفع من السرا . فحصل الابيرخس في وجع . ودموعه تسفح
وكربه يشتد . فركع وسال وقال صارخا . قد حصلت لك العذر والحجه .
فاعطي خلاصا سرعه ووصل الي ذلك . وقد كان بذلك معترفا . ولغيره
مقنعا لمن لم يكن بالحال عارفا . ولم يزل يذيع اخبار ذلك الرجل ويعجب بها .
فهل كانت حاله هذه مع اوليك صايره الي هذه الغايه . واحواله مع غيرهم
علي صورة اخري . ام كان القتال عليه صغيرا . وفيما كان من الاشيا حقيرا .
وهل كان تفلسفه في ذلك قليلا . اوكان الامساك عنه اهلا . او لم يكن ممدوحا .
جدا . لا لعمري ولكن الذي حرك علي اسرايل اشر العبيد . هو الذي حرك علي
هذا الابيرخس بناحية البنطس بحجة امراه اغتاظ من اجلها . وكانت الحقيقه
غضبا منه لكفره . ولتمرده القتال عنه وقصد الامانه . وانا فاترك الكثير مما

سب به هذا الرجل وقد كانت مسبته اياه مساويه لمسبته رب العالمين • وقصده
اذ كان القتال عليه ومن اجله • لا انني انا اذكر ما جري للشاتم شديدًا • ورفع المجاهد
جدًا • لذ كانت الفلسفه شيًا كبيرًا عاليًا شريفًا • وكانت زيادة هذا الرجل علي
جماعه اضربي فيها تزيد في فضله وشرفه • فانا اذكر ما جري في هذا المعني
واضيفه الي القول • وذاك ان رفيقًا وجليسًا للقاضي • كان قد راود امراه
من المذكورات في النباهه اسمها ابرودينتا • قد انفصلت عن رجل انصرف
عن الحياه منذ مدة • وطالبها بالتزويج بها • فامتنعت ولم يكن لها طريق
الي الفرار من اغتصابه • فرآت رايًا لم يكن جرتها عليه زايد علي عقلها •
وسدادها • فلجات الي المذبح وطلبت من الله • ان يكون هو معينها علي ما ادركها
من الشدة • فماذا كان ينبغي بحق التالوت ان يفعله ذلك الرجل • حتي اذكر
شيًا من الحكم فيما بين المذبح • علي لا يكون الملتجا اليه باسيليوس الكبير واضع
الناموس لكل احد في هذه المعاني • بل غيره ممن هو دونه • الا ان يكون كاهنًا
علي كل حال • لا يدفع الا بسك • لا يعني لا بسبط يده • بتحنن الله علي البشر
والناموس الذي يكرم المذابح • لا يعمل كل شي ويوتره • دون ان يري في باب هذه
المراة رايًا قاسيًا • فيهين المذبح الطاهر ويهين الامانه التي استشفعت بها
هذه المراه • الا ان الحاكم قال لا • بل سبيل كل احد ان ينتني لمقدرتي • وان +
مسلمون وتابعون نواميسهم • فطلب القاضي هذه المستشفعه • فدفعه + النصارى +
عن ذلك دفعًا قويًا • فاغتاظ ذاك جدًا • ووجه باخر من خدم سلطانه •
من يفتش مرقد القديس • ليس من حاجه الي ذلك بل امتهانا له • فما تقول
يا رجلًا لذاك الانسان العالي عن هذه العوارض • تطلب منزلًا • والملايكه
هي التي تحوطه • والنسا فلا تتمكن من النظر اليه • الا ان ذاك لم يقتنع • حتي
آمر بحضوره • والمجاوبه عما يسل عنه • ليس بلين ولطف • بل بان يحضر
كواحد ممن قد وجب الحكم عليه • فحضر • وكان ذاك جالسًا من الغيظ والتضرم
مملوًا

١٥٧

مملوًا. فحضر هذا مثل يسوع. ذاك لما حضر امام بيلاطس وهو يدينه. والصواعق عند ذلك تراخت. وسهام الله فكان يجلا ويصقل. الا انه كان يتاخر ويتثاقل. والقوس فكانت ممدوده الا انها كانت مردوده. فانجه من الزمان للتوبه بابًا بحسب ماجري في نواميس الله ورسومه. فانظر الان صراع مجاهد آخر. ومطالب امر ذاك. بان نظير الخرقه التي في عنقه. فقال ذاك انا انزع مع ذلك ذاك ان اثرت والثوب. فتهدد بضرب ذلك الذي ماكان له جسم. فتطاطا ذلك. ثم ذكر جرده بالاظفار. فقال انما تداوي الكبد. اما تراها كيف غلظت علي. فانت تشفيها بهذه الحوادث. فبينما هاني هذا المعني. اذ مست المدينه بهذا من شر وعطب يشترك فيه الكل. لان امتهان ذلك الرجل كان عندهم انه عطب الكل. فهاجت المدينه واشتعلت. واجتمعت مثل دخان. جموع من النحل عدادًا. ونهض كل واحد الي صاحبه. اعني كل جنس. وكل سن من الاسنان. وبخاصه صناع الصناعه الملكيه. الذي يعملون السلاح. وهم لعمري الي مثل هذه الاشيا مسارعون. ومالهم من الداله عليها متجاسرون. وكان كلما وقع في يد واحد منهم من آلة صناعتهم اوغيرها ما وجدوه في الوقت. له سلاحًا. فاعواد الحطب في ايديهم. والحجاره مشتاله. والعصي معده. وعدو الجماعه. وزعقهم واحد. ونشاطهم مشترك. وقد شملهم الغضب. صاحب السلاح الشديد. او قايد الجيوش. ولم تكن النسا في ذلك الوقت بغير سلاح. عند ما حرضهن الوقت. وكان لهن الكراكيد سلاحًا. فحملتهن الغيره. الا يكون في ذلك الحين صرما بل ينتقلن الي مسارح الرجال. وقد يقصر القول عن ذكر الحال. لان الجماعه راوا انهم متي خلصوا هذا الرجل. فقد اقتسموا الدين فيما بينهم والعباده. وكانوا يعتقدون ان الاقوي في الذين منهم هو الذي يتقدم فيضع يده علي ذلك الذي جسر علي ما تقدم ذكره. فما الذي صنعه ذلك القاضي المتهور المتعظم. صار متضرعًا مرحومًا شقيًا. لا يكون احد اذل منه. حتي ظهر ذلك الشهيد بلادم. فضبط الناس بشده

وامتسكوا حيناً معه . فخلص المستشفع به الذي كان شاتمه له . فهذا فعل الاه القديسين .
صانع الاشيا كلها وناقلها الي ماهو افضل . مقاوم المتجبرين وموزع النعمه علي
المتواضعين . وكيف كان يوجد مثل هذا . وهو الذي شق بحراً . وقطع نهراً . وغصب
الاستقصات علي طبايعها . واقام ظفراً بيد ايدي ليخلص شعباً هارباً . ويتقدم من
العطب . لان القتال العالي الي هاهنا انتهي . وحصلت له من الله عني حسنه . كانت
امانتها لمثلها مستحقه .

ثم ابتدي من هاهنا قتال الاساقفه والمتجردين لمساعدتهم . وذلك قتال كانت
الفظاظه فيه كثيره . والبعد من الجد مثلها . وكانت المضره علي المروسين . لانه
كيف يقنع احد للباقين ان يتوطوا ويتواضعوا . اذ كانت هذه صورة المتقدمين
عليهم . وكانت صورته لعمري عندهم من قديم . صورة من يقصدونه من ثلثة
اسباب . احدها انهم لم يكونوا في اصل الامانه له موافقين . الا فيما تدعوا الضروره
اليه من مطالبة الكافه به . واضطرارهم اياه عليه . والاخران وجدهم من اجل
الشرطونيه لم يكن بعد انحل . ومع ذلك فان نقصهم كان كثير من فخره . وكان من
اشد الاشيا عندهم . وان كانوا يستقبحون الاعتراف به . وانضاف الي ذلك خلف اخر
هو الذي جدد هذه الاشيا . لان وطننا كان الي قسمين مقسوماً . اعني الولايات
والمطرنيات علي المدن . وكانت مواضع كثيره قد اقتطعتها المدينة الحديثه
من القديمه . فصار من هاهنا الخلف فيما بين صاحبيهما . لان احدهما كان يروم
ان يكون قسمه يوافق قسم السلطان . فيتشبث بمن قصده من انفصل عن
الاخر . واما ذاك فيتشبث ويطلب العاده القديمه وما قسمه الابا المتقدمون .
فمن هاهنا جرت اشيا كثيره صعبه شديده . واشيا مثلها كانت في الاعتقاد
مخزونه . فكانت تختطف المطران الجديد عداداً من المقامات والبخورات
ويقبض علي ارتفاعات . وكان من قسوس الكنايس من يجيب الي ما يطلب منه .
ومن ينصرف وينعزل . وكانت احوال الكنايس بعينها مضطربه اكثر من ذلك ومنفصله

بعضها .

بعضها عن بعض وشقيه ومنقطعه • اذكان الناس من شانهم في بعض الاوقات
ان يفرحوا بالحوادث المتجدده • ويلتذ الفريق منهم بما يختزله من الآخر • ونقض
شي ثابت اسهل من رد ما انتقض • واصلاحه اصعب • والذي اشتد علي الرجل
ماجري •

فهو القبض علي الارتفاعات التي كانت ترتفع من ناحية الطورس • وارتفاعات
الطرق لانها كانت برسمه • فصارت الي ذلك • وكان عنده امراً عظيماً ان يقبض علي
اكيوس ورستس • حتي ان ذاك تعلق ببغال هذا الرجل وهو ساير في طريق
تخصه من النفود الي قدام بجماعه كانت معه من اللصوص • وكانت الحاجه في
هذا كانها حسنه • وهي ذكر الاولاد الروحانيين والنفوس والكلام في الحديث
وماهذا سبيله مما تسير به قلة الامانه • ويكون الغرض به اجتذاب الفوايد •
وانه لاينبغي ان يحمل شي من امانته رديه • اذكان كل من يغم انساناً فهو ردي
الامانه •

الا ان قديس الله ومطران اورشليم العليا علي الحقيقه ما رآ ان يتشبه بالمخطيين •
ولا رآ ايضاً ان يتغافل عما هذا سبيله • ولا نظر في امر صغير بجسم هذا الامر •
بل اذا ما نظرنا وجدنا فعله كبيراً عجيباً • وكيف كان يجوز ان ياتي • الا ما يكون
لنفسه ملايماً • فجعل الخلف للزياده في الكنيسه سبباً • وصرف الرديه باحسن
مايصرف به مثله • وزاد في الاساقفه • من جعل كنيسته كثيفه مكتنزه •
وصار من ذلك • ثلثة اشيا شديده • وهي الزياده في الاهتمام بالنفوس • وان
يكون ما لكل مدينه مما يخصها محتاطاً عليه محفوظاً • وان ينحل القتال بما هذا
سبيله • الا انني انا اخشي ان اكون قد صرت لهذا الاحتيال من الحاسيه
عرضاً • اولست ادري ما اقوله في هذا ويكون جميلاً • لانني كنت لجميع ما ياتيه
ذلك الرجل مشغوفاً • ولا اصل الي مقدار ما اقوله في ذلك • الا ان هذا الشي
الواحد ما ادري كيف امدحه • فانا اعترف بالحقني من ذلك وان كان غير

قومل
كراس
١٠

مجهول من جهات اخري عند غيري • وهو ما جدده في بابنا • وقلة الامانة في
ذلك مما لا ينقصه • ولاجله طول الزمان • اذ كان من هناك وردت على الصعوبة •
والتخليط كله في جميع عمري • حتي لم يمكني التفلسف ولا يظن بي فيلسوفا • وان كان
اهتمامي بالثاني يسيرا • ولكن ان تقبل منا الاعتذار عن الرجل • قلنا ان عقله كان فوق
عقل البشر • وكان قد انتقل من هاهنا قبل النقلة من العمر • وكان جميع ما يعمله •
انما غرضه فيه الانقياد الي الروح • وكان يكرم الصداقة ويحتشمها • الا ان كان
يري في هذا الموضع وحده يهينها • بحيث ينبغي ان يقدم كرامة الله علي غيرها •
وان يعتقد في الاشيا الماموله افضل من الاعتقاد في المنحلة الزايله • الا اني اخشي
ان انسب الي الشرف في القول عند من يطلب الاختصار اذا ما تجنبت الملامة من
الطالبين بشرح احوال ذلك الرجل كلها ورمت الاستكثار • وقد كان هو ممن
لا يهين الاقتصاد بل يمدحه • ويزيد في صفة الاقتصاد وان القدر المقتصد
هو الافضل في ساير الاشيا • فكان يحفظه في ساير عمره • ويتهاون في صورة واحدة
بالمقتصدين عمدا • وبالمشرقين جدا • وانا من هاهنا اعود الي ما يجب ان استعمله
في مقالي • وذلك ان الاخرين من الناس يصلحون ويحكمون شيا آخر من احوالهم •
وقوما اخر يصلحون جزوا من ذلك في انواع الفضيله لانها كثيره • واما الغايه
منها فلن يصل احد اليها • ليس من المعروفين في هذا الوقت • بل وممن تقدمهم •
والفاضل عندنا الذي يتهيا له ان يصلح الاكثر من احواله • او يزيد في اصلاح
حال واحد دون غيرها •
واما هذا الرجل قد تصرف في الكل • حتي قد لاح ان ذلك كان موهبة ما ليس من
الطبيعه • ثم سبيلنا ان ننظر • فان كان احد يمدح قلة القنيه والمعاش الذي
لا يتصنع فيه ولا فضل يفضل عنه • فاي شي كان لذلك الرجل في وقت من الاوقات •
غير الجسم وما تدعوا اليه الضروره من سترته • وغناه فكان وثروته الا
يكون له شي البته ما خلا الصليب الذي كان عيشه معه • وكان يحتسب انه لذاته

الرم

الكرم من الاموال الجسيمه . وقد يغرب ان يقتني الانسان كل شي . ان اثر ذلك وقصده
وحسبه ان يتهاون بالاشيا كلها ويكون هذا افضل منها ومتعاليًا عليها . فاما راي
ذاك هذا الراي واعتقده هكذا . لم يجنح الي صنم وفخر باطل . ولا ان يقول .
ان افرانس من اهل اتينا . لانه كان يري ويقصد ان يكون فاضلاً . لا ان
يتوهم فاضلاً . ولا سكن ضبا . ولا توسط شوقًا . وان يبدع في التمتع . وجعل
العُسر طريقًا عجيبًا الي اليُسر . بل كان فقيرًا بلا تصنع . ولا حرث في ارض . فيوثر
ان يجفف . ويوثر جميع ما كان في بعض الاوقات يصل اليه . ليكون سيره في بحر
العمر دقيقًا . وان كان النسك معجزًا . والقناعه باليسير . ولا يملك اللذات
ابدًا . ولا ينقاد للبطن والغرارة المُرّه التي تسود ولا يتيسر الانعتاق منها .
وكانت جملة ذلك من الاشيا العجيبه . فمن كان مثله في التفلسف عن الطعام . وان يكون
اذا ما لم نكثر في القول . كانه بغير جسم . لانه كان قد ترك التملي والشبع المفرط
للبهيميين الذين عمرهم عبدوا الي السفل ناظرين لا يرتدون . واما ذاك الرجل فما كان
يري شيًا مما يهان بعد عبوره الحلقوم عظيمًا . بل كان يعيش بالاشيا الضروريه وحدها .
ما دام من هذا متمكنًا . وكان يري ان المتعه الا يظهر متمتعًا حتي لا يحتاج الي ما هو اكثر .
بل يكون نظره الي السوعى والطيور . التي احدها لا يتصنع في الحسن . والاخر طعامه
ما وجده علي البدايه بحسب ما وعظنا به مسيحنا الذي افتقر من اجلنا فقرًا هو الجسم
الذي تجسده . لكي نستغني نحن غناء هو لاهوته . فمن ها هنا كان له الثوب الواحد .
والمفله الواحده . والرقاد علي التراب . والسهر . والسهاد . وعدم الاستحمام .
وغير ذلك مما كان يتبا هابه دون غيره مما يتبا هابه سواه . وكان طعامه اللذيذ .
وادامه اداما . كان يريد الخبز والملح . وذلك عنده من فنون الاطعمه العجيبه اللذ .
واما شرابه فشرابًا لا يسكر ولا ينقص ولا يعوز . وهو الذي تغلّه العيون . والمعين
لمن لا يتعب فيه . فمن هذا ومعه صار له البيمارستان والطب والمداواه . فكان
ذلك تفلسفًا لكلينا مشترعًا . لانه كان سبيلي ان اساويه في المتعبات لما كنت عنه في

غيرها ناقصاً ، وان كانت البكوريه وعدم الزواج والترتيب مع الملايكه والطبيعه
المفرده اذلما تناقلت . ان اقول ، بل مع المسيح الذي احوج ذاته ، ان يولد من بكر من
اجلنا عن المولودين ليرسم علينا البكوريه ، اذ كانت من ها هنا ناقله ، وللعالم
محففه ، بل من العالم الحاضر الي المستانف مسيره ، فمن زاد علي ذلك ، الرجل في
اكرام البتوليه ، او شي اكثر ، ورسم علي الناس البعد من الجسدانيه . ليس لانه
جعل نفسه علي ذلك مثالاً فقط ، بل ربما اجتهد وحرص فيه ، فلما كانت مثله
المواضع المبنيه للابكار ، وللاوامر التي كتبها مع الاخبار ، فرتب بها كل حاسه
علي العفاف ، وقوم كل عضو علي الصواب ، واقنع ان يقصد البكوريه علي الحقيقه ،
ورد الجمال عن المبصرات الي ما لا يبصر ، وادبل الي ما خارج ، ودوب ، وانتزع
الهيولي من اللهيب ، واظهر لله المستور ، اذ كان وحده ضمير النفوس
الطاهره ، تدخل معه في خدر النفوس الساهره ، اذ انحن لقيناه بمصابيح
مضيه ، وقد غداها الزيت تغديه قويه ،
ولما كان فيما بين المتوحدين والمختلطين خلف ، قد انفصل بعضهم فيه عن بعض ،
علي الامر الاكثر ، ولم يكن احد الفريقين ، يصح له الجيد او الردي بغير مخالطة
غيره ، بل كانت احدي هاتين الطريقتين تزيد علي الاخري بالسكوت والثبات
والتقريب الي الله ، الا انها كانت لا تخلوا من العجب والتيه لموضع بعد
الفضيله من الافتخار والمقايسه ، وكانت الطريقه الاخري اقوي من العمل واكثر
في المنفعه ، الا انها لا تبعد من بحتها تحقيق ذلك ، فاصلح ذلك الرجل فيما بينهما
نعم الاصلاح ومزجهما ، وبني مواضع المنفردين ليست بالبعد من المخالطين
المشتركين . ولم يجعل فيما بينهما جدار يقطع الطبقه الواحده عن الاخري ،
بل جمعهما من معني وافردهما من آخر ، حتي لا تكون الفلسفه عديمه للمخالطه ،
ولا العماله من الطريقتين بعيده من الفلسفه ، بل كان الجميع مثل بحر
وبر ، يتقارضان ما عندهما ، ويستمدان ويتباريان في تمجيد الله ،

ويتباهيان

ويتباهيان ،
وبعد هذا فان محبته للبشر والقيام بقوت المساكين والمعونه لضعف البشريين .
فكانت من الاشيا المحموده قليلاً عن المدينه فتنظر مدينه جديده ، خزانه
لحسن العباده ، ومخزناً مشتركاً لاصحاب الاحوال ، فيه يصرفون ما يفضل
عليهم في ثروتهم ، وربما صرفوا بمواعظ ذلك الرجل ما لا بد لهم منه ،
وابعدوه من السوس ، ومنعوا اللصوص من السرقه له ، وخلصوه من
قتال الحسد ومصايب الزمان ، ففي تلك المدينه التي ذكرناها يتفلسف
المرض ، ويعطي الطوبا لما يدرك من الردا ، وامتحن التحنن علي اهل البلوي ،
فاي فعل يكون عندي ، اذا ما تاملت ذلك لتبدا ، مدينه صاحبة الابواب
التسعة ، والمضربات ، واسوار بابل ، وقبر موسولوس الشامخ والمسقطات ،
ونحاس الفلسوس الذي يزيد علي كل مقدار ، واعظام الهياكل التي لا يدوم
لها بقا في جمالها ، وبغيرها مما يعجب به الناس ويكتبونه في الاخبار .
مما لا ينفع صانعيه ، ولا عليهم شيا الا مجدا يسيرا ، واما انا فالاعجب عندي
الطريق القريبه الي الخلاص ، فالصعود الي السموات اسهل ، اذ كنا لا
نطرح فيما بعد امام عيوننا منظرا مجزعا يرثي لاصحابه مفرح ،

وهم قوم قبل الممات اموات ، فدفنوا باكثر اعضا اجسامهم . مطرودون من المدن
والمنازل والاسواق ، والمياه من احبابهم ايضا ، معروفون من اسمايهم اكثر
من اجسامهم ، لا يوضعون في المجامع والمحافل ، مزدوجين او مجتمعين ، لا
يرحمون لموضع مرضهم ، بل يمقتون يتحيلون بنغم يودي الي رحمه عليهم ان
بقي لقوم منهم صوت ، ولمالي التحسن في ذكر اسبابنا كلها اذ كان الكلام غير كافي
لمقدار الالام ،
لان ذلك الرجل اقنع الناس اذا ما كانوا ناسا ، الا يحقروا الناس ، ولا يهينوا

المسيح الذي هو راس الكل اجمعين بالجفا علي من هذه صورته • بل ان يصلحوا احوالهم بمصايب
غيرهم • ولا يقرضوا الي الله الرحمه اذ كانوا الي رحمته محتاجين • وما كان ذلك الرجل
يستنكف ان يكرم هذا المرض بنفسه • وقد كان الحسيب المولود من ذوي الاحساب •
وكان يزيد علي غيره في المجد والبها • وكان يصافحهم كالاخوه • ولا يظنن به احد
انه كان يفعل ذلك علي جنس التعجب والافتخار • ومن كان ابعد منه من هذا العارض •
بل كان تتقربه من اجسام هولاي القوم للطف بهم يرسم لغيره بفلسفته
ان يفعلوا امثل ذلك • فكانت موعظته بلطفه موعظه صامته •
ولم تكن المدينه بهذه الصوره وما خارج منها يخالفها • بل جعل للمتقدمين علي الشعوب
مهادًا مشتركًا في التحنن علي هولاي القوم والتكرم وغيره • ليس كان غرضه الماكل
والمهتمين والمواليد السمينه • وحيل الطباخين وتصنعهم • والمراكب الحسان
وما الان من الملابس وخف • اما باسيليوس فكان وكده وغرضه المرضي •
وعلاج الجراحات والتشبه بالمسيح في تطهير البرص ليس بالقول بل بالعمل •

فما يقولون هولاي المدعون عليه التكبر ورفع الحواجب القضاه علي هذه الاشيا •
وهم امر الناس واقسام • يقدمون الي المساط غير المساطر • فهل يجوز ان
يصافح للبرص والمجذمين • وينتهي الي هذا من التواضع معهم للمسيح • ثم يرفع
نفسه علي الاصحا ويكون ممن قد اداب جسمه بالنسك ويفصلها بالسح
الباطل • ثم يكون يلوم الفريسي ويجذب بالانخفاض عن التعظم • ويعرف المسيح
انه قد اغط علي صوره عبد • واكل مع المكسه • وغسل ارجل التلاميذ • ولم
يانف من الصليب لكي يسمر معه خطيتنا • ولقد كان ذلك من اعجز الاشيا •
ان نبصر الاله مصلوبًا مع لصوص • يضحك به عابروا الطريق • وهو في
ذاته لم ينله ذلك • لانه اعلا من الالام • بعد ذلك يتعالي هذا الانسان
حتي لا يعرف انسانًا يساويه في الكرامه بحسب ما راي فيه حساده • ولكني
اظن

اظن انهم لما راوا ثبات طبعه وقوامه وتقشفه سموا ذلك تيهًا وما ولاهم علي
هذا المعني • ان يسموا الشجاع متهورًا • والمتوقي جبانًا • والعفيف للناس مبغضًا •
والعادل شحيحًا • وقد تفلسف في هذه الاشيا قوم ما ابعدوا عن الصواب • فقالوا
ان النقايص تصاقب الفضايل . وكان فيما بينهم ابواب مبوبه • فيسهل
ان يكون الانسان معني في شي • ثم ينسبه الي غيره • من كان ليس هو في التاديب
بهذه الاشيا ماهرًا •

ومن اكثر من هذا اكرم الفضيله • او اهان بالعقوبه النقيصه • او كان للمقربين
صالحًا • او علي الخاطيين ثقيلاً • وقد كان تبسمه في بعض الاوقات مديحًا •
وصمته زجرًا . كل واحد منهما • من يبادر بنحوه يخاطر ذاته • واما اذا لم يكن منبسطًا
في كلامه • ولا ضحوكًا • ولا سوقيًا • ولا للكثير من الناس بسا محتهم في كل شي مرضيًا •

افلا يكون ما هذا سبيله عند ذوي الالباب ممدوحًا • اكثر مما يكون مذمومًا • ولا
فقد يلام اذا ما لا ينظر نظر الفرد • بل نظرًا ملكيًا مهولاً . وخطراته فشديده •
وعند قوم مع تعجب محبوبه • ومن يلوم ذلك في خصايله • فقد يعجبه الملهون
والمخيلون خلف الستر • اذا ما استدعوا الضحك وحركوه باللطم والقرع علي
الجبهات • علي انه لو طلب هذا احد منه •
لقلنا من كان مثله في المخالطات لذيذًا • بحسب علمي انا • وقد كنت اشد الناس
ممارسه لاحواله • ومن كان في المحادثه احسن منه • او في المعاتبه اديبًا مثله •
اذ ممارسته في ذلك انما كانت بلين لا بتهجم في الزجر • ولا يمسك فيرخي بالترك •
بل يتجنب الافراط في المعانيين • ويستعمل المداواه بهما علي قياس • بحسب ما راه
سليمان في ان لكل امر وقتًا • وما هي جملة هذه الاشيا اذا قيست الي فضل الرجل •
في الكلام والقوه • في التعليم الذي به كان يشتمل علي الاقطار • وعلي كل حال
نحن الي هذه الغايه في اسافل الجبل نتقلب عن التناهي الي دورته • متاخرين

١٦٥

وعايبني جدولاً عن عمق اللجه • مجوره • وقد اظن انه لو كان صوت بوق • قد انتهي صوته الي الجو من الهوا • او صوت من اصوات الله قد اشتمل علي العالم • ادرلزله قد اقلقت المسكونه من تدبير الله العجيب • كذلك قد كان صوت ذلك الرجل • وفكره يترك الناس كلهم دونه • واسفل عنه • وانفصالهُ عن غيره في ذلك • كالفرق فيما بيننا نحن وبين البهايم •

ومن كان من الناس الذي طهر نفسه بالروح • وجعلها مستحقه ان تديع الالهيات • ومن اكثر منه انا نور المعرفه • واطلع علي قعر الروح • ونظر مع الله احوال الله • ومن الذي كان كلامُه لا يزيد في تفسير المعاني علي فهمه • حتي لا ينقص في احد الصنفين مثل غيره من الكثيرين • اما في فهم لا كلام معه • او قول لا يوافق المعني والفهم • بل يكون علي طريقه تتشابه مبرزاً في الجهتين • وقد شهد الروح بانه القادر علي الفحص في كل شي • والوصول الي خفيات الله • ليس من جهله بها • بل من حيث تمتعهُ بالنظر فيه •

وذلك الرجل فقد حصّل الفحص عن احوال الروح • فقوّم كل خلفٍ بالتاديب • وعلم لارتفاع بالقول • وصُرف عن الاشيا الحاضره • ونقل الي المستانفه • وقد وصف جمال الشمس وعُظمها عند داوود وعدوها وسرعتها • وقوتها في بهاها كالختن • وعُظمها كالجبابر • حتي ان لها من القوة ما اذا اشرقت وصل ضوها بالسوا من الاطراف الي جميع الاطراف • ولا تنقص حرارتها عن المواضع بتباعد بعضها عن بعض •

وهذا الرجل فكان جمالهُ الفضيله • وعظم الكلام في اللاهوت • وعدوه دوام الحركه والوصول الي الله • بالتصاعد وقوته • فوزع القول في توزيعه • حتي اني لا اتثاقل عن هذا القول فيه • ان نغمته سارت الي جميع الارض • وقوة كلامه الي اقطار المسكونه • وذلك فهو ما قاله بولص عن الرسل • واقتضبه من داوود • ومن كان له مثل النغمه التي كانت له في المجامع • واللذ

في

في المجالس والمشارب ولاسواق والكنايس والمتعه عن اهل التقدم ومن دونهم •
وعند المتوحدين والمتشاركين والمتخلصين من اسباب العالم • والمتقلبين فيها •
والفلاسفه البرانيين والذين بفلسفتنا متعلقين • وقد كانت مولفاته واشعاره
عند جميع هولاي العلم لاعظم المتقدم • ولم يكن للكتاب ماده يستمدون منها بعد •
لاان من مصنفاته • وقد نصت العتيقه التي غرق قوم منها في لاقوال لالاهيه •
وصار الكلام المشهور للحديثه • ومن كان شديد المعرفه بما صنعه ذلك الرجل
والفه • وكان لسانه ياتي علي ذلك • وايقاع فهمه علي المسامع . فهو عندنا
الفاضل في الكلام • فقد كفي اولي البحث انسان واحد • واغناهم عن كل من سواه •
وانا فهذا وحده اخبر عنه • اذا ما تناولت لاكسيمارون التي منه نها • ولفظت بها
بلساني صرت مع الباري وعرفت اصول الخليقه • وشغفت بالخالق اكثر مما تقدم •
وكان لي نظري كالمعلم • واذا ما صافحت اقواله في الرد علي المخالفين • شاهدت نار
سادوم التي بها تصير لالسن الخبيثه المخالفة للناموس رمادًا • وتخيلت بروح
خالان كانه في هذا الوقت بني بنا سو • ثم انهدم انهدامًا حسنًا • واذا نظرت ٩٨
له في شي من لاقوال عن الروح • وجدت لاله الذي اعتقده وكاشفت في الحق •
وكان كلامه وعلمه في اللاهوت لي مركبًا • واذا رايت غير ذلك من تفسيراته التي
بها يكشف لمن كان له نظر ولو قليلًا • التثليث الذي كتبه في صفايح القلوب •
اقتنعت حينيذٍ لا يكون تباتي عند الكتاب وحده • ولا امد بصري الي فوق فقط •
بل اعبره الي ما وراذلك • واصرفه من عمق الي عمق • واستدعي تعرًا بعد قعر •
واخذ نورًا بنور • الي ان اصل الي ابعد غايه • واذا ما فاوضت ما مدح به المجاهدين •
تهاونت بالجسم وسرت نحو الممدوحين وصرت الي الجهاد • واذا ما نظرت في
اقواله في هيكلًا قبولًا • والة الروح الاخلاق والعمل • تطهرت نفسًا وجسمًا وصرت
لله هيكلًا قبولًا والة للروح مستعمله يسبح المجد الالهي وقوته • وانتقل بذلك من حال
الي حال • واتقوم واصير من اخر الي اخر • واستحيل استحاله لاهيه • واذا ما كنت

قد ذكرت الكلام في اللاهوت واعلان صوت ذلك الرجل فيه . فسبيلي ان ازيد شيا
آخر فيما قلته نافعًا للجماعه . في ان لا يتوهموا فيه وهمًا رديًا . وكلامي هذا مع من
يقصد الشر . فيعيبون نفوسهم بشرورهم مما يقصدون به سواهم . لان ذاك الرجل كان من
اجل القوم المستقيم . ولا اتفاق في اللاهوت المقدس . واختلاط اللاهوتيه اوفلست
ادري ما اقول في هذا . مما يكون اخص وابين . قد كان سهلًا عليه . لا ان يسقط من
الكراسي التي ما تقعز . ولا في لاول عليها فقط . بل ويصبر علي النفي والموت نعم .
وما قبل الموت من العقاب بنشاط . ويقبل ذلك قبولًا يوديه الي ان يتوهمه ربحًا . لا
عطبًا ولا خسرانًا . وقد يدل علي ذلك ما اتاه نعم . وما ناله لما حكم عليه بالنفي علي
ذلك ما اتاه من اجل الحق . فكان جملة ما تحيل به لنفسه . ان قال لواحد من اتباعه
اشتمل المصحف واتبعني . لانه كان يري ان السياسه للكلام وتدبيره بتمييز من
لاشيا الضروريه . وكان يستعمل في هذا راي داوود الالهي . ليتضرم وقت القتال .
قليلًا قليلًا . وتزول مقدرة الهراطقه . ويشرق بعد ذلك وقت الصحو والحريه .
فيطلق حينيذٍ للسانه الاعلان بالمكاشفه . لانهم كانوا يطلبون يتعلقون عليه
بلفظه في الروح مجرده مكشوفه . في ان الروح اله . وهو علي الحقيقه لاله .
لان اوليك وصاحب كفرهم . كانوا يعتقدون ان ذلك كفر . وكانوا يريدون ان
يبعدوا ذلك الرجل مع لسانه المتكلم في اللاهوت . ثم يتمكنوا هم من الكنيسه .
فيجعلوها لرداتهم منهضًا وطريقًا . ثم يسيروا منها الي كل ما تبتغي . وكانهم قصدوا
من حصن حصين . فكان ذلك الرجل بالفاظ اخري من الكتب . وشهاده لا شبه
فيها والمعني منها واحد . وضرورة القياسات يقود اليها متلطفًا بها فيخنق المخالفين .
ويصدهم عن المقاومه . ويربطهم بما يخصهم من قولهم . ولعمري ان ذلك من قوة
القول في شدة الفهم . وقد يتبين هذا من قوله الذي صنعه وحرك فيه قلمه
من دواة الروح . واما القول الخاص البين فكان يوجزه براي الروح وارا
جماعه من خواصه في المساعده علي ذلك . ويطلب منهم منه في ان لا يصعب

عليهم

عليهم سياسته في ذلك ، ولا يتمسكوا بكلمة واحدة تدعوهم من السرف الي ان يضيعوا الكل ،
لان الوقت كان علي حسن العباده متمكنا ، واهلها فلم يكن عليهم خسران اذا ابدلوا الفاظ
قليلاً بالفاظ اخري تودي الي المعني بالسوا ، لاننا لسنا نطلب الخلاص بالكلام اكثر
من طلبته بالاعمال ، ولا كان علينا ضرر في لا نبعد امة اليهود لو طلبوا منا بدلك
قولنا المسيح ان نقول المدهون والممسوح ، ثم يكونوا معنا وينضوا الينا ، واما لو كان
الهراطقه اشتملوا علي الكنيسه ، لقد كان ذلك مضرة عظيمه ، واما اعتقاد ذلك
الرجل في الروح وانه كان عنده الاها ، فالدليل عليه ما كرز وشهر علي الملا دفعات
كثيره . عند ما كان يساعده علي ذلك الزمان ، ومما كان ايضا يجيب به سرا لمن
يساله عن ذلك فيعترف به نشيطا ، وابين من هذا كله ما فعله في رسايله الي ،
وقد كنت ممن لا يخفي عنه شيا اذا ما تفاوضنا فيه ، ولم يبين ذلك بقول سادج . بل
فعل ما لم يكن يفعله دفعات كثيره فيما قبل ، وذاك انه اضاف الي هذا العنه مجزعه .
وهي ان يسقط من الروح من لم يعتقد ان الروح مع الاب والابن متساوي في الجوهر ،
والكرامه ، ومتي ما قبلني احد شريكا له في ما هذه سبيله ، كشفت شيا مما هو عند
الكثيرين مجهول ، وذلك انه لما اضغطنا الوقت ، افرد نفسه بما هو للسياسه والتدبير .
وسلم الي المكاشفه والاشهار ، لما كنت ممن لا يقصده احد في حكم ، ولا يبعده من
وطن ، لموضع ان كرامتي كانت في الانعزال ، وان لا يغبي بي في كلام حتي يحصل
لتساوينا القوه من هذين المعنايين ، ولم اذكر ما هذه سبيله اقامة حجه من مجد ذلك
الرجل ، وقد كان اعلا من ان يذم ان كان له اقوام يذمون ، ولكن ذلك لموضع ان
جماعه كانوا يعتقدون ان هو الحد والمسطر للامانه ، فاذا ما وجدوا الفاظه في
الكتب منفردات ، اداهم ذلك الي ضعف الامانه ، وجعلوا كلامه في اللاهوت علي
خبثهم وشرهم برهانا ، وذاك فانما كان من الرجل تدبير الروح دعا الوقت اليه واردت
ان اكشف سره في هذا . حتي يتاملوا معني ما كتب به ، ويعرفوا غرضه فيما اتاه ،
فيكون ذلك داعيا الي قصدهم الحق ، وسد افواه الكفار ، واما انا فليسه لي كان ولكل

صديق لي المشاركه لذلك الرجل لكلامه في اللاهوت • فان نقيتي بنقا سريرته •
في هذا الامر توديني الي مشاركته في هذا مع غيره • فاسل ان يكون اعتقادي له
واعتقاده لي محسوبا عند الله • وعند آل الاعتقاد الجميل من ساير الناس • وذلك
انا لا نقول في اصحاب الاناجيل ان بعضهم خالف بعضا • لما اشتغل بعضهم
في ذكر جسمانيات المسيح • اكثر من الاخرين • واشتغل اخرون بالالهيات اكثر من
غيرهم • فمنهم من كان ابتداوه بما يخصنا • ومنهم من ابتدي مما يفوقنا • واقتسموا
الكرز علي هذا المعني بحسب المنفعه الاتيه • في ظني كانت لمن قبل القول منهم •
وكان الروح الداعي لهم الي ذلك •
فهات ننظر الان فيمن كان قديما وحديثا • من الرجال بحسن العباده معروفا •
من واضعي النواميس وقواد الجيوش والانبيا والمعلمين • ومن كان قد وصل الي الدم من
المجاهدين • فنعرف الرجل من المقايسه بهم •

آدم اهل ليد الله ونعيم الفردوس والناموس الاول • لا انني اذلم اقل فيه
قبيحا مخجلا من ابوته • ولا بد من ذكر الوصيه وانه خالفها • واما هذا فقبلها
وظلصها • ولم ينظر بشجرة المعرفه وعبر الحربه الملتفه • وقد اعلم يقينا انه
نال الفردوس •

آنوش وثق اولا ان يدعوا الرب • واما هذا فدعا وكرز علي اخرين • وذاك فهو اكبر
في الكرامه من الدعوه فقط •

آخنوخ نقل وكانت له النقله مكافاه علي امانه يسيره • لان الامانه كانت
في ذلك الوقت تحت الفي والرسوم • فافلت من عطب الدنيا الذي كان
فيما بعد • واما هذا فكل عمره كان نقله • قد جرب وامتحن
امتحانا

امتحانًا تامًا في عمرٍ تام ،

نوح اوتمن علي تابوت وعالم ثاني زرعه في فلك صغير خلّصهم فيه علي الما
طافيًا ، وهذا تخلّص من طوفان الكفر ، وجعل مدينته تابوت خلاص
صفت فيها علي بحر الهراطقه ، وانقذ من ها هنا العالم كلّه ،

واما ابراهيم فكان عظيمًا ، وفي الابوه ربيبًا ، وللضحيه الجديده ذابحًا ، فقدّم
الموهوب له بميعاد ، لمن اعطاه اياه ذابحًا مستعدًّا ، والي الذبيحه صابيًا ،
لان هذا لم يكن فعله يسيرًا ، لانه قدم لله نفسه بعينها ، ولم يُعطي
عوضًا عنها ، وما عسي ذاك كان يكون حتي تتم الضحيه ،

اسحق تقدم الميعاد به قبل الكون ، واما هذا فكان ميعادًا في ذاته ، ورفقه
اعني بها البيعه ، لم يتزوجها من بعيد ، بل من قريب ، ولا برساله علي
الُسن عبيد ، بل الله كان الذي دفعها اليه وايتمنه عليها ، ولم يدع بعد
ذلك الحيله في تقديم الولدين احدهما عن الاخر ، بل وزع علي الكل ما يستحقه
كل واحد بغير تهاون ، وكان ذلك بتمييز الروح ،

وقد امدح سلّم يعقوب ، ولا سطوانته التي دهنها لله ، وصراعه اياه وصورته
في ذلك الوقت كاينه ما كان ، الا انني اظن ذاك كان رمزًا علي مقدار البشريه
في تكافيه وتصوينه علي العلو الالهي ، فحصل له من ها هنا الدليل علي انهزام
الطبيعه وتفضلها ونقصانها ، وامدح مع ذلك حسن تدبيره في المواشي ،
وما حصل له منها من الثروه ، والاثني عشر الذين كانوا منه ايضًا متقدمين
في الابوه وتوزيعه فيهم البركات بنبوه غير مردوله ، الا انني امدح فسلّم

هذا ايضًا التي لم تكن طاهر نقط بل وصاعد بتصعده في الفضيله على اختلاف
طرقها • وامدح المنار التي لم يدهنها • بل اقامها الله تشهر فضايح الكفار •
وصرلعه الذي لم يصارع الله فيه • بل صارع عن الله فهزم قوم الهراطقه.
وامدح ايضًا بصره بالرعايه التي استنار فيها • حتي ملك الرسوم من الغنم الكثر من
كان غير معروف ولا مرسوم • وامدح ايضًا كثرة الاولاد وحسنهم الذي ولدهم
الله • والبركه التي بارك فيها كثيرين •

واما يوسف فصار فيما يقوت البر • ولكن مصر وحدها وغير دفعات كثيره •
وكانت كلها جسمانيه • واما هذا فقام بقوت الكل قوامًا دايمًا روحانيًا • وهذا عندي
الكثر من ذلك واحق الاحتشام •

واما ايوب الاوسيطي فجرب • وهذا ايضًا فغلب وشهر ذكره اشهارًا بهيًا • عند
الغايه من الجهاد • من حيث لم تقلقله ولا هزته المقلقلات وقد كانت
كثيره • وصارع المجرب باقتدار قوي • وسد الافواه من بهيميه الاصدقا
الذي كانوا بسر الالم جاهلين •

واما موسي وهارون • فكانا في كهنة الله • وكان موسي عظيمًا قد عذب مصر
وخلص شعبًا بايات كثيره وبدايع • ودخل في الغمام ووضع ناموسًا مضعفًا •
اي ناموسًا للكتاب من خارج وللروح من داخل • وهارون فكان لموسي اخًا بالجسم
والروح • يضحي عن الشعب ويصلي • عارفًا بسر الخبا العظيم الطاهر الذي نصبه
الله ولم ينصبه بشري • وهذا الرجلان • فكان وهذا الرجل متشبهًا بكليهما •
يعذب امه مصريه من معني ما هي عليه من المخالفه • بضربات ليست
جسمانيات • بل روحانيات منطيقيات • ثم يقود شعبًا خصيصًا وفي الافعال الجميله عبورًا •

الي

الي ارض الميعاد • ويكتب في صحف نواميس ليت رسميه مستوره • بل كلها روحانيه.
وكان يدخل الي قدس القدس لا دفعه واحده في السنه • بل كل يوم بالتقريب
من القول • فكشف لنا التالوت المقدس • وطهر الشعب لا بنضوح وقتي. بل
بطهور خاصي •

وما كان الافضل من يشوع بقياده الجيوش وتوزيع الاقسام وملك ارض القدس •
افلم يكن هذا ايضًا في الرياسه مقدمًا ولجيش قايدًا • وهو الجيش الذي خلصه
بالامانه • اولم يكن ايضًا للاقسام والمنازل التي عند الله • التي قسمها علي
المنقادين اليه • حتي انه وقد يقال فيه • ان حبالاً سقطت علي • فيما بين اولي
القوه والشده • وان في يديك حظوظي واقسامي حظوظًا هي اكرم واشرف من
الآنيه من التراب المختطفه ما يجري مجراه •

واذا ما تجاوزنا القضاه والمبرزين منهم عدلت الي صموييل الذي كان في الداعيين
باسم الرب • وكان قبل كونه مقربًا لله قربانًا • وكان بعد ميلاده علي الوقت
طاهرًا وللملوك والكهنه بالزوف داهنًا • واما هذا فلم يكن من الطفوليه وبطن
امه مطهرًا • وكان الي المدبح مسيحًا مدهونًا بوشاحه مغطي مقدمًا • والي السماويات
ناظرًا • وللرب مسيحًا مدهونًا وللمتممين بالروح داهنًا •

داوود كان في الملوك عظيم الصيت • وكان له في الاخبار علي الاعدا ظفرًا واستظهارات.
وكان الابين من سماته الدعه • وكان له قبل المملكه قوه في المعرفه • للروح
الخبيثه مكينه مدهله •

سليمان طلب من الله سعه في قلبه ووصل اليه وزاد في الحكمه والمعرفه • حتي صار

افضل من جميع اهل زمانه • واما هذا فلم ينقص عن الواحد في الدعه • وعن الاخر في الحكمه • علي حسب رايي الا اليسير • متي كان يلتين تهجم الملوك • المهاجين ولاتقصده ملكة الجنوب وحدها • ولا فلان وفلان وحدهما من ساير الاقطار لشرف حكمته • بل قد كانت حكمته الي ساير الاقطار سايره • واما ماكان من سليمان فيما بعد فانا اهمل ذكره • وهو لعمري عند كل احد معروف وان اشفقنا من التعريف •

وانت يا صاح فقد تمدح دلال ايليا علي المغتصبين • واختطافه بنار وما ورثه اليشع منه من الميرات الحسن • وذاك وشاحه الذي تبعه الروح به من ايليا • فامدح ايضا وحياه وهذه الناريه • اعني بها النار التي اتت بها من المحن • وخلاصه ايضا بالنار التي كانت تشعل ثم لا تحرق • وذلك فهو عجيبة العليقه • وامدح ايضا الجلد الحسن الذي حصل له من العلو وهو عدم الجسمانيه • ثم اني اتجاوز الفتيه الذي تندوا في النار • والنبي الهارب الذي صلي في بطن الحوت وبرز منها كما يبرز الانسان من خدر • واترك مع ذلك الصديقين الذي قيد في البير تهجم الاسد • وجهاد المقابيين السبعه الذين قضوا مع والدتهم والكاهن وغيرهم ممن بالدم وانواع العذاب قضي ومضي • لان جملة هولاي قد تشبه بهم وهذا الرجل في صبرهم • وحصل له بعد ذلك مجدهم •

وانتقل انا بعد هذا الي الوصية الحديثه • فاقابل احواله بالمبرزين منهم فيها • واكرم التلميذ من المعلمين • سوال • ماكان الصابغ ليسوع • جواب • يوحنا اذ هو للكلمه وللضو سراج تقدمه • واضطرب في القرار وسبق الي الجحيم • وكان الي ما هناك بجنون هيرودس مرسلا • ليبشر من كان بعده آتيا • ولا يكون هذا القول مني عند احد متجريا في المقايسه بذلك فيما

اقول

أ شمونيت

ألعازر

اقول . لاني ما اقول ذلك . علي ان اهدم هذا الرجل الي هذا الموضع . ولا اساويه بمن
زاد في المولودين من النسا علي كل احد . بل انما غرضي ان ابين انه كان متشبها به .
وفيه شي من علامات ودلايله . لان اليسير في اهل الحرص في التشبه في الكبار
فضيلة غير صغيرة . فهل لم يكن وهذا الرجل لذلك في فلسفته صورة بينة .
لان هذا ايضًا سكن برية . وقد كان له ملبس شعر في الليل مجهول لم يظهره .
وهذا ايضًا قد كان لمساواته في الطعام محبًا . ولله نفسه بالنسك مطهرًا وهذا
ايضًا فقد اهل ان يكون بالمسيح مناديًا . وان لم يكن له سابقًا . وقصده من النواحي .
لا من طاف به وكان بصدده . بل ومن شسع وبعد عنه . وقد كان ايضًا
وسيطًا بين الوصيتين . ينقص من احدتهما الكتاب . ويشهر من الاخري الروح
ويجعل تمام الناموس المستور ظهورًا للبين المشهور .

ثم تشبه بغيرة بطرس . ومداومة بولص اللذين كانا اسماوهما مشهورين وبنقلتهما
الي اسما اخري معروفين . وتشبه من كليهما بالامانه . ومن ابني زبدي باعلان
الصوت . ومن جماعة التلاميذ بالاقلال وترك الفضل والشرف . فمن هاهنا
اوتمن علي مفاتيح السما . واشتمل علي دون الكثر من ذلك بالبشارة . ولعمري فلم يسمي
ابنًا . ولكنه صار كذلك كونًا . وانضجع علي صدر يسوع . واجتذب من هناك
قوة القول . وغوص المعاني . واستيفانوس فلم يكنه . وان كان علي مثل ذلك
قد كان حريصًا . لكنه ضبط الراجمين بالاحتشام .

ثم اني اقول قولًا موجزًا . حتي لا اتي علي كل واحد بقول يكون مفصلًا . وذاك ان هذا .
اخترع شيًا من الحسنات وتشبه باخري في مجد اخري . وفضل علي غيرها وبتصرفه
في جميعها زاد علي الكل .
ثم اني اقول مع كل هذا قولًا مختصرًا . ان فضل الرجل وتروته في المجد وصلت الي هذا

١٧٤

من المقدار ان يكون كبير من صغار احواله . وربما كان ذلك من التناقض في الجسمانيات . وصل قوم اخرين ان يحتالوا النفوسهم في تشبههم به فيها . بزياده في الفخر . مثال ذلك اصفرار الوجه . وتقويم اللحيه . وسكون المشيه . وقلة المسارعه في الكلام . وجمعه رايه على الامر لاكثر الي دواخله . فكان اذا اراد ان يتشبه به غيره لم يتمكن من اصلاحه في موضعه فيصير عبوسه . وقد كان ايضا يتشبه به في صناعة لباسه وشكل سريره . ومذهبه في طعامه بما لم يكن ذلك يتعمده . بل كان ياتي كيف ما اتفق منه .

ولقد نري جماعه يصلحون نفوسهم . بسناسل الي المنظر وحده . وهم الاصنام التي في الرسوم . واذا ما زدت في القول قلت صوت الصدي والطنين الذي يتاخر وصوله الي السمع . لان ذلك الطنين وان يحاكي اواخر الصوت الا انه ربما اخفق التشبه بالمحاكاه .

واما هولاي الذين يرومون التشبه بذلك الرجل . فقد كانوا يتعدون عنه بمقدار ايثارهم القرب منه . واما متي كانوا يصلون الي القرب منه . او ان يرضوه في شي . او ان يحفظوا عنه شيا قيل منه . او فعله علي جنس هزل او جد . فقد يشبه ان يكون ذلك في التباهي كبيرا غير صغير . بحسب ما قد اعرفه انا ايضا من نفسي . وقد تجملت من التشبه به في اوقات . لانه ما كان ياتي منه من غير قصد . قد يكون اجل وافضل مما يقصده ويتعب فيه اخرون .

فلما تم عدوه . وحفظ ايمانه . فطلب الانصراف . ووقف امامه وقت لا كاليل لم يسمع اصعد الي الجبل بل اقضي واصعد الينا وقتيد . الامر الذي كان بطوس

وجري هاهنا شيا اخر ليس بدون ما تقدم من القول . وذاك انه كان عن قريب

ميتا

ميتًا. ونفسه ناقصًا. واكثر الحياه قد انصرف عنه. فقوي بكلام الوداع.
والتزود منه للانصراف. حتي يكون انصرافه بالكلام في حسن العباده والامانه
ومد يده نحو الروح الي شرطونيته قوم من خدامه وخواصه. حتي لا يخسر
المذبح تلاميذه والمعينين في الكهنوت. واما ماكان بعد ذلك فقد تثاقل
عن التقدم الي ذكره. لا انه علي كل حال يتقدم. وان كان يخص بغيرنا
اكثر منا. ومع ذلك فليس يمكني التفلسف في هذا العارض. وان كنت قد
حرصت جدًا في التفلسف. وقد يعتريني ذلك اذا ما ذكرت الخسران العامي وما
ادرك المسكونه حينيذٍ من الالام لما كان الرجل مطروحًا. يتنفس الصعدا
وللصفوف العلويه طالبًا. وكان نظره ومنذ قديم اليها شاخصًا. فانصب
نحوه المدينه كلها. وهم غير محتملين لفقده. ان يخسروا مثله. وكانوا يصرخون
علي انصرافه. كان سلطانا قد غصبهم عليه. ويطلبون ان يثبتوا بنفسه
لو كانت مما يضبط. وكانت المكنه متيسره للغصب عليها. اما بالايدي. واما
بالشفاعات. لان ما دهمهم من امره. كان قد اخرجهم من عقولهم. وكان كل
واحد موثر منهم ان يزيده شيًا من حياته. فلما غلبهم امره وكان ينبغي ان
ينكب بما انه هو انسان. وقال اخيرًا اني اسلم روحي الي يديك. وسلم
روحه الي الملايكه. اخذتها بغير نكره. بعد ما اشار الي الحاضرين وعلمهم
افاضل بوصاياه.

انجهت حينيذٍ عجيبه لم يكن منذ قط اشهر منها. لان الرجل كان محمولًا علي
ايدي الابرار. وكان حرص كل واحد علي شي منه. فمنهم من تمسك ذيله.
ومنهم من اتصل الي فيه. ومنهم من يلمس السرير الذي كان يحمل طهارته.
واي شي كان اطهر من ذلك الجسم وانقي. وقوم اخرون فكانوا يحرصون
علي القرب من حامليه. وبعضهم علي التمتع بالنظر اليه وحده. كان

ذلك النظر كان يوديهم الي فايدة • وكانت الاسواق مملوة • والاسطوانات موعبه •
دقوم يتطلعون من طبقتين دقوم من ثلثه • واخرون يشيعون اخرين • وقوم
يطرقون متقدمين • ويتبع اخرون لاخرين • ويرتكب بعضهم بعضا • وهم ربوات
من كل جنس • ومن كل سن • اكثرهم ما كان يعرف منذ قبل • وكانت المناحات تغلب
القرآت • والتفلسف يتناقص من الم الحزن • وكان الجهاد لنا من البرانيين من
الحنفا • واليهود • والطاردين • والحرص لهم معنا • في ان يكون الواحد منهم
يزيد علي الاخر في البكا والزفرات • ويصل الي منفعه من المنفعات • واخر الكلام
ان الامر انتهي الي عطب في انصراف نفوس ليست باليسيره مع نفسه من الازدحام
والشده • حتي انها مظيت من هاهنا بالطوبي في انصرافها معه • وانها صارت
ضحايا علي رسمه • وعسي ان يقول ذلك احد من الشديدين الحرارة في الامانه •
فلما افلت الجسم بجهد من مختطفيه • وغلب مشيعيه • سلم الي اجدات
الابا • وانضاف الي الكهنه رئيس الكهنه • والي الكارزين الصوت الجهير
الذي هو مصوت في اذني الي هذه الغايه • وانضم الي الشهدا الشهيد • وهو
الان في السموات • يقدم عنا بحسب ظني الضحيات وعن الشعب الصلوات • لانه
لن يتخلف عنا بالكليه • وان كان خلفنا •

واغريغوريوس الان فنصف ميت • مفصولاً بين اثنين بانفصاله
وانقطاعه عن الازدواج معه • يقود عمرًا اليمًا • صعبًا لا يسهل انقياده • كمثل
من اشبه ان يكون بهذه الصوره بعد انفصاله عنه • ولست ادري ما تكون
غايتي في المستانف بعد تعديه من تاديبه • وان كنت الي هذه الغايه اصل
الي مواعظه • وتقديمه في رويا الليل متي ما زللت عن الواجب • ولست انا
اخلط مع المديح مناحه • هكذا • واكتب سيرة الرجل • واجعلها صحيفه
للفضيله عامه علي طول الزمان • ومقدمة خلاص لساير البيع وجميع

النفوس

النفوس حتي ننظر الي ذلك • مثل ناموس متنفس فيقوم حياتنا وعيشتنا •

واشير عليكم انتم الذين كان هو تممكم • تفعلوا اشيا آخر غير النظر فيه •
وان تتصوروا انكم بنصركم تبصرونه بالروح فتكونوا مصطلحين • فهلموا
الان يا اصحاب ذاك ودوروا حولي • من كان منكم من اهل المدح • ومن دونه
ومن اصحابنا ومن البرانيين فقاسموني مديحه • وليقل كل واحد شيا من
احواله • وشيدوا بذكر محاسنه • وليطلب من كان منكم من اهل الكراسي
لواضع النواميس • ومن كان من اهل المدينه لمقوم سيرة المدن • ومن كان
من الجمع لصاحب الترتيب والنظام • واهل الكلام للمودب • والابكار
لمودبهم الي الاخدار • ومن تحت النير لمن يقومهم بالعفاف • واهل البرية
للمريش الذي يصعدهم الي العلو • واهل الخلطه للقاضي • واهل السراجه
للهادي • واهل النظر للمتكلم في اللاهوت • وذو الرخاوة للملجم الضابط •
واولوا المصاب للعزا والسلوي • والشيب للعكازه • والحداثه للتاديب •
والفقر للمجدي • والثروة للمدبر •

وقد اظن بالارامل انهم يدعون للمهتم • والايتام للاب • وان الضعفا يدعون
لمحب المساكين • والغر بالوامق الغريب • والاخوه لمن كان يودهم • والمرضي لطبيبهم
الاسي من كل مرض بكلما يحتاج اليه من مداواه • والاصحا لحافظ الصحه • والكل لمن
كان للكل كلا • حتي يربح الكل والاكثر منهم •

فهذالك منايا باسيليا • من اللسان الذي كان عندك في القديم لذيذا • وكان
لك مساويا في الكرامه والسن • فان كنت قريبا من استحقاقك • فالمنة لك •
لاني بك وثقت فنصبت الكلام فيك • وان كان من ذلك بعيدا وعن الماموك

قويل
كراس
١١

ناقصًا. فما كان ينبغي ان يلحق غير هذا لمن كانت الشيخوخه والمرض والشوق اليك
قد ادعكه. فاعنف عليه وبهظه. ولكن الذي تصل القوة اليه. وعند الله
ماثور. انت يا هامه طاهر الاهيه. فانظر الينا من فوق. وهذه الشوله
التي من الله قد بلغت الجسم. وهي تاديب لنا. فاما ان نفقها ونزيلها لانتفاعنا.
واما ان تقنعنا ان نصبر عليها. وسير عمرنا الي ما هو ازيد في المنفعه. فان
نحن انتقلنا فليتك تقبلنا هناك في مساكنك. حتي نعيش بعضنا مع بعض وننظر
جميعًا الي اللاهوت المقدس المغبوط نظرًا انقي من هذا واتم. فقد كنا من ههنا
تقبلنا منه لمعًا مقتصدًا. فاذا ما وصلنا الي ما نريده هناك بلغنا المني.
وكان ذلك مكافاه لنا علي محاماتنا عنه ومحاربتنا من جهته.
فهذه جملة المقال من عندي لك. واما نحن فمن يذكرنا.
اذا ما نحن انصرفنا من ههنا بعدك. متي اعطينا
الاقوال شيا يستحق المديح. ولربنا
المجد الي اباد الدهور.
امين.

الميمر التاسع والعشرون

لابينا المعظم في القديسين غريغوريوس التاولوغوس النازينزي
مدح به القديس كبريانوس لما حضر الي موسمه بعد يوم من عيده

لقد كان يفوتنا كبريانوس ويا له من خسران. لا سيما وقد صبرتم علي ذلك انتم
المشغوفون بالوصل اكثر من احد. الذي تكرمونه بالكرامات والمواسم في كل سنه.
وهذا فهو كبريانوس الذي ذكره وعلي من هو باش لغيره من الاشيا الواجبات
الملازمات. اذ كان ذكر الافاضل الذي في ذكرهم النفع واكثر مما ينبغي ويليق.
ولكن سبيلنا ان نضيف الي الذي ربا او نوفيه. ان كنا من ذلك ممتليين. ولم نكن
من

من كل شي فقرا معسرين ۰ وان كنا جدًا فقيرين ۰ فانه ليصفح عنا مثل صفحه عن تاخرنا عن يومه ۰
وكذلك عن فقرنا في مديحه . اذ كان الرجل كريمًا في كل شي وفيلسوفًا ۰ وهذا وحده انه لم
يعتنا بالكليه ۰ فسبيلنا ان نشكره وسنشكره اذ كان واجبًا ۰ وليكن ابتداونا هكذا . لقد
حسن موضع عودتنا اليكم ۰ وكان ذلك بمقادير حسنه من الله ۰ الذي يقسم كل شي
بميزان وقدر وينظمه ۰ فقدمنا من الصمت الي النطق ۰ ومن مدينه محبه للشهدا
الي الشهيدين ۰ ومن راحة جسم الي تعدية روح ۰ وقد كنا اليكم يا اولاد مشوقين ۰ ولقد
كنتم بالاشتياق الينا مكافين ۰ اذ كنت اقنع نفسي عنكم بذلك ۰ الا ترون هذا الاعتراف
والوفا من ذلك ۰ لانني قد قلت ما يخصني ۰ وشهدت لكم بما يخصكم ۰ وكان افتراق بعضنا
من بعض بمقدار ما عرفنا فيه قدر الشوق وجربناه بالانفصال كما يجرب المزوقون في
الواهم . ثم اجتمعنا ۰ فان العاده لو كانت يسيره لقد كان فيها ما يهيج الذكر ويطلب
العوده اليها بعظيم من الحرقه ۰ من المتوادين الذين يتشبهون بمحبة الله للبشر . وكيف
لا يكون كذلك ونحن تلاميذ المسيح الذي ذل بذاته الي صورة عبد من اجلنا ۰ وكنا من
السماييات غربا ۰ فرددنا الي ذاته ۰ فان كان يجوز الا يصبوا بعضنا الي بعض ۰
ويتمسك بعضنا ببعض ونحفظ اتحاد الروح برباط السلامه ۰ التي هي راس الانبيا
والناموس ۰ هذا واحد من هذه النعمه اول ۰ وذلك انه لما رجع الواحد منا سريعًا
الي صاحبه وصافحه ۰ لان الغيره ما كانت للتلوم بالمحتمله . فان العمر كان مثل
يوم واحد عند من كان بالهوي من المشغوفين ۰ والثاني ايضًا وهو عظيم اننا قدمنا
في اثر العيد ولم نتخلف عن نحو من الشهدا شهيد ۰ ولم نعدم ما لنا من هاهنا
من متعه وسكون عتيد ۰ وانا معترف باني في كل شي آخر ۰ اشد من كل احد تقصيرًا ۰
وذلك انني اطرحت كل شوق منذ اتصلت بالمسيح ۰ ولم يبقي شي يملكني مما يطرب به
سواي ۰ وهو عليه من الكادحين لا غني ۰ وهو الذي ينتحي سفلًا ۰ وينتقل احوالًا .
ولا هلاد الجوف وشبعه الذي هو والد للشتيمه والسبات ۰ ولا ملبس ناعم وهو علي كل
حال متمزق ۰ ولا ضيا الاحجار النفيسه وتعملها ۰ ولا سماع شاخر مطرب . ولا مشم

خنث • ولا اصطفاف الجموع • ولا شغب المجامع • اذ كان ذلك مما تركناه منذ قديم لموتريه • ولا ما كان من تاليد مذاقتنا الذي منه كان سقوطنا • بل قد الزم التعب لمن احتمل الرذاله في التمسك بهذا سبيله وافسد حسب نفسه في الرذاله بدل ذلك • وقدر انه من هذه يضبط ما الزمه • فوجده هاربا • لما اني شرهت الي هذا وحده • وطلبته طلب من لا يشبع منه • واحمرت نفسي في العارض منه الذي من هذا اعترافي • وهو اني انصب الي ذكران الشهدا واستر بدما المجاهدين • حتي كانه يكون الظفر والجهاد لغيري • والجوايز والاكاليل نكانها لي • فهكذا اخاطفهم المجد • وكذلك اسابقهم واختص بمحامدهم . فيجب ان نثبت نصب المواسم لكل الشهدا • ونطلق لهم جميعا اللسان والسمع والفكر باستعداد • فيما يقال فيهم بنشاط • ويسمع عنهم • ويتصور ان كل شي دون جهادهم • ولعمري ان ذلك كذلك • اذ كانت الاشيا التي تهدينا الي الصواب كبيره • والاداب التي تقودنا الي الفضيله ليست يسيره • ومنها الكلام والناموس والانبيا والحواريون • والام المسيح الذي علي الصليب . فصار اول شهيد وجمعي اليه حتي يسمر خطيتي • ويشهر الصك ويقدس العود • ويغلب اللذه • ويخلص الدم • ويستعبد الصوره التي زلت . ولما كانت هذه الاشيا موجوده لنا • وكانت هذه حالها ومقدارها • لم يكن الشهدا في ذلك بدون في التاديب لنا • لانهم ضحايا كامله • ومحرقات ناطقه • وقرابين مقبوله • وانذار بالحق صادق • وتبكيت للافك دافع • وتعزير للخطيه وظهور للعالم •

وانت يا كبريانا فاكرم الناس عندي اسما وفعلا • فقد زدت علي غيرك من الشهدا • وليس عند الشهدا حسدا لاضرابهم وامثالهم من شهدا • فانا ازيد في الادعان لفضلك واتعالي اذا ما ذكرتك • واصير مدلها من شده الالتذاذ بك . واجتمع معك علي كل حال في ما شاهدتك • واشاركك في مجاهدتك واصير بكليتي اليك • ولعل ذلك من اجل ما خص كلينا من صناعة الكلام التي زدت فيها علي غيرك بمقدار ما زاد

النطق

النطق علي طبيعة البهيمه . اذ كان قد تداخل ودة . لا اعرف كيف هو . لمن قد جمعهم سبب من الاسباب . ويكون ذلك فيهم من ساير الوجوه . اكثر ممن قد جمعهم الدنو من دم قرابة الاجسام . ولعل ذلك من اجل المعجز كان . من مفاجات انتقالك الذي علي زاد كل وصف ومثال . لان الشمس لذيذه بعد الغيم الذي كان يسترها استترها . والربيع فشديد الطبيعه لانه بعد عبوس الشتا وسكون الامواج لذيذ اذا كانت الغلينه فيه تضحك . ودست البحر قد انبسط ويدنوا من البرد نوا مداعيه اذا ما كان ذلك بعد عسف الرياح وتكابس الامواج .

وكذلك كبريانوس يا معشر الرجال . ليزداد من يعرفه الالتذاذ بذكره . ويعرف من يجهله احسن احاديثنا وما قد اجتمع لمعشر النصاري به من الفخر . هذا هو ذاك الذي كان اسمه قديمًا عند اهل القيروان عظيمًا . وقد صار الان في المسكونه كلها جليلاً . اذ كان في المعني مشهورًا . وفي السلطان والقدر مذكورًا . وفي الجنس والحسب معروفًا . اذ كان من اعظم الدلالات في الحسب . الكون في جملة اهل الراي . والمقدم في احفال الملك . وقد كان للشبيبه زهر . وللطبيعه صنمًا وصورة . وللكلام عزًا وقوة . ما كان منه فلسفيًا . وما كان منه الي ادب آخر منسوبًا . ومن هذين العلمين . فيما شيت من اجلتها . حتي ما كنت تعلم من اي الجهتين تعظمه بالاعجاب اكثر وتشيده . آمن معني التفنن في علوم مختلفه . ام من وصوله في كل علم الي الاقصي في غايته . لا بل من التدقيق في كل واحد . حتي زاد في حسنه واتقانه علي الاكثار منه . ام سبيلي ان ازيد في بيانها التميز . فاقول انه زاد علي قوم بالتفنن . وزاد علي الاخرين بالوصول الي الغايه . وزاد علي قوم بهذين كليهما . بل فضل علي كل احد من ساير الوجوه . واما زينته في الكلام . فيشهد بها كلامه الكثير البهي . الذي لفظ به وصرفه من اجلنا . لانه استبدل ان يفعل كل شي وينقله الي الافضل . من المذهب بغيره من الادب . واجاد بالنطق عن البهيميه وعدم النطق . واما بعد

هذا فلست ادري كيف استعمل الكلام ، ولا ما يكون مني فيه ، ولا كيف اقص ، ولا
اطيل الخطاب ، حتي اتجاوز بالكليه ، ما يقتضيه الوقت ، اذا رمت ان اذكر جميع
احوال كبريانوس ، وكيف لا اخسر من قد خصر الخسران العظيم بما امسك عنه من ذلك ،
الا انني اسلك طريقًا وسطي فيما بين ما يقتضيه الوقت ، ويستدعيه شوق السامعين ،
فاري ان الذي سبيلي ان اعمله ، ان اترك الاشيا الاخر لعارفيها حتي يكونوا الجهال
بها معلميها ، ان وجد قوم بها جاهلين ، فيكون الاحسان الي الفريقين من المعلمين
والمتعلمين سوا ، لان ذكر ذلك الرجل قدس ، ووصف الفضيله من اعظم الاشيا في
تسهيلها والتحريض عليها ، ثم اذكر شيًا واحدًا او شيين من احواله باختصار ، فيكون
ذلك مما الامساك عنه من الممتنعات علي من يحاوله ، فابدوا بذكر عيشته الاولي ،
واشرح السبيل التي كان منها خلاصه . والدعوه التي دعيها ، والنقله الي الافضل
من الاشيا التي انتقل اليها ، لان الظن بان ذلك مما علي الرجل ، فيه مسبه ، وشرح
نقايصه في القديم ما ينقصه في الاخير الامن مهانة من يتوهم ذلك ونقصه .
والا فني سلمنا ذلك ، كان بولص العظيم غير ممدوح ، وكان متي الجابي في جملة
الاشرار ، وكان كذلك كبريانوس ، اذ كان بولص قد ذكر اضطهاده في القديم ونقلة
غيرته في الاخير ليزيد في تمجيد المحسن بذكر حاليه مخالفين ، واما متي فقد
اضاف الي نفسه ذكر الجبايه في دخوله في عدد الحواريين ، وكان ذلك علامه
له كريمه ،

واما كبريانوس فقد ذم رداة سيرته القديمه بكلام اطاله واسهب فيه ، ليقدم
الاعتراف لله قربانًا ، ويكون الي حسن الرجا لمن يعود عن سو جريرته طريقًا ، مما كان
للشر والرداه ، فانظروا قدر ذاك ، ومقدار انبساطه في العظم ،

وذلك انه كان للجن خادمًا ، الذي صار للمسيح فيما بعد تلميذًا ، وكان مضطهد

البرمُردًا . ذاك الذي صار عن الحق مجاهدًا عظيمًا . وكان بالقول والفعل لطريقتنا معكسًا .
بقوته في هذين جميعًا . ذلك الذي صار فيهما للنصرانيه عضدًا فيما بعد شديدًا .
وما اشدّ الرداه في ذلك اذا انضاف اليها السحر الذي كان من قلايد ذلك الرجل
معروفًا . ما اعظم الصعوبه في هذا الباب . اذا اجتمع اليه طراوة سن ونظارة
جسم بهي . ربما تمكنت من ان تقوي الحكما وتضطرم الى ان يردوا اشر مورد . من
حيث اختطافها للفكر كاختطاف المهر الجموح لراكبه . ومن هاهنا فقد انتهى
بنا القول جلاله . فلا ينظرن احد الى اوايل كبريانوس . فينتصب الى اللذات .
بل يتفقد آخرته فيكون بها من المصطلحين .

وذلك ان بكرًا كانت هناك من الحسنات اللاتي هن عفيفات . ومن في الجمال
مشهورات . وكانت في حسن الجسم من المعروفات . وفي لطف الخلق من المحسودات .
وبالصوره من المعشوقات . وفي فضيلة النفس من المعجزات . فراع لهذا من خبرها
فدله شاب ما وصل اليه وعرفه من حالها . لما رآ بجمالها معجزًا . وسمع من خبرها
ما كان لذلك مضاهيًا .

فاسمعن يا عذارى وكن جدلات . بل وانتن يا من هن من ذوات النير طاهرات .
وللطهاره وامقات . اذ كان الخير زينًا للجميع مشتركًا لهاتين من الطبقات . وكانت
البكر جميله جدًا في الصوره . فليصفها معنا داوود الالهي في تلحينه قايلاً . ان كل
مجد ابنة الملك من داخلها . وكانت للمسيح عروسًا حميمه . زينًا مخزونًا . صنمًا
متنفسًا . عبيده محفوظه . هيكلاً لا يداس . بستانًا مقفلاً . عينًا مختومه .
فليذكرها سليمان في شدوه انها للمسيح محروسه .

هذه تشبث بها كبريانوس العظيم . لست ادري من اين . ولا كيف طمع . في هذه

المتحرزه العفيفه • لان العيون الطامحه ربما طمحت فيما طمع فيه ذلك . لانها
القريب واشدها شرًا • لمن يمكنه التبث وحده حتي رام له مساعدًا • فيالها
من ركاكه منه • لما رجا ان يسرقها • بل يالها من قحه ممن يجسر علي مثل هذا •
ويدعوا الي التجاسر عليه • ذاك هو الذي دخل الي الجنه في الاول علي الجبلة
الاولي • ووقف بين الملايكه لايوب طالبًا • وجسر علي السيد اخيرًا • والسيد
هادم له وعتيد ان يميته • واورد التجربه علي من لا يجرب • لانه رآ ان
الظاهر من الله هو آدم ثاني • فاراد ان يصارعه لجهله • بانه اذ قصد البشريه •
سقط بالاهوتيه . فما العجب منه • انه رام كبريانوس تلك النفس المقدسه •
وذلك الجسم الذي لا يلمس •

لان كبريانوس رام • ولم يستعمل في ذلك سراقه من العجايز التي هن لهذه
الاشيا مهذبات • وفيها نافذات • بل استعمل فيه بعض الشياطين الذين هم
للاجسام محبون • وللذات طالبون • لان القوات الماردات الي هذه الخدمه •
فيما هن سبيله • سريعات جسورات • ولا شراك يشركوهن في هفواتهن •
طالبات • وكان الثواب منه علي ذلك • الذبايح والنضوح والاختلاط معهن
بالدما وقتامها • ولعمري ان هذا من ثواب لمن يهب هذه المواهب • ينبغي ان
يكون واجبًا • وبه قمينًا لايقًا •

فلما عرفت الجاريه ذلك واحست بالشر • وعلمت الاحتيال عليها . ماذا صنعت •
وماذا اتته من الحيله في مقامه السوي • لان النفوس الطاهره المتالهه •
الي صيد المغتال غير سريعات • وان كان حكيمًا في الاحتيال متقفًا . فايسة
الجاريه من كل شي آخره • والتجت الي الله • وجعلت نصيرها علي الهوي المبغض
حفيظها وصهيرها الذي نجا سوسنه وخلص تقله • اما سوسنه فمن الشيوخ •

المكروهين

والتجات

المكروهين . واما تقلّد ثم سلطان عسوف من والده اعسف منه . وهذا الذي هو . هو المسيح الذي ينتهر الرياح وينتاش من قد غطس . ويمشي فوق اللجه . ويطرح عصايب الارواح النجسه في العمق . وهو الذي خلّص دانيال من البيرلما طُرح للاسد فريسه . وغلب الوحوش بمدّ يده مصلياً . وهو الذي خلّص من الحوت نبياً هارباً وكان في احشاه مبتلعاً . وكان لامانته وهو في بطن الحوت حافظاً . وهو نجا الفتيه المسوريين من اللهيب الذي بردّه الملاك . واضاف الي الثلثه منهم رابعاً .

ولمّا قالت هذا . وتمّت ما هو اكثر منه . استشفعت بمريم البتول . ان تعين بكراً في شدّه متورطه . واضافت الي ذلك دوام الصوم . والاضطجاع علي الحضيض تطلب بذلك . يذبل جمالها اذ كان معيناً عليها . حتي تنتزع المادة من السعير وتفني وقيد الالام . وتتلطف مع ذلك في التضرع الي الله بالتذلل . لانه ما يرضيه شي من الاشيا كلها مثل الصبر علي الوصب . وان التفضل عنده مبذول بانهمال الدموع .

ومع هذا فانا اعلم انكم الي بقية الحديث مشوقون . وانكم علي البكر ولهون . وعلي العاشق ايضاً ليس بدون ذلك مشفقون . لا يكون انتهي بهما الهوي الي شر . ولكن اطمينوا . فان هذا الهوي افادها امانه . اذ كان العاشق اختطب لنفسه جاريه . فخطبه المسيح لذاته . اما نار العشق فخمدت . واما نار الحق فالتهبت . وكيف ذاك وعلي اي معني . فاني قد انتهيت الي لذة الحديث .

لان الجاريه هي التي غلبت . والشيطان فهو كان المغلوب . اذ قدّم المجرب

الي العاشق وعرفه بانهزامه . فتهاون به • فاشتد التهاون علي ابليس • فقابل التهاون
به . وما كانت المقابله •

انه دخل في الذي كان يخدمه • ليخرج منه الشر بشرٍ • ويصير الكلب دو الكلب صرع •
وذلك انه اندفع من الجاريه كما يندفع عن السور الحصين بما يصدمه من الالات
الضعيفه • وكان هربه من كلام وصلاه • ثم عاد فصارع الذي ارسله • ويا لهُ من
عجبٍ انه عاد الي عن رباه ليخنقه • كشاوول ثاني •

فاصنع العاشق الجاهل والمصروع العاقل • طلب حلاً • لما حل به من العبوس
فوجده • لان عند الشدة تدق الحيله • وذلك ان كل مضرور الي حسن الحيله
مهتدي • وما كان حل ذلك •

التجا الي الاه الجاريه كالجاشاوول الي قيثارة داوود • ونقراته • وكذلك
قصد هذا راي هذه • فتطهر كما تنضف من الهوي بضربة الصرع • كذلك تطهر
من الروح النجس بالامانه بالمسيح • فغير الهوي واستبدل به • واقام هذه
مدفوعًا غير موثوق به • لان مثل هذا الامر كان بالحري ان يعجب منه ولا يصدق •
ان كبريانوس يدخل في عدد النصاري ابدًا • ولو دخل في ذلك الناس اجمعون •
الا انه دخل • وكان برهان نقلته برهان يقين • وذلك انه طرح كتب السحر •
امام الاشهاد • واشهر الجهل • واشعل منها لهيبًا . وعلاه • فصار للملا
بين • وافني الضلالة العظيمه بنار شديده . اذ كانت لم تفني نار جسم
واحده • فابتعد من الشياطين • واختص بالله وقرب منه •

فيا لها من نعمةٍ ما اكثر مقدارها ان يكون وجدانه الله بهوي خبيث وروح نجس •
فصار

فصار رضاروقاً نقياً من رعيه طاهر . ولقد سمعت انا . انه صار ايضاً خادماً لبعض
الهياكل . بعد ما طلب ذلك طلبة شديده . ليحصل له فلسفة المذلة تنضيفاً
لما كان اعتراه قديماً من درن الجبريه . ثم صار راعياً من الرعاه عزيزاً نفيساً .
لانه لم تحدق به وتحويه البيعه المتقدمه في اهل القيروان فقط . ولا افريقيه
التي شاع ذكرها منه . وبه وحدها . بل انبسط الي ساير بلدان الغرب نعم وبلدان
الشرق . والشمال والجنوب . وما شاد ذكره فيه الا تعظيم لعجيبته . فهكذا صار
كبريانوس من اصحابنا . وهذا فعل لاه العجايب والمعجزات . هذا فعل الذي دبر
يوسف بمصر لما انباع من تفشيم اخوته . وهو الذي جربه بامراه . ومجده بما
جاد به من القمح . وجعله حكيماً في المنامات ليوثق به في الغربه . ويكرمه فرعون .
ويصير والداً لربوات كثيره من اجلها عذبت مصر . وانشق البحر . ومطر الخبز .
ووقفت الشمس . وانقسمت ارض الميعاد . اذ كان من شان حكمته ان يطرح للامور
الكبار مقدمات من بعد . ويدبر الضد بضده . لتعظم من ذلك عجايبه . فحسب
كبريانوس هذا من المحاسن مقدمه لمقدار الكامل من مديحه . الا ان الذي بقي الان
بعد هذا . قد بلغ مقداره وحاله مبلغاً . متي لم يكن قد تقدمه شي مما قد تقدم
ذكره . ان يكون كافياً له في المديح . ان يغلب ويزيد به علي كل من بعده . ولكني
اترك ما في وسط الخبر من زهده في المال . وتجنبه العجب . وطهارة جسمه وتاديبه
اياه مقاومة لما تقدم عليه من حركاته وما كان يستعمله من الفلسفه في ملبوسه .
وطريقته في الملابسه فيما بين الترافع والتداني للناس . حتي ان رايه كان متباعداً
من التذلل والتجبر بعداً سوا . واترك مع ذلك ذكر سهره ونومه علي التراب .
علي انه كان قد تعلم ذلك اخيراً . ولكنه زاد فيه علي من تقدمه كثيراً وزيادته
ايضاً في علم الكلام . الذي به اصلح الكل من اخلاقه . ونضف من نفسه سو
الادب فيما تقدم من رايه . وزين مع ذلك مذاهب الناس . لما وجد لاهوت
التالوت . الرياسة الملكيه . قد فصلت من قوم وتجمعت . ومزقت من اخرين .

ردها الي القديم . وهو ثابت في حدود الاتحاد والعدد المنسوب الي حسن العباده . فيبلي
ان اختصر في ذكر ذلك لكثرته . واجعل اخر قولي النهايه من نهره .

وذاك ان داكيوس اهتاج علينا واحتال في بابنا بانواع من العذاب . فمن شديدها ما كان
حاضرًا . ومنه ما كان عتيدًا . وكان عنده الاجتهاد في ان يستولي علي النصاري . وان
يزيد علي من تقدمه من المضطهدين . لا بل ان يملك النصاري اجمعين . واما ان
يستولي علي كبريانوس وحده . ويجعله في قبضته من المملوكين . لانه بحسب ما
عرفه من زيادة الرجل في الفضيله علي غيره . والمجد كذلك . كان يعتقد ان الغلبه
تصير له . اشد من غيرها بهاءٍ وظهورًا ان ظفر به . وذاك ان المعني الاول
انما كان يصير له منه الظفر بالنصاري وحدهم . واما في المعني الثاني فكان يصير
له مع ذلك الظفر بالفلسفه وصناعة الكلام . فمن هاهنا كان يري ان يبتر
اللسان اولاً . ثم يستاق بعد ذلك المعتضدين بهذا اللسان اسري كالبهايم .
فلذلك كان يري ان ذلك من افضل سياسته . ولقد كان اعتقاده وما هم بفعله
فلم يكن بالكليه من الراي المصيب بعيدًا . وقد كان ذلك من الفعل . لان القديس
لما دحض . كل ما رامه فيه واورده عليه . بشجاعه وجلاده . كما تدفع الصخره
من شاطي البحر ما يرد عليها من الامواج . وحكم عليه بالنفي في الاخير . لم ينظر
ذلك الجزل في مصلحة حاله . ولا اثر خلاص نفسه دون غيره . ولا راءٍ ان
للهوان في ذلك حرز لجسمه اكثر من رايه . وان في امساكه وصمته عطبًا
لنفسه . ان اهمل امر رعيته وتركهم في العطب منقادين مع الوقت . اذا لم
يكن لهم . من يودبهم ويرشحهم ويجريهم اذ كانت . وكلمه ربما زادت في
الشجاعه لمن يتعزا في حلبه الفضيله زياده ليست باليسيره . فمن اجل ذلك
كان بالجسم نايبًا . وبالروح حاضرًا . ومع المجاهدين مجاهدًا . ولم يكن
الموعظه ممكنه له بلسانه . فكانت المعونه منه بكتابه . وكيف ذلك
كان

كان مرشحًا بدهن الصراع من نفيه . بما ولفه من الكلام المحرّض علي الشهاده . وما كتبه
في حسن العباده . فاصلح ذاك برسايله شهدا وحده . اكثر مما اصلح الحاضرين بنفوسهم .
اجمعون . فيمن كان قد حضرهم العقاب يوميذٍ . لان اقنع الا يلتفت احد الي وطن ولا
جنس ولا نعمه ولا مقدره . ولا شي غير ذلك مما هو تراب مطروح . والي التراب معاد .
ولا يقدّمه علي الحق . وما هو مخزون هناك من جوايز الفضيله للمجاهدين . مما هو في
ذاته جيّد . وان تكون التجاره النفيسه عندهم هذه . ان يشتروا ملكوت السموات
بقطرة دم . ويعتاضوا عن الخير الزايل بالخيرات الازليه الباقيه . وان يكون
الوطن عند من علت نفوسهم وطنًا واحدًا . وهو اورشليم المعقوله العاليه . ليس
الاوطان المحصوره بحدود صغيره . وقد ابدلت وستبدل من املاك كثيرين . وان
كان عندهم الحب بها واحد . وذلك حفظ الوصيه والصوره والشبه بالاصل .
بحسب طاقة المرتبطين بجسم . القادرين ان يصل اليهم من ذلك الجيد . الذي
هو بذاته جيّد . ولو ما كان من قطره يسيره . وان تكون المقدره عندهم الظفر
بالشرير . وحفظ فضيلة النفس . حتي لا يجبن ولا ينهزم في الجهاد عن حسن العباده .
اذا ما كان الشر يقاوم الفضل . وعالم يقاوم آخر . اي الزايل للتابت . وصاحب
الجهاد المرّ للمجاهدين الاجلاد . ويضاف بلا راي ابليس للمسيح . فمن اجل
هذا اقنع بكلامه . ان يتهاون بالسيوف ويتصور النار بارده . ويتوهم الوحوش
الوحشيه انها انيسه . النعيم الذي في الغاية القصوي عريًا وجوعًا . وان
يتجاوز الواحد عن دموع اهله وشهيقهم اذ كان ذلك مخدعه من الشرير وحجاب
عن سوي سبيل الخلاص . فذلك من شيم النفوس الجزله الشديدة الراي المصيب .
والمثال القريب هو ذلك الذي هذا وكتب به . اذ راي كل شي ساقطًا مثل التين
والعور حتي يربح المسيح وحده . فهكذا فكر كبريانوس وبهذا الكلام كالسلاح
تحصن في الجهاد فاصلح من المجاهدين كثيرين . وما كان ثوابه علي ذلك . لقد كان
عمرًا شريفًا . وذلك انه صار شهيدًا لمن قدمه امامه تابعًا . وجز راسه بالحسام .

وجعل هذا علي كثيرين من العذاب تقدمه الكليلا ۞ فهكذا تقدم كبريانوس الي المسيح ۞
وهكذا انتقل اليه الكبير في الكفر ۞ واكبر من ذلك في القنوت والخشوع ۞ كبريانوس
المفهد العظيم المتوجع معًا ۞ الذي كان عجيبًا في نقلته ۞ ليس بدون ما كان عجيبًا
في فضيلته ۞ لانه حفظ رسم قد تقدم في الخير ۞ ليس هو عظيمًا هكذا ۞ مثل تجديد
رسم في عبادة الله ۞ وذاك في الاول تابع للعاده ۞ والثاني تابع لحصانة الراي ۞
والاول موجود في جماعه ۞ والاخر فعل ما يكون له مثل ۞ الا انه قد بقي شي من اعاجيبه
سبيلنا ان نصبر قليلاً ۞ بالكلام فيه حتي نوفي المجاهد حقه ۞ اذ كان مثل هذه سيرت
الرجل . ومثل هذه سبيل جهاده ۞

فلما هدم عمره ان جاز ان نقول هذا ۞ ولم يكن حالة ذلك سبيلها ان تسمي نقله الي الله ۞
او تمام شوق ۞ او حل رباط ۞ او انفصال عن ثقل ۞ والامانه في اثر ذلك عجيبه ۞
ها هنا مضاهيه لما تقدم ۞ وكان اسم كبريانوس كبير عند جماعه . ليس هم النصاري
وحدهم ۞ بل والمخالفين ۞ لان الشي الحسن عند كل احد بالسوا مكرم ۞

الا ان جسمه لم يكن ظاهرًا ۞ بل كان الكنز مستورًا عند امراه من المتهيات
بالخشوع ۞ وكان ذلك في مده طويله ۞ اما لان الله اذا اراد الزياده في تكريم وليه ۞
فتمسك بذلك بشهيده ۞ واما لانه اراد ان يمتحن شوقنا ۞ اذ كنا لا نصبر علي
الخسارة بفقد ناجثمان القديس ۞ لانه علي كل حال لم يصبر الاه الشهدا علي ان يكون
هذا الخير لواحد خاصًا ۞ ولا تخص الكافه بالامتنان علي واحده ۞ فاشهر جثمان
القديس بوحي اوحاه الي امراه من هن للكرامه مستحقات ۞ ليتقدس والنسوان
فيهن قديسات بحسب ما صرن في الاول للمسيح والذات ۞ وللحواريين بعد قيامته
من الاموات مبشرات ۞ وكذلك صار ها هنا واحده لكبريانوس مبينه مظهره ۞
واخري معطيه لهذا النفع المشترك مسلمه ۞ فهذا كان من محاسنه اخيرًا ۞ وهكذا

اخرج

اخرج الي الظهور وسطا • من لم يكن للستره والخفا اهلاً • ولم يسمح له ان يتفلسف في شرف ذاته • فهذا مقدار ما كان له منا • ولست اعلم ان كان سبيلي ان اقول الكثر من هذا • الا اننا ولو اطلنا في الكلام • فلم نقل شيا يصل الي مقدار ما يستحقه الرجل • وما يعتقده كل احد فيه • الا اننا ذكرنا ما ذكرناه بحسب ما اوجبه الشوق منا الي ادي الفرض من كرامته •

واما الباقي فسبيله ان يضاف من جهتكم • متي تقدموا وانتم شيا للشهيد • وتذكروا التطهير من الشياطين . وانحلال الامراض من كبريانوس • وسبق المعرفه بما سيكون • فان كل ذلك مما يقدر عليه من كبريانوس • ولعظامه الرميمه مع الامانه • بما قد يعلم ذلك مجربوه • الذين اوصلوا الينا العجيبه • ويوصلونها فيما بعد الي الزمان الاتي • بل قدموا ما هو اجل من ذلك . وهو ما يليق ان يقدمه من هو له من المكرمين . وذلك حط الجسم ورفع النفس • والفرار من الشر • والزياده من الفضل • فالابكار يقدمن كونهن في الجسم كمن لا جسم له • والنسا فليقدمن الحريه • وزينة الفضيله الكثر من زينة الجسد • والشباب فليقدموا الشهامه على الاعراض الرديه • والشيوخ فحسن الراي • واولوا القدره فحفظ الناموس . واهل الجند يه الدعه • وذوا الكلام فصوابه • ومع ذلك فان رايتم قلت شيا مما يخصنا نحن •

وهو ان تقدم الكهنه الصدق في سر الخدمه • ومن كان من الرعيه فليقدم حسن الطاعه • وذووا الحزن فليقدموا السلوه • واولوا الرجا فالخوف والجزع والاغنيا فالبذل • والفقرا الشكر • والكل فالمناصبه للضطهد الشرير المر • حتي لا يرجم وهو ظاهر • ولا يومي وهو مستور • ولا يقاتل كالظلام • ولا يلعب كانه ملاك ضو • ولا يشوق الي هواه الردي • فما اصعب الاسر بالالحاظ . واشد الجرح من اللسان • والخديعه من السماع • والحريق من الغضب اذا التهب •

والسقطه من المذاقه • وللاسترخا من اللمس • وان الواجد السلاح الذي كان
سبيله يستعمله للخلاص • سلاحا يورده للحمام من حيث كان • سبيلنا ان •
نتخلص بمحن الامانه • ونقف امام خدع الشرير • حتي نصير مع المسيح غالبين •
ومع الشهدا مجاهدين • ولذلك الصوت سامعين • القايل هلموا يا مباركي ابي رثوا ما اعد
لكم من الملكوت • حيث مسكن المسرورين اجمعين • والصفوف التي لا ينتقص لهم دور ولا
وصف حيث نغم المعيدين • وصوت الجدل وضيا اللاهوت النقي الكامل • التي التمتع الان
بها تمتع كالخيال والفي والرمز • فبمثل هذه الاشيا يفرح كبريانوس اكرم من ساير الاشيا • اذ كان
بمثل ذلك . قد كان يتفلسف في عمره وبه يامر • وهو ناطق بالصوت منا الذي ما سبيلكم ان
تطرحوه ان كان صبر ذلك الرجل وجهاده عن الحق ما هو لكم علي بال • وكنت انا ايضا الراغب
اليكم فيما هذه سبيله ممن لكم فيه فكر •
فهذه لك يا غرة الاهيه طاهره المقدمه من اقوالي . وهذه الكرامه عن اقوالك وجهادك •
وليس ذلك اكليلا مضفورا يجازي به اللاعبون في الحلبات • ولا تفاحا مما كان يلعب اهل
دلفوس • ولا صنوبره مقلده • ولا كرفس باما وما كان يكرم به الاحداث المتحرشون البايسون •
بل ذلك كلام هو اخص الاشيا بخدام الكلمه واوليايها • فان كان ذلك بحسب استحقاق
جهادك وكلامك • فالمنة للكلمه . وانت فتطلع من العلو متعطفا والعمر ممشيا وهذه
الرعيه الطاهره • اما تكون لراعيها مشاركا • ولغير ذلك من احوالنا مقوما . وبحسب
الامكان الي الافضل من الاشيا قايدا • ولهذه الدياب الثقيله دافعا • الذين يتشبثون
بتصيد الالفاظ والحروف • ولضيا الثالوث المقدس الذي انت واقف امامه •
واهبا علي كلامه • بتايد في كماله وبهايه • وذاك هو الذي نسجد له •
ونمجده • ونسير سيرته معترفين لاب وابن • ولابن بروح قدس •
وقدامه فنسل ان نقوم فيما بعد اطهارا . وللعثرات •
مستقبلين براآء وننال منه بالكمال كاملين بربنا •
المسيح الذي له المجد والكرامه والعز •
الي الادهار •
امين •

الميمر الثلثون

لابينا المعظم في القديسين غريغوريوس التاولوغوس النازينزي مديح في القديس غريغوريوس التاولوغوس الفاضل قاله سميا له من اهل الكبادوك جمعه من ميامره ومدحه بها بعد وفاته

ان غريغوريوس الجزيل فضله . المنسوب الي الكلام في اللاهوت . يدعونا ايها الرجال الحاضرون الي وليمه من الكلام روحانيه . وقد قدم فيها ذاته طعاما مطيبا . لا هيولي له . ونعيما يفوق علي كل الاغذيه الفاسده . وربما يجب ان تعجبوا من خروجي الي مثل هذا المقدار من التهجم . حتي اني تناسيت ضعفي وجسامة قدره . اذ كان الي وقتنا هذا مكرما عند كل من عرفه بالصمت ولا استبان ولا واصف من الواصفين يصف سيرته . ويعملها بنظام وترتيب يوصل به ما احكمه ذلك الرجل من المناقب الينا . الذي اتينا فيما بعد . كما عمل هو فيما خبر به عن باسيليوس الكبير . وقوم من الاساقفه والشهدا المغبوطين . وجعل معتمده كله ايضاح سيرتهم . ولكن اول اعتذاري . انه ما امكني مخالفة والد كريم . وهو هذا الجالس هاهنا فيما بينكم . لما طالبني بالكلام . كالمطالبه بالدين . وانهضني الي مديح غريغوريوس الالهي . انها ضالا يقا بابوته وسودده . وامرنا بطاعته . وتوعدنا انه لا يفرح عما امر به . وطلب مني ذلك . مكافاه عن ولودته اياي وتربيته . وبعد ذلك فلم يجز عندي اهمال فضيله تزيد علي الوصف . اذا بينت في العالم صرت كثيرين في التشبه بها . وان يترك شيا حسنا يدبل ويبخل . بل يتجدد بالكلام كل يوم .

نهات نترك التلوم . والكلل المتكلم في اللاهوت . بمقدمة اقوالي التي انزلها . ما يجتني من الثمار في اوايلها . وان كانت دون استحقاقه . الا انها لن تنقص عما يصل

(تشبيه حلو)

اليه نشاطي . وعلي حسب ظني . ان الرجل اذ كان في كل احواله كاملا . فلتتنازل الي
هذا . وهو قبوله المديح مني . اذ كانت مناغات الاطفال محبوبه عند الوالدين . وما
يبرز من قريحة لاصناعه لها يزيد علي الكلام الثقيل في الكمال المنمق . والفاظ
الفصاحه المفخمه . ومع ذلك فان الرامه بالكلام اشد الاشيا اختصاصا . اذ كان
علي راي تيدرس . من شان الانسان ان يصبوا الي ما يخصه ومن يلتذ بشي فحتي ما
اكرم به فمن الواجب ان يطرب به ويوثره . واذ كان هذا الرجل في مدة حياته
في الجسم . قد اختار صناعة الكلام علي ساير القنيات . واشتمل علي الحكمه وعشقها .
فحفظته هي علي ما قيل في كتاب الامثال . فكيف لا يجنح الي ما كان منسوبا الي هذه الصناعه
بعد تخلته ما هاهنا وانصرافه عن الحاضرات الي الحيوة النقيه القريبه من العقل .
ويتباها بالاقوال ويفرح بها اكثر من فرحه بها هاهنا . لاني اسالكم يا معشر هذا
الموسم الجليل . لا تستفحصوني عن ذكر مناقب ذلك الرجل وكثرتها في الاستقصا .
فان هذا في الاول مما ليس في طاقتي ان اعدكم به . ولا يجب ان تطالبوني به . وبعد
ذلك فلانه لم يخلف لنا اخبار احد الناس مكتوبه . وانما جمعت انا اخبار من
اقاويله . التي كان ذلك مزروعا فيها . وشابهت الذين يجمعون الحجارة . اذ من
شانهم اذا جمعوا الفصوص علي صغر اقدارها . ان ينظموها كلها في تفصيص البيت
فيصير له تماما واحدا . ولا ابتدي بالقول فسبيله ان يكون اليق الاشيا بما يبتدي به .

وهو ان وطنه كان بلد الكادوك الثاني المعروف بحسن العباده والخيريه والجوده .
ومدينته كانت نازينز والتي صار ذكرها شايعا من جهته مشهورا . حتي صار
فخرها من اجله متعارفا في اقطار المسكونه . وذلك ان مدينة بالي ما تكاثر
فخرها من اجل اسكندر . ولا علا شرف بلد الفرس من اجل كورش . اكثر مما
علا سمو هذه وزاد شرفها من اجل غريغوريوس . حتي اني اعتقد انه قد
وفاها حق تربيتها . لاجل فضيلة هذا البار حصلت متعارفه بالسوا عند

الهند

الهند والابرطانيه. وهما بلدان متقابلان متباعدًا شديدًا علي خط قطرهما.

واما اباواه فكانا اشرف اهل الوطن صديقين صسيبين متصليين بطهارة النفس اكثر من اتصالهما بمقارنة الجسم. فلاب منهما كان بصورة ابراهيم. قد تخلي عن ارض ابايه واوتانه وصار ناقلاً الي حسن العاده. وترك ديانة الانتيسطاريه. وضلالتهم. وظهر نذيرًا صادقًا بالنعمه داعيًا الي سرها. وكان في الاول خاروفًا. ثم صار بعد ذلك راعيًا حادقًا. متقدمًا علي كنيسة نازينزو. واما والدته فكانت طاهره ومن ابا واجداد طاهرين. منهم ورثت حسن العاده مع غيرها من المحامد. وعند ارتياحها الي ولد ذكر. قدمت طلبه الي الاله المعطي هذه الاشيا النفيسه وما ناسبها. متضرعه في ان تنال ما اشتاقت اليه. فيالها من امانه. ويالها من حرارة. اذ وعدته قبل حبلها ان تقدم له ما املت حصوله لها. كما قدمت حنه صموييل. فما الذي صنعه من يعمل مراد من كان خايفًا منه. ذلك انه ارها في رويا الليل الصبي العتيدان يحبها. وبين صورة الصبي وتسميته. فلما ولد اقرته لله. ليس بعد مده طويله بنشاط ايمانها. وغلبت امخاض الامهات وصغر نفوس النسا. بكبر نفسها في جزالة عطيتها. فاما الصبي فتربي باخلاق ابويه. وغلب بحسن حظه في طباعه اقرانه غلبًا بالغ فيه الي غايته. حتي ان صغر سنه لم يعقه عن الوصول الي اخلاق الكاملين والي ما يتعلمونه. وتجنب ما يستعمله الصبيان والاحداث من اللعب والهزل والمزاح والسباق والمدافعه في الجري. ورفض ذلك بجملته اذ كان لا فايده فيه. وقد يشغل عن الحرص في المناقب المفضله. لان الشر قد يقطع اقتنا الفضيله اذ كانت النتانة الحاضره من شانها ان تزيل نسيم الطيب.

فلما صار حدثًا وملكه عشق العلوم جا الي مدينة قيساريه ففاوضفيها

الافاضل من المودبين • وجمع منهم من الادب ما ليس بقليل •

وسار في البحر الي بلد فلسطين لارتياحه الي علم الخطابه ليتادب بحسن العباده • لا ليستعلم خلق اهلها •

ومن هناك توجه الي مدينة الاسكندريه التي عند المنارة ليعرف مدنا كثيره • وبصيرة الرجال الكثيرين ليجمع منها حكمه • كما قال احد الحكما • فلما قطف منها منفعه جزيله •

سار الي مدينة اثينا ام الكلام في العلوم في سفينه من بلد اخنا آس • وفي مسيره فيها في اللجه المعروفه ببرتانيون في وقت اضطراب لا يتيسر فيه اصابت المسير في البحر • فهاجت علي غفله ريح شديده اوردت العطب الي النفس • نفطا الظلام البحر والجو والسما • ولم ينقص شيًا عن الضربة التاسعه التي ضرب بها اهل مصر قديمًا • واذ كان من في المركب ينتحبون علي موت الجسم • كان هو جزعًا من هلاك النفس • لانه ما كان قد اختتم بالمعموديه • وقد سبق الموت في الما • الخلاص الكاين من ما المعموديه •

فماذا عمل ذلك الرجل المعظم . الذي كان قد صور ذاته بالصدق • قبل عادة ولادته • وجرح قلوب السايرين معه بضروب صراخه وعويله • حتي انهم تهاونوا كلهم بما لحقهم • وساعدوه في مناحته • ثم انه اذكر الله عز وجل بعجايبه التي عملها بمصر وفي القفر • وفي مواضع اخري من الارض والبحر • مثل شقه بحر سوف ثم اعادته الي حاله • وكيف انبع الصخره • وحلي المراره من الما • واماته عماليق بيدين لا سلاح فيهما معروفين بالصليب • وهدم اصوار

مدينة

مدينة اريحا من غير منجنيقات ⸰ وخلص نبيا من حشا الحوت ⸰ وغير ذلك مما
تشتمل الكتب الطاهرة علي ذكره ⸰ ووعد انه متي تخلص من شدة البحر ووصل الي ما
يتوق اليه من المعمودية ⸰ ان يجعل نفسه وقفاً لمن يخلصه ⸰ فتناه بصوت تضرعه ⸰
اذ لم يزل متعطفاً بلين طبيعته بسابق طلبات المتوسلين ⸰

فسكن حينيذٍ هيجان البحر ⸰ وانتقلت الزوبعة الي رياح ناعمه ⸰ وتمهد وجه البحر
الذي كان وحشياً ⸰ وكان هو في الخطوب التي ذكرناها ⸰

واما والداه فعرفا في المنام ما عرض للصبي ⸰ وصورتهما صورة الدين ⸰ واي شي يزيد
علي هذه الصوره ⸰ فتضرعا الي الله بالصلوات والعبرات ان يعين من قد شارف
العطب في البحر ⸰ فبعد تضرعهما في الحال ابصرا ابنهما في النوم قد صرع بحتم
جنياً كان قد اشرف عليه بالهلاك ⸰ فلما اخبراه بهذا والداه ⸰ بعد عودته اليهما
وسمعه ⸰ اعترف شاكراً لمن خلصه ⸰ لا ان هذا كان فيما بعد ⸰

واما في ذلك الوقت ⸰ فان شاباً ممن كان سايراً معه في البحر ⸰ وكان شديد الالفه به ⸰
ابصر في الليل في صورة الخطر امه المغبوط وقد ركبت البحر وتناولت السفينه وهي
تجذبها الي البر ⸰ فلما حدث الشاب بما ابصره ⸰ سكن البحر وهدي في الحال وتبادر كل
من كان معه في السفينه بايمان الي الاه غريغوريوس ⸰ واعترفوا بانه معينهم ⸰

فاي شي ينقص هذا عن الاعجوبه الجاريه علي يد ايليا الكبير ⸰ لما قاوم مدينة صيدا
وجنونها بالاوثان فافني الذبيحه بنار غريبه سماويه ⸰ فاستمال آل اسرايل الي
الايمان بالله الحقيقي حتي تعجب الشعب من ذلك ⸰ وقالوا هذا بالحقيقه هو الاله
الرب الاهنا ⸰ فعلي هذا المجري امر غريغوريوس ⸰ لانه عند الخلاص الذي لم يومل

قوبل كراس ١٢

من تسافق الامواج ، اقتاد التي كانت الضلالة المختلفة قد استحودت عليهم الي
سبيل واحد وهدايه الي الايمان ،

فلما وصل الي بلد اللاده وحصل في اتينا الشريف اسمها ، ماذا ينبغي ان يقال في
مقدار ما قيل به هناك ، من الفرح والجدل ، وذلك انه من اول امره لما اختبره
المودبون والتلاميد ، علموا انه مقدم فاضل في العلوم ، ولما كان حين لم يكن
كثيرًا ، قدم باسيليوس الكبير من البزنطيه الي اتينا لاجل المساواه في التاديب ،
فتخالطا جميعًا في الماكل والمسكن وحصل من اقترانهما وانطباع احدهما مع صاحبه
ما لا يتيسر شرحه في انتفاع كل واحد منهما بذلك ، وذلك ان من يكون وحده
ولو فهم شيًا ، فمن شانه انه لا يثق بنفسه ، فلا يزال يطوف طالبًا من يحقق
عنده ما قد فطن به ، واذا امتزج اثنان في شهوه واحده من الادب ، استبان
منهما ان احدهما يعضد صاحبه ، فيكون من وجد الجزو من العلم ، ومن ثبت له
حقيقته قد جمعا الفايد في انفسهما ، واذا احدقت اسباب الوصف ، قلت انهما
كانا روحًا محسوسًا . لانهما كانا نيرين بامانه واحده وعاشقين من الفضيله ما
اتفقا عليه وكان سعيهما متفقًا . كانهما حراثين او اكارين بستان بنشاط ، بقوة
متساويه . ارض الحكمه ، ويحصدان منها الثمر الكثير ، واما الشجاعه والصبر علي المكروه ،
فكانا قد قاربا ان يزيدا فيهما علي اقرانهما اجمعين ، والحداثه في غير هذين فقد تكون
كالمهار من الخيل تتفزع من الفقعات والافيا ، علي هذا القياس تستصعب ما يرد
عليها وتغتم له ، واما هذان فكانت الشبوبيه فيهما بخلاف ذلك ، لانهما كانا ثابتين
بعسر حركتهما الي ما يوشك ان يتجدد كونه علي غفله ،

حتي لما ادركت بلد اللاده زلزله لم يرعهما وابانا عند كل من هناك كبر نفوسهما ، وانهم
اهل لما ذكره داوود النبي اذ قال ، من اجل هذا لسنا نخاف اذا ما اضطربت الارض ،

واحكما

واحكما ضبط الهوي منذ حداثة الجسم . واكتفيا بما لا بد منه كايليا ويوحنا الذي كان يعيش من اطراف اغصان الشجر . وامتنعا عما فيه نعيم ومداراه للبطن . قايلين للذات عليك السلام .

وماذا عسي يكون قولي في العفه التي حفظاها طول عمرهما طاهرين نقيين لله . حتي انهزم منهما ذلك المعروف بكسانوقراتس والمسمي بلامون . فاحدهما اضطجعت معه زانيه فلم يتحرك اليها . والآخر فكان يهرب منه كل من في الحانات من الزواني . لا اقلهن مراعات من صرامة الفيلسوف كثيرا .

واذ كان هذان الرجلان قد احكما من الفضايل ما ذكرناه في الغاية القصوي . فهل كان اهتمامهما بالعدل وعدم القنيه دون تلك لا البته . بل قد كانا في هذه الجهه متشبهين بالارشيبداس لا يبتاعان بالفضيله اموالا . ولا يجعلان الفلسفه صناعه باجره . بل كانا مخبرين مجانا للكل بالسويه . يهربان من تكاثر القنيه ومن تناقصها ايضا . ثابتين في حدود الخير . وكانت زيادتهما في عدم القنيات زياده فاقا فيها علي زهد انيستانس وديوجانس وقرانيطس . حتي حصل ما تباهابه اوليك من هذه الجهه عندما استعمله هذان لعبا وهزلا لانهما كانا تساويا بهم في التهاون بالقنيات . ويزيدان عليهم باطراحهم التجبر والعجب . وهما شيان كانا قد ملكا الكليتين العجيبتين الذين كانوا يفسدوا لطافة الفلسفه بالتعالي علي نفوسهم قدام العامه . وبقلة اكتراثهم بباقي الناس .

واما دقة العقل فماذا ينبغي ان يقال فيها . وقد كانا جعلا عمرهما كله في قنيتها شوقا لا ينتهي . ودرسا متصلا . يبحثان عليها ما تلا الليل النهار بحث من يحتفر طالبا كنزا بحسب ما قال ايوب المغبوط . لان هذين الفاتكين كانا قد

علما علما يقينا ان ما يقرضه الواحد من التعب في الدرس . يستوفي في مداومته قوة في كثرة معرفته . فعلي هذه الجهه حصلت احوالهما تزيد في حسن شرفها علي جماعه من القدما . بتعب . وحسن حظ من الطبيعه . وباجتهاد في الحسنات وحدها .

واما علم النحو فلم يبقي ولا صنف منه عنهما مستترا . لا علم الاعداد منه . ولا معاني الاشعار ومعزاها . ولا الاطناب في الاخبار . ولا تهذيب اللفظ البليغ .

واما الخطابه فتلقطا من زهرها حسن العباده . وتحايد الكذب منها .

واما الفلسفه فما كان منها في اصلاح الاخلاق . وما كان منها في الارا . والقياس . والمعرفه بالطب وقياساته . فلم يصلا من ذلك الي ادب مطلق حتي فضلا فيه علي العامه فقط . بل وصلا فيه الي منزلة مودبين والافاضل من المعلمين .

واما علم الموسيقي فتعلما منه ما كان قديما منظوما فلينا من ذلك من النفس قوتها الغضبيه وسواجانها . واما ما كان منه موديا الي اللذه فانفداه الي مواضع اللعب والهزل .

واما حساب الاعداد وتعديلات الهندسه ووضع النجوم وحركتها . فتادبا فيها تادبا صارا فيه . بصورة موسي ودانيال جديدين . ليس لانهما انقادا اليها علي اكثر الاحوال . بل لانهما استاسرا كل خاطر ومعني . بحسب ما قيل في الكتاب الي طاعة المسيح . وجعلا هذه جمالا وحجابا للحكمة الاولي . وخاصا علي ما جا في القول علي جميع الاشيا الفاضله والرديه . حتي يهربا من

آثرها

اشرّها ، ويختار افضلها بعميم درايه ، واني لامدح الذي قال ، وان كان واقفًا
خارج من باب دارنا ، ان المعرفه بشي من الاشيا التي ليست حسنه ، ليست مطرحه
بل قد يعرض ان تكوّن منها شفا لمن لا يقبل ما يُقال بحسد لكن بموالاه ،

لكني ماذا اقول يا خلاني فيما لحقني ، لان الكلام لما برز الي الوسط اختلس قايلهُ
كما يجذب الفرس للفارس ، فاقامه في مديح باسيليوس المغبوط ، ولكني امسك
قليلا ، واضبط الكلام باعنّة الصمت ، واضبط الجسارة عن الاندفاع الي ما
قدام ، وذلك ان الذين يرتادون الي ما يفوق قوتهم من شانهم ان يخيبوا مما
هو دون قدَرهم ،

لان باسيليوس لما اتجر التجارة النفيسه انصرف الي منزلهُ ،

واما غريغوريوس فتمسك به التلاميذ من اهل اثينا تمسكًا شديدًا ، فلم
يطلقوا لهُ المسير ، وسالوهُ ان يودبهم ، وتضرعوا اليه ان يقبل كرسي
الحكمه ، فلموضع ما اثر من ارضاهم اقام قليلاً ، ثم عاد فيما بعد فسال لكل من
كان هناك من اصدقايهُ وحقق لهم ان الضروره تدعوه الي العوده الي
والديه ، لانه كان قد اقام في تعليم العلوم ثلاثين سنه ،

فبهذه الحال سلّم ذاته الي وطنهُ ، واخذ في الاول المعمودية الالهيه ،
وقد كان قبل ذلك بالقوه منيرًا ، وجعل علي نفسه حدًّا الّا يحلف يمينًا
ما دام في هذا العالم متصرفًا ، وحفظ ذلك الي اخر عمره ، ثم قضيّ الشوق
من والديه واصدقايه عند ارتياحهم ان يستمعوا اقوالهُ ، ولم يكن لهُ هو
احتفال بهذا الامر ، ولما اشاروا عليه بالتقلب في الشرور العاميه ،

والخاميه، لانني بهذا الاسم آسمي المباهاه في الهيولانيات، لم يقبل، بل اشار علي نفسه ان يقدم ذاته لله كما وعده، حين لحقه العطب في البحر، وان ينفصل عن العالم، ويقترن بالطهر الاطهار وحده، ويناجي الكتب الطاهره، ويجتذب من هناك نور الحق،

واذ فعل ذلك اكمله، واختار ان يكون متوحدًا بدلاً من عالمي، وزاهدًا في القنيه لا متمولاً، وقد رآ المسيح دفعات رويا بينه في النوم، وفي تلاوة الليل، كما قال الكتاب الطاهر، وهذا حصل له مكافاه علي طهارته، اذ قال الكتاب، الطوبا للنقيه قلوبهم فان هولاي يشاهدون الله، والطاهر الذي ذكره الرب فهو هذا. مثل ما كان غريغوريوس الكبير،

لانه ترك المدن والاسواق والمقامات وصلف المغالطين وعتو الروسا، وحيف القضاه، ومباراة المتحاكمين، وكذب الخطبا واغتيال السراق، وشوق التجار، وخلق الماخوريه وصلف الاغنيا، وحيل المحتاجين، والشبع الزايد والسكر والشرف الزاهر، واللباس الحسن، والاواني المعموله من الذهب والفضه، والمنازل الحسنه المفروشه بالواح الرخام المزوقه بالفصوص وغير ذلك مما يكدر نقا القريحه، ولا يفسح للنور الصافي النقا في الدخول، فهذه كانت عندنا حالة غريغوريوس في حداثة سنه،

فلما قدمه ابوه الي الكهنوت وانتدبه قسيسًا، وما اجاب الا بتكليف وصعوبه فماذا فعل،

انصرف من الكنيسه فاراً من الهموم التي تجاذب العقل، وصار الي بلد البنطس،

وحصل

وحصل مع باسيليوس الفاضل متفلسفًا، لان تاديبهما كان معًا، وكانت مدة انفصالهما
قريبه، ثم عاد احدهما الي صاحبه، وكانت تدعوهما الي ذلك المشاركه في الاخلاق،
وما ظنه كل واحد منهما الصاحبه، حتي ان فيهما تم ما قيل، حيثما كان اثنان او
ثلثه منكم علي اسمي مجتمعين فهناك انا فيما بينهم، فطال مقامهما يزنان الفضيله
بالمحاكه، ووضعا فرايض في النسك للنساك المحبين لله، المنصرفين عن العالم،
تزيد في محبة السلم علي فرايض لنفورغس، وعلي حدود دصولن في تهذيبهما،
وعلي رسوم مهينوس في عدلها، بل سبيلي ان اقول في هذين الرجلين ما هو ارفع
من هذا، انهما تشبها بموسي، فكانا مستورين بالغمام، وبانصرافهما الي الجبل عن هذا
العالم المزعج، وابعادهما ذاتهما منه اشترعا الفرايض للناس،

واما ابوه فكانت الشيخوخه قد اضعفته، والهموم بهضته واضناه نوحه علي
ابنه كساريوس، فما احتمل الوحده، فلم يزل يكاتب غريغوريوس برسايل تشتمل علي
تضرع وسوال في الاجابه الي العوده، فتهيب مخالفة اب كاهن شيخ، وعاد
كارهًا من جهه، ومؤثرًا من اخري، لان شوقه الي السكوت كان يطالبه بالمقام في
البنطس، وغرضه المحمود في رضا والده، كان يقوده الي اجابته، وكان كساريوس
اخوه قد تولي رياسه كبيره وصار مهتمًا بالخزاين، وخازنًا علي اموال الوسط العاميه،
فتوفي في اوان الرياسه، وكان ينبغي ان يرث الوالد ولده، بحسب ما في الناموس،
ويقوم ايضًا بالمطالبات التي يطالب بها المتوفي، فعرض عن هذا، ان حصل
غريغوريوس الكبير في قلقله شديده، وتبادر كثيرين تبادر الكلاب الي الصيد،
وتوهموا انهم يجدوا ما خلفه المتوفي مهملًا،

وكان ابوه قد اضنته الشيخوخه والامراض، لان كان قد بلغ من عمره تسعين سنه،
فلم يكن له طاقه بالتشيع بمجالس القضا فعاد الهم كله علي غريغوريوس، لا ان

اعتقادهُ مرضاة والديه . كان يسهل الصعب عليه لما يومله من حسن الثواب الذي وعذبه من يبالغ في اكرام والديه ،

وكان مع ذلك انشقاق مذهب آريوس قد غرق الكنيسه ، وسايرا ابا رواح الخبث ، وقد نفي جماعه من روساكهنه عن مدنهم ، وسلموا الي عقوبات كثيرة الاصناف . وقبلت فيهم السعايات ، وكانت طوايف كثيره من الكهنه والشعب ، قد حصلت في الصحاري تحت الهوا اشقيا ، لا بيت لهم اصلاً . ولا وصول الي محاكمه الي ما يوجبه العدل في الشرايع ، نظير ما يصل اليه من كان كافراً ،

وكان هذا الانشقاق قد بلغ الي اقطار الدنيا كلها ، الا الشاد منها اذا حصل له تهجم شديد باليد الملكيه والكفر ، وكان الرعاه المهلكون قد خولوا داله فستروا الديب بجلد خاروف ، ودبع علي ان يدفعوا روسا الكهنه المومنين المستحقين للمسيح الكاهن الاول ،

وطايفه من اصحابنا اذهشتهم الخوف ، وطايفه لانت للملق والمداراه ، اذا نهزمت للاقوال ، وانخدع اخرون بسداجية اخلاقهم ، فاقتبلوا طعم الانخداع بشقاق وخديعه ، واتصلوا بالاضداد بشاركتهم ، وبكتابة ايديهم

وكان ابو هذا السعيد واحداً منهم بسداجية همته قد سقط في البلوع ، فاذ لم يحتمل متوحدوا رهبان البلد هذا ، انفصلوا عن مشاركته ، وانفصل معهم من الشعب قسم ليس باليسير ، تابعين راي الرهبان . الذي يجب جداً استصواب اتباعه الذي لا تصنع فيه ،

فماذا فعل خادم الله ، اول كل شي استعطف الله عز وجل بالتضرع والاسهار ما

طال

طال الليل، وساله ان يهب وجها يحل به هذا الشر، وانه ما لا يندمل به جرح الانفصال،
ورسم علي نفسه صمتا عن الكلام. وبين بهذا الحال عبوسه علي ما جري،

ثم وعظ اباه بان يطلب عفوا وصفحا عن عنايته، وان يعترف اعترافا بينا بالحق
ظالما. ويستميل المنفصلين الي المقارنه،

فنهض الكنيسه بذلك زينة وجمالا، وصار محتشما عند الفريقين، عند ابيه وعند
الرعيه العابده لله، وانار الموسم باقاويل السلام، وجمع المشتت المفترق،
وافاد بسرعه الشفا النسيان المرض، وقد كان يقال عن فوانس الذي من اهل
اثينا، انه كان يقصد منازل المتخالفين ويزيل باقاويل السلم ما بينهم من المنازعات،

لا ان هاهنا ما هو اكبر من ذلك، لان هذا لم يكن فعله خاصا يخص طايفة من الناس،
ولكنه افاد الوطن كله الاتفاق عاما والالفه، ولا اعظم من هذا. ان المنازعه
هاهنا لم تكن في اموال ولا في شتيمه، ربما يصد اهلها باقرب الخطا واسهله.
وينفع فيها اليسير من الوعظ،

وانما كان الخلف في باب الامانه التي من شانها ان تساوي بعظم حالها المنازعه
في رايها، حتي ان اقاويل من قد بلغ المبلغ العظيم من الحكمه، بالجهد يمكنه
الوصول الي ايتلاف الارا المنفصله فيها والجمع فيما بينها،

واذ كان شر النصاري وانحلالهم، قد انهم بالتهاون بالله وبوصاياه، وخاض
في ذلك، اقام علينا من كان ماقتا للمسيح ملكا، اعني يوليانوس المغتصب، الذي
حاول ان يغلب امانة قسطنطين الملك الكبير، وفضيلته بما يضاددها، فمن

هاهنا منع النصارى من كل الواجبات، وان كان ما نادى باضطهاد النصارى بامر شايع، لانه لنا الاضطهاد عليهم بهمته صامتا وبافعاله وما اشترعه في منع النصارى من تلاوة اقاويل اليونانيه وادابهم، لان احتمال الله عز وجل سمح بان يزداد علو ذلك العنيد، فلما راه لا يداخله تندم على شره اصلا، صقل سيفه وانتصر منه طايلة كانت اهلاً لكفره، وانتزعت حياته الاعجميه الوحشيه في تخوم العجم،

نشهر حينيذ غريغوريوس الكبير شر ذلك الباطلي وكفره، ويبرد لدى الحافظ كل من سمع قوله قبايح اقاويل اليونانيه المزخرفه، وخرافاتهم العتيقه وضلالتهم بكثرة الالهة، وجعلها عند ذوي العفاف ضحكه شايعه،

لكن ما حاجتي الى التعرض لنسبة مناقب ذلك الرجل العظيم الجليله بكلام حقير، واخرج عما توخيته الى ضده، وذلك في وقت المديح. متى كان يجب ان يصير الممدوح يتتابع وصف ما عمله جليلاً شريفا، وذلك اني اردت ان ابين، انه قد يمكن من يتلوا اقاويل القديس الفاضحه افعال يوليانوس ان يتعجب من كثرة اخبارها ومن حسن نظامها، ويعرف مقدار قوته في الكلام،

وانظروا الى فهم هذا المغبوط، اذا استعمل بازا المستعجب من اختراع ذاك المغتصب الذي امر، الا يتعلم المسيحيون علوم اليونانيه، اقوالاً في الشجاعه موزونه، واشعارا وبيوتا في المدح والذم، وبيوتا يتلذذ بها، واقوالا اخر كثيرة اصنافها تدل على الهجو، وعلى الندب، وعلى كل صورة مصنفه من الكلام،

ورسم في اقاويله كلها. الا الشاذ منها، كل نوع من الادب، واخترع في كل موضع منها

موضوعات

موضوعات في العباده لله ، فيها مديح للفضيله وتهذيب للنفس والجسم ، او كلام في اللاهوت ، اوصلاه ، اوما ناسب هذه المعاني ، ولعمري ان ما كتبه من اقواله موزون فهو قليل ، اقصي به كل فسق ، واستاصل به هذيان الخرافات وشعبذات الالهه ، واثبتها علي ما تستوجبه ، وانشا للنصاري تعليمًا تامًا في حكمته ، متي استبان ان ما افترضه ذلك الكافر لم ينفعه شيًا عند مسدن المسيحيين علي الادب ، بل وقد آمر بالقبض عليهم وبمصادرتهم ، لان الحسد هذه الصوره صورته من شانه ان يضر بالمحسود قليلًا ، اولا يضره ، ويضر من يولده اعظم الضرر ،

وقد كان القديس فيما سلف عند مقامه باتينا ، قد شاهد يوليانوس ، وكان في عنفوان شبابه ، ولم يكن قد فوض الملك اليه بعد ، بل كان قصد المعلمين ، فبين القديس عند اصدقايه ، حال ذلك العنيد ،

وسبق فقال ، سيكون هذا الشاب دغلًا ، لا ايمان له ، ولا ديانه ، جانحًا الي كل رذيله ، لانه استيقن ذلك من دلايله واخلاقه ، لان صورته كانت قلقه وضحكه متداركًا ، ونظره متنمرًا ، وجسمه كله يطفر في مشيه ويندفع ، مملوًا نهضات من الجهل ، اقاويله موعبه كفرًا ، وان كانت مستوره بشكل الرياضه ، ولان الاشرار كانوا عنده محبوبين ، والمادحين للفضيله محتقرين ،

واذ رآء فيه هذه الشيمات تقدم فوصف لجماعة من حضر بما سيبدو امنه من سو الطريقه وخبث المذهب ، وذلك ان الطبايع النقيه المتهذبه من شانها ان تستدل علي ما سيكون ، ويحدث بصاحب حدسها وفهمها علي ما يلوح مخفيًا مما سيكون ، الا ان ذلك الشرير اشتهر امره باثمه في باطل ، وما

٢٠٦

خزن لنفسه شيا من الاشيا الاماده لعقابه ٠

واما غريغوريوس ٠ فانه عند ما غارت عصبه من ذوي البدع في الايمان بعد مده يسيره علي مدينة قيساريه ٠ التي كان يتولي تدبيرها اوسانيوس البار ٠ وكانت قد جرت بينه وبين باسيليوس الكبير ٠ وهو يوميذ قسيس متفلسف في بلد البنطس منافره شديده ٠ جزع من غضب الهراتقه ومداهمتهم لعلمه ٠ ان المتقدم لا يقدر علي مصافقتهم ٠ لانه وان كان مهذبا في مذهبه ٠ الا انه كان غير مرتاض في الكلام في اللاهوت ٠

فانفذ الي باسيليوس النير عقله يسله ان يهمل العداوه والمنافره ٠ لعلمه بالخطر الذي اشرف علي النفوس ٠ ويحمل نفسه بجده سريعه الي الكنيسه ٠ ووعده مع ذلك بحضوره ايضا ومساعدته اياه ٠ فادر اسله بهذه الرساله ٠ استمال ذلك القايد الفاتك الي النهوض الي الحرب ٠ فلما ورد وعسكر معه ٠ غاص في قلعة الهراتقه ٠ وقطع اراء الملحدين ونقضها ٠ وشهر معه الظفر والنصر ٠ وهرب جيش المحاربين وانهزموا ٠ وقد شعروا بجبنهم ونقص شجاعتهم ٠

فهذه الفتوح عملها الله عز وجل بخادميه ٠ اذ كان من شانه اذا راى جورا جزيلا طافيا علي الناس ٠ ان ينهض بترافه علي جبلته المكرمه عنده ٠ قوما كاملين الفضل ٠ لتصل منهم الي ذوي النوايب معونه وادب ونجده يسليهم بها لكيلا ينفسد جنسنا ٠ اذ لا يكون له من يعضده ٠ بحسب ما عمل في ذلك الوقت ٠ اذا استنهض هذين الفاتكين ٠ وجعلهما في الوسط ٠ بمنزلة عصا تلقي في لبن ٠ فصما الذي كان بعضهم قد ابتعد عن بعض بعدا

كثيرا

كثيرًا بالشر المختلف والالحاد المهلك الي موده واحده ونظام واحد ٠

ولم يجز في اثنا ذلك مدة طويله ، وانتقل المقدم علي الكنيسه المقدم ذكره ،
الي الحياة المفضله ،

فحصل لغريغوريوس تعب جزيل في مكاتبته الي المدينه ، مكاتبه خاصه الي قوم
من اهلها . وعامه الي جماعتهم ، وحضهم تحضيضًا بعضه بابيه وبعضه بنفسه ،
علي ان يجلسوا علي كرسي رياسة الكهنوت باسيليوس الكبير ، وهذا فكان رايًا صايبًا ،
لانه ما عمل هذه من جهة الميل اليه لانه صديقه ، بل من جهة السياسه
العامه منفعتها لكل المومنين ، وذلك انه قد عرف معرفه بليغه المتقدم
المستحق للروح ، فلذلك ما انفك عما توخاه قبل ان تمم ما استصوبه رايه ،
واوصله الي الفعل ،

وضبط باسيليوس مقاليد مدينة قيساريه ، وعندما نمي الحسد وايثار الرياسه ،
انقسمت رياسة الكبادوك قسمين ، وقد كانت الي ذلك الحين معروفه
بمطرنيه واحده ، وساوي مدينة ثوانه لمدينة قيساريه في القسمه ،
حتي يكونا الاثنان ينظران في امر الضياع والمداين الصغار المنسوبه اليها ، ثم
اعترض الشك فيما يجب علي كل واحد من المداين من الحقوق ، واضطهدت من
هذه الجهه خصومه كثيره كانت الحجه فيها كانها الاهتمام بالنفوس ، والحرص
فيما كان علي زيادة القنيه ومحبة الرياسه ، يلتمسون ان يستر واستقبح
الهمه بمستحسن اللفظ ، فلما تجدد هذا الامر وعدم باسيليوس الكبير ما كان
مخصوصًا به ، هم بان يقيم علي المدينه المعروفه بساسيمه اسقفًا ، حتي اذا
كان ما جري من الانقسام عامًا ، يداوي من هذه الجهه ما ناله من الخسران من

جهة اخري ، ومع هذا يكثر في البلد الاساقفه ، ويزيد الاهتمام بالكنايس ،

فما اعتنى لراي باسيليوس احد اوفق من غريغوريوس ، ولا اقوي عزمًا في الانتصار للاسقفيه التي ابدعها جديده ، فشاور في ذلك والد غريغوريوس العجيب ، فقدمه الي الشرطونيه غصبًا وحصل له تمام العمل ،

فاما غريغوريوس القديس فكما قلنا غير مره ، انه كان غرضه السكوت والتخلص من اشيا العالم ، فاغتم واستثقل ما جري ، مستشعرًا ان الامر الضروري اللازم ان يصغي الي نفسه وينفرد عن العالم ، وقد كانت مدينة ساسيما العمري غير ملايمه له ، لانها كانت مملوه من قلق المدن وجلباتها ، موقعها في وسط طريق العامه الملكي ، فيها مواقف الخيل المرسومه بالركض في حوايج السلطان ، تظن بهفيف المجتازين واجلابهم ، تغم اصحاب السكوت غمًا جزيلًا ، لا يصل الي ساكنها من المنفعه ولا اليسير منها ، فاذ راي فيها ما وصفناه ، هرب الي دير مرسوم بالمرضي ، فكان يسكن صعوبة المرض عن السقمي بخدمته ايام ، وبالاقوال التي ذكرها الاباني الصبر ، ويجعل الارتياض في الازمان فلسفه ، ويقال ، انه ما اكمل قداسًا ولا سام احدًا ، ولا عمل عملًا غير هذا من المالوف عند الاساقفه عمله ، لكنه معما او ندب افتكر في الهرب ،

واما ابوه فكان يسله كثيرًا ان يشارف احوال مدينة ساسيمه ، فاذ خاب ما توخاه ساله سوالًا ثانيًا ان يتقلد الاهتمام بكنيسة نازينز وابدلًا منه ، وسواله هذا السوال ليس بملاطفه وموعظه فقط ، بل وغلظ سواله بلعن برز من تفجر الشيخوخه ينا له ان خالفه ،
واما هو فمع ايثاره لنفسه اجتناب مكابدة الهموم ، ايقن ايضًا ان قبوله من

ابيه

ابيه ثواب عظيم ، فقال له . يا ابي الجليل ، وان كان ما قد امرتني به صعبًا علي ،
فلست مع هذا امتنع منه لجلالة قدرك عندي ، فانا اقبل الاهتمام بمدينة
نازينزوا ، لكن فليعلم فهمك الطاهر المحب لله ، انه ما يمكنني بعد فراقك
لهذا العالم . ان اضبط الكنيسه ،

وعارض ابوه كلامه وقال ايها الولد ، كن لي في حياتي عصا تعضد شيخوختي ،
وتشدد انت بصلاة ابيك ، وبعد وفاتي دبر امورك بحسب ما تؤثر وترى .

فاذ سمع هذا الكلام لبث يخدم اباه في شيخوخته خدمه بليغه ، لانه
كان قد قارب المايه سنه ، وكانت امه في السنين انقص من هذه الجمله قليلاً ،
وكانا يحتاجان الي ما يوجبه الحال ، خدمه كثيره وملاطفه مرضيه ، وخاصًا
وقد كان كساريوس قد انتقل من العالم ، وغرغونيه اخته الجزيلة البر في
النسا ايضًا قد انصرفا جميعًا الي الحياه التي لا تشيخ ، والي النعمة السابغه
التي لا منتهي لها ، فاكرمهما باقوال رثاهما بها ، وبقي هو وحده سلوه للشيخوخه
ودوا للمرض ، وخلفًا للوالدين . في حسن عبادتهما ، فاضلين ، ان لم يكن هذا القول
مستعظمًا ، وفخرًا لاجداده ، في الشرف كافيًا ، حتي يكون ذكرهم دايمًا ثابتًا ، ما
ثبت العالم ، ومن راعي حال اهله مراعاة . اكرم عند الله من مراعاته ، وساس
منازلهم بعلم وحب الله سياسة خازن فاضل ، يعطي كلاً من انسبايه واصدقايه
وغلمانه ، ومن كان غريبًا منه ، ما يلايمه ويحتاج اليه ، واما سياسة احوال
الكنيسه فجري فيها علي هذا المجري ، وهو ان رعايته اياها حصل موقعها عند كل
عرفها موقع المسطره المعتدله ، وقد قيل في كلام بولص الالهي قول ملايم لهذا
المعني ، وهو ان الواحد الذي ما عرف سياسة اهله ، فكيف يهتم بكنيسة الله
جل وعز ، وذلك من ادب واحدًا ، يفهم فهمًا لا خفا به ، ان ذلك قد خلص

منزلاً ومن ساس منزلاً فمن شانه ان يسوس كنيسه ، ومن دبر كنيسه امكنه ان
يدبر مدينه ، لان المنزل هو مدينه متضمنه ، والمدينه لعمري احاطتها بالمنزل
كامله ، والعلم بهذه الاحاطه من شانه ان يخلص كثيرين وقليلين ، او واحدًا ،
وهذه الاقسام اختلافها ليس هو كل انسان وفي كل شي . لكن ذي الكميه وحده ،

ولما انتقل غريغوريوس ابوه ، لان هذا الاسم كان اسمه ايضًا من العالم ،
اكرم اباه باقوال رثاه بها ، وامتدح امه يونه الوادة لله في حياتها ، وعمل
ذلك عمل الابرار اللايق بمن يحب اباه وامه ويود المسيح ، وعضدها في ترملها
وعلوسنها عند احتياجها الي المراعاه والراحه .

وانصرف من الكنيسه بعد وفاتها وذهب الي سلوكيه ، واقام في دير تقله
الكامله طهارتها ، ومنع اهل نازينزوا بانصرافه عنها وقتًا يقيمون لهم عليها
اسقفًا ، ولما عاد اليها ، كان حاله فيها شبيهًا بحاله في غيبته عنها ، اذ كان
لم يتقلدها تقلد من يرعاها ، وقد تضرع اليه شعبها بدموع غزيره ، فاجاب الي
سوالهم ، لكنه تبت لا يخيفه تضرعهم ليس بدون شجرة البلوط التي لا يهزها
مواقع الرياح ، وما كاده ان يفوت حاسيه ذكري وهو عظيم الشان . ساخبركم
به ايضًا .

ومن شانه ان يورد المديح الي القديس ليس بدون ما نوزعكم انتم الاحسان ، وذلك
ان كل صنف من الخبر قد استبان انه ماثور ، والماثور من يتبعها الي الله تقدس
ذكره .

وذلك ان باسيليوس الكبير لما راء المجدفين اخوتنا يستحقون الترفي عليهم والحنو
عليهم

المجزوميه

عليهم ، وقد قلّ من يتراف عليهم ، وهنزلتهم عند كثير من الناس لنقص عليهم
وشدّة مقتهم لرفقايهم منزلة الشي النجس المدفوع ، وافتكر في امر الطبيعه
ارتاء رايا صايبا اصلاً لمحبة لاخوته ، وابتني منازل كبار واسعه واستجمع
لها من الاغنيا وذوي الاموال مستغلات راتبه لها في كل سنه ، وتقدم
اليهم باقاويل فهمه بابا حتها لهم ، وجمع فيها جماعة المرضي ، وسماها
ديارة المساكين ،

وكان غريغوريوس مساعداً له فيها ، مجتهداً معه في امرها ، ويبين ذلك
قوله في محبة المساكين وما اورده من الحرص مع باسيليوس الكبير في هذا
الباب . وايضاحه ان طعام المساكين وصيه عظيمه في الوصايا جليله ،
اهلاً لعظمة الله وجوده ، لكن هذا الامر انتهي الي هذا المقدار ، الذي من
شانه . الا يتوهم متوهم ان قد بقيت فضيله توازي مقداره بحكمها ،

ولما كان شقاق آريوس الملحد ، قد ضيق علي اهل الكنيسه منذ ازمنه
كثيره ، وقد نقض بيد ملكيه حصون الاتقيا باجتدابه الساذجين الي
الكفر ، واستقرار راي مبدعه ، علي ان الاب لاه كبير . والابن الاه
صغير . والروح القدس خلقه ،

ونشا شقاق حرب الروح بمنزلة راس قد برز جديداً من وحش كثير الروس ،
وكان رايه في باب الابن صايبا قد جعل الكلمه مساوياً لابيه ، وافتري
علي الروح القدس ،

وكان راي اهل هذا الشقاق علي ضربين ، لان الفريق الواحد منهم كان

اعتقادهم جهرًا في الروح انه خلقه . والفريق الاخر فما اعتقده لاخلقه ولا
الهًا . بل جزًا . فلقبهم ذاك الرجل باصحاب النصف من بدعة آريوس .
واخلهم هذه التسميه لايقه برايهم . لانهم اكرموا الابن واهانوا الروح القدس .

فلما استحود هذا الانشقاق علي كافة الرياسه التي تحت ايدي الروم . واشتمل
علي البزنطيه اكثر من باقي البلدان .

انهض الله جل وعز الروح القدس من غريغوريوس التاولوغوس لرحمته . من
تداهلكه هذا التعليم المفسد كما قال الموسي . قد نظرت لضر شعبي الذي
بمصر . ومصر تدعي في اللغة العبرانيين ظلامًا . فدل بذلك الان علي
الظلام من البدع في الدين . وتشبثه بمن اعتقده . وسمعت تحسرهم لانقدهم
نهلم حتي ارسلك الان الي مصر .

وأخذت

فبهذا الامر سير هذا الرجل . وارسله الي البزنطيه . وملاه روحًا حتي
يحارب عن الروح .

فاذ تابع باسيليوس النير الاعظم في الحال نهضه ونشطه للجهادات الروحانيه .
وتضرع اليها روسا كهنه اخرون كثيرون . والمومنون من اهل مدينة
المملكه ان يزيلا السوء عن المحتاجين الي معونتهما .

فحصل في مدينة الملك فقيرًا من القنايا كلها والنعيم والتروه . الا انه كان من
الروح القدس مملوًا فضيلة من كان يناسبه مناسبة الجسم . وحسن
العباده . فصادف الكنيسه صورتها كما قال النبي . صورة خشبه منصوبه
علي

علي جبل، او علامه فوق تل يسيره متيسرًا عددها، منسبه لموضع اختلاف عزها من المجاهد، ووجد الهياكل الجليله قد اختطفها اصحاب ذلك الشقاق، وضبطوها غصبًا، وقد بقية كنيسة انسطاسيا القديسه، وحدها للمستقيمين رايهم، ولعلهم احتقروها لصغر قدرها. علي ما قد عرف ذلك من كان قد ابصر هيكلها العتيق،

(تشبيه جميل)

فصافف من ساعته كصافقة داوود النبي، ورشق بحجارة مقلاعه الاراء الغريبه بصرامة اقاويله، واستعاد الذاله، وكان كل يوم يقتنص كل من عاند الصدق بسو رايه ويسبيهم لله،

فلما سلفت له مدة يسيره، حصلت كثرة الجماعه التي اصطنعها، مقدارها المقدار الذي لم تكن مقايسته توازي الجماعه المعانده للصدق في الاول، بل تزيد عليها، ولعمري ان هاهنا تم الكتاب الطاهر، ان منزل داوود كان ينمي ويعظم شانه، ومنزل شاوول كان ينمحق ويضعف. ولقد كنت ايها السامع تري حسن نظام الذين استخلصوا امتلونًا متقنًا، وذلك منهم من كان قد اصطيد، ومنهم من كان قد شارف ان يقبض عليه، وطايفه منهم قد كملت بالايمان، وغيرهم فكانوا اصيادين ومعلمين ومع هذه الخطوب،

فمن كان يحتمل غيظ اشياع اريوس وحسد الرفقا. الذين سبيلهم ان يعضدوا المجاهد ويجتهدوا معه، فافضي بهم الحسد الي ان استاصلوا ما تلافاه واحكمه، وجعلوا زيادة وسعة اهلها شغله للحسد، واذ لم يستطيعوا ان يظفروا بمن يساويهم، او لم يوتروا ذلك، اجتهدوا في ان تستظهر الرذيله علي الفضيله، ولم يكن هذا الشر قد سكن

بعد . حتى نبع ابوليناريوس السرياني فجدد رايا يخصه رديا . وذلك انه . ما يحقق ان التانس صادق . وعلم بسو رايه اتحاد جسم ونفس غير ناطقه . وبتر التدبير من النفس العقليه . واذ كان من اهل الكلام . خبيرا باداب اليونانيه . استرق كثيرين بتلون اقاويله . وحضر من ساير اصقاع الارض تلاميد ذلك الانشقاق البديع . واجتذبوا الذين لا علم لهم الى الهلاك اجتذاب البلوع للسمك .

فصل القديس ايضا في جهاد صعب الحرب . وكان يوبخ قوما . وينتهر اخرين واقواما كان يحفظهم في الايمان . وجموعا كان يصاعدهم الى حيث لا يسقطون . بحسب ما من شانه ان يعرض في مثل هذه الخطوب . لما حصل الاقرار بالتجسد الكامل .

تدتوهمه الذين لا ادب لهم انقساما اتنين . وعند جلوس تلاميد ابوليناريوس بين الجموع دايما . وتلبهم البار بهذه الاشيا . فرتب الحيله منهم والاذيه . لان النقطه المتتابعه تحفر الصخره . واذ كانت هذه الاشيا وما جرى مجراها عاليه اعلا من ساير اكثر الناس . ممن لم يستطيع ان يفهم معنى عمق التدبير . ايتمنوا عليهم الدياب . والراعي لما ادبهم بالصدق حصل في تهمه منكره عندهم . وكان الذين يتجرون راي آريوس ويعضدونه يرهقون منذ القديم . غيظهم على البار . كما ترهف الخنازير بانيابها . فاعتصموا بالاضطراب . والغرق التاير عليه من المعتقدين راي ابوليناريوس فاهاجوا الجمع باقوال كاذبه .

نرجموه بالحجاره كما رجمت اليهود استيفانوس فيما سلف . الا ان حجارتهم كان رميها غير صايب . لما استر الله البار عنه . وقبضوا عليه . واقاموه قدام موقف خليفة الملك . وانزلوه منزلة مزعج مسبب للهيوج . فتبا للفظاظه .

وترها القوة الكذب ، ان يوجه الحكم علي غريغوريوس من جهة هذه الجنايات
وما ناسبها ، اذ كان الطبيب الرفيق لغيظ غيره من الناس ، وزوال ترتيبهم المنشي
للسلم والصلح ، تلميذ المسيح الوديع ، المتواضع والمسترع للدعه ،

وعند حصوله في تلك النوايب الصعبه الشديده ، اعتقد تلك التعازي ونطق بها
وهي ، من اجل اسمك يا مسيح ان ابحه ، ان اسلك في وسط ظل الموت ، فلست اخشي
الاسوا . لانك انت معي ،

ثم انطلق من هاهنا ملوا من السياط والعقاب ، شاهدًا بغير نوايب الشهاده ،
لابسًا الاكليل بلا جراحات ، وبلغ من الاحتمال فقط الي مقدار صبره ، بنيته علي ما لم
يطلق المسيح ان يلحقه ، واشرف فضله في هذه الجهادات وامثالها ، وحصل عند
كل اشياع امانته ، مشهور الذكر جليلاً ، محسودًا علي مجاهدته بالصدق ، متفخمًا
بفضيلته ، وبهذه الاتعاب الجزيل قدرها ، محتشمًا محسودًا علي كثرة اهل الكنيسه ،

فمن هذه الجهه راي بطرس اسقف مدينة الاسكندريه العظيم ، الذي اقتبل عبارتها
بعد اتناسيوس المفضل ، ان يرسل الي غريغوريوس الكبير رساله يصحح له بها
رياسة الكهنوت علي مدينة القسطنطينيه ، وذكر ان كونه اسقفا لها يكون
من صاحب الراي وواجب العدل ، اذ كان قد احتمل اتعاب مرتبتها ، فيكون كرسيها
جزاء لاعراقه ، ولم يكن قد قدمته منه بشريه ، الا ان اكثر ما فعل هذا
الرجل بالقديس علي غفله ، يزعج ذهني ويبلبل نظام قولي ، اذ كانت صورته
فيما جري ، صورة ثوران الامواج التي تكون جريه ، الثانيه منها تغطي
ما الحقته مما تقدمها ، الا اني اذ قد وقفت في موقف الكلام وقفه واحده ،
لست انتزح عن تمامه متخذًا الاه غريغوريوس معينًا لضعفي ، ناظرًا الي ما

قوبل
كراس
١٢

يخص نحوتكم في بسط عذري ،

كان في مدينة الملك رجل اسمه مكسيمس جنسه مصريا ، وخلقه اعجميا مزتبا لغريغوريوس القديس ، يانيس جديدا . كما انتصب ذاك لموسي النبي ، وكان هذا الرجل فيلسوفا . كلبيا ، والجمه ، والفوطه المخصوصه بالفلاسفه ، قد انتهي تفلسفه الي هذه الاشيا فقط ، وكان لايتارع شره البطن ، وامتشاد القنيه ، والقحه . كلبا لاكلبيا ، معاندا من يساويه في القوه من معارفه . شبيها ببابل الذي سمعنا خبره . فتقدم الي غريغوريوس الراعي الطاهر ، فوعظه ، وانتقل عن اعتقاد عدم اللاهوت ، وحصل واحدا من اهل الكنيسه . حين عيد ولادته بالمعموديه ، وتظاهر بالدعه ، والورع ، وخالط رييس الكهنه بالمسكن والمايده ، وتوهم انه سيكون له كلما يراد من الصدق ، وخادما مخلصا مادحا لاقواله . مسيحيا مناصحا لا طالحا . فلما انحله الزمان دربه ، توهم انه اهلا للمدح . فامضي في الاكليرس ، صيينذ ، وماثل يودمس ، ودرس في الخلاف واستجاش علي معلمه ، واستعمل قسا من قسوس الكنيسه مساعدا له ، وهذا القس فما ناله قط زجر ولاهوان . بل كان في جملة المكرمين المفضلين ، واتفق مع مكسيمس في الحيله والمكيده ، فكانت المكيده المصيره مكسيمس اسقفا للبزنطيه واذكانت هذه الاشيا قد يحتاج فيها الي الذهب ،

فاسمعوا من اي وجه اتجه حصوله ، وذلك ان قسيسا من اهل جزيرة ثاسن قد حضر الي البزنطيه ، وحمل معه اموالا ، يبتاع بها الواحا من الرخام ، وقونيسيه يتجر فيها ، فضبطاه وخدعاه بالوعد ، لان خفة العقل من شانها المسارعه الي تصديق ما يخدعها ، واخذ الذهب مساعدا علي الحيله ، وانفذ الي الاسكندريه واستدرجا به بطرس ان يقبل منهما ، ويرسل رجالا ينتدبون مكسيمس للكهنوت

ويسيمونه

ويسيمونه، فعمل ما سالاه باسراع. اسرع من الكلام، فحضر من مصر الذين يعطون
لاسقفيه، وهذا بطرس فهو ذاك الذي كرس في الاول غريغوريوس، وانتدب
في هذا الوقت للكهنوت مكسيمس، وما استماحه ذلك كتاب القديس لافضليته
ونحره،

فلما جاوا المرسلون من حضرته، كان الوقت سحرًا الذي فيه حصلوا في باطن
الكنيسه، فما عرفوا الراعي بما اعتمدوه، ولا اعلموا القسوس، ولا اهل الكنيسه،
ولا واحدًا من روسا الدوله، ولا الشعب المومن، بل بادروا لوقتهم الي انتداب
مكسيمس وسيامته، فلما سُمعت اصواتهم، حضرت الكهنه بسرعه، واهل
الكنيسه والشعب المهذب، وجمع لا رانقه، لان ساير الاعدا والاصدقا قد
توقد غيظهم علي اوليك، عايدين من سرهم وزيغهم عن النظام، وامري ان
الرذيله اذا لم يحاربها، ربما انهضت الاعدا الي الانتصار لمن يناله مكروه، فلما
انقضت اراوهم من اضطرار رمادهم، لان تهيجهم عجز الجمع عليهم، فكان
ماعملوه في ذلك، اذ اخرجوا من الكنيسه، وذهبوا الي منزل زامر من الزمره وساموا
مكسيمس هناك، وكان لهم اقوام من الشعب مساعدين منجدين، قد اخرجوا من
الكنيسه بجنايات انحرافهم عن النظام، ولعمري ان هولاي وامثالهم ربما فرحوا
بما ينفعهما من تغير الاحوال، واستقلوا من الامور اثبتها وارسخها، واثروا دايمًا ما يتجدد
ابداعه منها، واذ كانت المدينه قد اشتد غيظ اهلها،

من ذا يصف مقدار الثلب والسب الذي دفقوه علي مكسيمس، نعم وقد دموا غريغوريوس
علي كثرة الاكرام والاحسان الذي وصل بها مكسيمس، لانهم اضافوا به هاهنا،
واوردوا المكين في اجتهاد الاجناح، فلما سكن غليان الجمع، فبدو كلامه، قال لهم،
يا ايها الرجال لا تحردوا علي ابيكم، فاني وان كنت قد ظهرت رافقا بذاك، محسنًا

اليه، فحصلت تحت جناية اخري اذلم اعرف سره، فماذا اساه يستحق من
تمتع بالخيريه والمراعاه، فكافاها بضروب الاغتيال والاحتيال، وذلك انه
ما يحصل احد تحت جنايه لانه لم يسبق فيعرف السر، لان معرفة ما سيكون
انما هي لله وحده، ومع هذا فلنا شريعة تامرنا بان نفتح حشا التحنن لكل
الناس، ونحضد المومنين بالود الذي يود به الابا اولادهم، وذلك ان المسيح قد
قال، لست اخرج من يجي الي خارج. ولقد كان عندي ان يكون مكسيمس من اليونانيه
معموداً فايده جسيمه، وان يعبد الثالوث بدلاً من عبادته لهرقل، ولقد كان
عندي مستعظماً انتقال انسان الي الفضيله، وان كان في اواخره قد اظهر المراآه
التي كانت له في اوايل امره، الا ان امتحان ما جري ليس هو الينا، وذلك اننا ما
امكنا ان نغوص في افكار الناس، ولا قد عرفنا ما سيكون، بل قد فوضنا ذلك الي
علم الله عز وجل، وقد سمعتم اننا نحن ننظر الي الوجه، والله يبصر القلب، فبهذه
الاقاويل انقبض الجمع، وتزايدوا علي الامر الاكثر رييس الكهنه.

وكان تاودوسيوس الملك الذي كانه جنسه من اسبانيا، معسكراً في بلد مكدونيا
يحارب اقواماً من اهل المغرب، فاخذ مكسيمس جماعه من الاساقفه المصريين
الذين انتدبوه كاهناً، وذهب الي تصالونيكيه، وتقدم الي حضرة الملك، طالباً
اسقفية مدينة الملك، وذلك انه ما كان له مقدرة من فرايض الكنيسه وحقوقها.
فخطر باله ان يحصل له التكهين بامر الملك، وكانه اختار لا ان يكهن، بل آثر
ان يغتصب الكهنوت، فطردوا من هناك لما طردهم الملك بغيظ وبصنوف من
التهويل شديده،

فماذا عمل مكسيمس، وذلك انه حسب الرياسه شديد المحاربه، سار في البحر
الي الاسكندريه، وبالحيله التي اعتقدها بعينها استرق بالذهب اقواماً من
المختصين

المختصين ببطرس ، واورد علي ذاك قولاً ما يساوي شره . وقال ، اما توصلني
الي اسقفية مدينة المملكه ، والا فما ابرح من مدينتك ، فكادت بشارته تنتهي
الي شر قادح مشهور ، لولا ان خليفة الملك علي الاسكندريه ، خشي الهيج
والقتل فطرد مكسيمس من المدينه ، واستوفي علي هذه الجهه ما قد استوجبته
تهجمته .

ولما دعكت غريغوريوس كثرة الاتعاب ، واضجرته ضروب الاهتمام ، عزم علي
الذهوب الي منزله ، وخاطب الشعب بكلام الوداع ، ووعظهم واشار عليهم
بحفظ الامانه التي اقتضبوها ، وحضهم علي عمل الفضيله التي اراهم اياها
بعمله وقوله .

فلما سمع اهل الكنيسه والشعب اقواله في هذا المعني ، بدا من جماعتهم صياح واحد
وعويل متفق ، منتحبين علي انصراف راعيهم .

وكنت ايها السامع تري منظراً يرثي له ، وكنت تبصر الرجال والنسا ، الشباب
والشيوخ ، اهل الكلام والذي لا علم لهم ، الروسا والعوام ، يتشاهقون في
عويل متفق ، لا يحتملون يتمهم ، حتي ان واحداً منهم رفع صوته واجتري
ان يقول ، يا ابانا سيخرج معك التالوت بخروجك .

فلما سمع ذلك الفاتك هذا القول ، سكن عما نهض اليه ، ووعدهم ان يقيم عندهم
الي وقت حضور الاساقفه ، لانه قد كان يومل من حضورهم ان يقدموا واحداً
اهلاً للاسقفيه ، يعتقه من الهم ، ويامره مع ذلك بالانصراف ، فافترقوا
علي هذا المال واتقين بوعده الذي ما يحققوه بيمين ، بل صدقوه بتركين

٢٢٠

غريزته وثبات طريقته ،

فلما زالت الشدايد ، وتناقص شغله بالامور ، اشرق ايضًا اعتقاد الثالوث ، وتعليم المغبوط واتعابه ، واتسعت الامانه في كافة اهل بلدة التي فلحها . احسن واكرم من فلاحة نوح الصديق ، وذلك انه فلح ارض الكنيسه ، فنظف النفوس من الكفر كتنظيف القنقن الشوك من الارض ، وانا استعمل ما ذكره النبي فاقول ،

انه مهد بعض النفوس ، وزرع في بعضها الكلام الالهي ، فمنها ما كان الزرع قد تاصل فيها واينع ، ومنها ما كان قد نبت اخضر وتربي بالركب ، ومنها ما كان قد ابرز السنبل ، ومنها ما كان قد اكتنز وبلغ الي الحصاد ، ومنها ما كانت قد صارت بيدرًا ، وبعضها عرمه ، ومنها ما كانت يحذف عنها المدري ، وما كان من الارا بمنزلة التبن اهلاً للبهيمه وتنظر السيح ، وبعضها فكانت داخلاً وقد صارت اهلاً للمخازن ، وبعضها كان قد جعلها خبزًا ، لان هذه غاية الفلاحه ، ومعتمدها تناول الطعام ، ولذلك يارب التعب وينقل الغلة الي الحصاد ، فهذا هو كان مقدار العرق الذي اشتمل ولي الله ، وحرصه في استخلاص الطوايف الجزيل مقدارها . واما تمتعه بها فما كان شبيهًا بتعبه ، لانه ما استمد من الغلات ما يستمد الفلاح ، بل كانت خيريته مبدوله مجانًا ، اذ كان قد قدم الاتعاب . وجعل بشارته بغير نفقه ، فلذلك عرض له ان تجبه رعيته كثيرًا ، وتزيد طاعتها له . اكثر من حبها اياه ، لانه قد قدم لله كثيرين ، وما كان يلدع بغضب ، بل كان ينتزع نقص العلم بالدعه ، ويفيد النفوس بكلامه حسن الصحه ، وكان يقتنص اقوامًا بحلاوة كلامه ، وقوم كانوا يوترون من ارايه تهذيبها واستقصايها ، واخرون كانوا يخضعون لاتعابه وضبطه هواه ، وغير هولاي فكانوا يحتشمون ورعه وتقواه ، وقد كان تفلسفه واجتنابه التصنع يضم الي حوزته الكثر من شغف طريقته ، واقوام انزلوا انفسهم في ملاطفتهم

اياه

(١) اول عمل يقيم البدع

(الليكم = ...)

اياه رفقهم به ، منزلة الصبد ، وبمسكه معتمرين لاختيارله ، ودقة عقله فكان
اعظمها انه كان ياتمن كل رعيته علي ساير امورها . بل كان يحدس علي قوة كل منها حدس الطبيب ،
الفاضل علي غريزة المرضي ، فيعطي كلا منهم الدوا الذي يوافقه ، وما كان يثق بالاسماع
الضعيفه الفاسده ، علي ما كان من سر الديانه كاملاً تاماً . ولا كان يكتم عن الرجال
شيا لكن يحسدهم علي منفعه تزيدهم علما ، وكان يوبخ امام العامه من كان لا يستحيا يقتاده
الي التندم ، ويبين لقوم في خلوه هفواتهم ، ويزجر اخرين من كان يلوح له ان
الزجر موافق لهم . وكان يمدح الذين يحكمون الفضيله بما يناسب ابوته وسياسته ،
لانه ما كان يومي الي اختداع بمدحته . بل كان يطرق طريقاً للفضيله ويقتادها الي
الزياده باقتباله اياها ، وهذا هو الخلف بين الخطابه وبين الفلسفه ، وذلك ان
الخطابه من شانها ان تسترق بالملق والمداراه من رفيقها موالاته . استراق صاحبه
الماخود بديحها من يصغي اليها ، والفلسفه فلقصدها المنفعه للناس تنزل حلاوة
المديح من الكلام منزلة حلاوة العسل ، فتجتذب بحلاوة لذة المديح الي الفضيله .
من يفاوضها ، واما تفاقم اقتداره علي الكلام في اللاهوت ، وقوته في سمو الاراء في
الديانه . فانه بلغ فيها الي الغاية القصوي ، حتي انه وجده فيما بين رجال كثيرين
معروفين بالحكمه في ازمان كثيره في اللاهوت ، سمي ولقب بالمتكلم في اللاهوت
بعد يوحنا الانجيلي ، وورث هذا اللقب كانه مخصوص به ، وحصل في قلبه
كافة المحسنات ، ولم يغرب عليه التنبي بالمستانفات ،

وانا عالم يا معشر الذين قد تنعمتم بحكمته ، انكم تصدقون قولنا وتستحسنون ان نزين
ما قد صنفناه من اعماله ، بما قد اتي به من هذا المعني من كلامه ، ومصنفات
اقواله . والفصل الذي نورده فهذا اللفظ لفظه ، هذه الحال كانت حال هذه
الرعيه فيما سلف ، وهذه الصوره صورتها في هذا الوقت ، وخصبها واتساعها علي
هذا المجري يجري ، وان كانت ما قد وصلت بعد في ذلك الي تمامه . الا انها تتزايدها

قليلاً قليلاً سايره الي هذا المقدار . وانا فاتنبي انها ستبلغ اليه ، وهذا في الروح القدس تقدم فقاله لي . اذكنت انا متنبيًا ناظرًا الي ما سيكون . وذلك ان ما تنبي به ثم ليس بعد مدة طويله ، لان الكنيسه شابهت رمل البحر في كثرتها ، ومعجز النبوه محققة بجب نفودها ،

فلما نودي بالملك للملك المحسن عبادته تاودوسيوس المقدم ذكره . بصحة ديانته اشرق في الكنيسه ضياء جزو من الظلام ، ينبغي لي ان اقوله فيه . كم من اعيا دانجهها باقواله ، وكم غضب من المستقيم رايهم سكنه بافعاله . واعتزم ان يكافي الارتقه علي شرهم الذي تماروا فيه فيما مضي ، ورآي ان يغم ويودي الذين طردوا وعاقبوا في وقت مقدرتهم من لم يطابق رايهم بنظير ما فعلوه في اوان زوال عزهم ،

فقال المغبوط مينيذ ، يا رعيتي الجليله ، ما يطلب منكم المسيح هذا الانتصار ، ولا علمكم انجيله هذا التعليم الضار ، هذا وقت استرجاع الضالين . الذين سبيلهم ان يعرفوا خطاياهم اذا عرفوا بها ، وان يسجدوا لربنا مقرين بالحادهم ، ويختلطون برعيتنا . فهذا عندي الاستنصار ، وهو ان استخلص من ظلمني ، وان اقرب من اذاني فيما سلف وازعجني ، وقد كان نافعًا جيدًا . فتمهلوا يا اولادي . فان الرجل المتمهل كثير الفضل في بصيرته ، واصطنعوا الجميل بين بعضكم . واصفحوا لهم عما اجترموه اليكم ، فان كان منكم من قد اشتد غليانه والغيظ عليكم بعد التمكن منه . فاعملوا تاني هذا . اتركوهم للمسيح . وفوضوا امرهم اليه . وارفعوا امرهم الي مجلس القضا هناك . فان ربنا قد قال عز قوله . عندي الانتصار وانا اجازي ، فبهذه الاقوال وامثالها استعطفهم واستقادهم الي الصمت ،

ولما خمدت نار الحرب التايره لمقارعة البربر من اهل المغرب . التي كانت عند

الملك

الملك نايبه قد شغلت عقله . استوفي منهم طايله كانت اهلاً لتجمهم ولخدم ماسوريني . ورتب الضراب علي المتهزمين . عرض بانه حضر في مدينة المملكة . مشتملاً مفاخر الظفر . متفخماً بحامد الاثر .

وصل

واستقبل حينيذٍ غريغوريوس رئيس الكهنه بالاكرام الذي يستوجبه اتعابه . وابان شوقه اليه بالمنابه الكلام في سروره برويته وقوله اخيراً . يا ابانا ان الله جل وعز قد فوض الكنيسه بنا اليك والي اعراقك . فهنذا قد سلمت اليك الهيكل الطاهر والكرسي الجليل .

فامتلي المغبوط سروراً وسلم علي الملك وقابله بالصلوات والدعا وخرج من قصر الملك .

وكانت الاريوسيه قد قبضوا علي الهيكل الطاهر الي ذلك الوقت الحاضر . قد اصطفوا بسيوف مجرده معتزمين ان يحاربوا المغبوط من اجله . متضرعين الي الملك . لا ينترع الهيكل من ايديهم مرتاعين من صطوته وعزه . وكانوا يهولون علي الباس . وعلي الذي معه بالموت . لابسين السلاح جهراً . وقد ولفوا احدهم سراً . ان يدخل علي غفله وينفذ سيفه في حشا رييس الكهنه . فعصبة المحاربين كان هذا المبلغ مبلغها .

فلما اضا الصباح سار شعب الله مع الراعي ليتسلموا الهيكل الطاهر .

فكانت الفتنه كثيره . والهيج ليس بدونها في التكاثر . وكانت المدينه حالها في اضطرابها . ليس بدون حالها من موافاة محاربين يحاصرونها . اذ كان

الكثيرون من اهلها لابسين سلاحهم من شوارعها، وفي الطبقة الثانيه والثالثه من منازلها، والعويل يبدوا من النسا والصبيان مختلطًا كثيرًا،

فدخل الملك مع المغبوط الي الهيكل جميعًا، وبحسب مايعرض كثير في امور البشر، صار مع الصراخ ظلام منتشر، وانبت غمام تحت مراة الشمس ممتدًا، فكان ماعرض من ذلك منافيًا لذلك العيد وبهجته مضادًا،

فجعل تباع آريوس بهيين، كان الله لم يرضي بانتقالهم عن الهيكل، وغسل بلا اهتمام لما عرض نفوس المومنين، وبلا اكتياب المتصل،

فلما حصل الملك والراعي داخل شرحب المدبح الطاهر، اولًا ارتفع من جميع المومنين صوت من التسبيح واحد متصلًا بدموع، وبسط ايدي وخشوع، ففي الحال انقشع الغيم بغته وانقلع، واشرق بتدبير الله شعاع الشمس ولمع، واضا الهيكل الطاهر، وبانارته الهوانقل الاكتياب عن اذهان الناس الي بهجة السرور بالسوا،

وكان الملك يوثر ان يكرس رييس الكهنه في الكرسي، فلم يشا المغبوط ان يكرس هناك، وكان لا يمكنه ان يرفع في تلك الجموع والخطوب صوته، من تلقاضطه هواه، وضعف جسمه، فنادي في جماعتهم بلسان احدهم قايلًا لهم، يا اولادي هذا الوقت وقت مراعاة الاحسان، والاقرار بالامتنان للثالوث علي ماوهبه لنا، واما الجلوس في الكرسي فينبغي ان نوخره الي وقت آخر، فاذ سمع الشعب هذا من قوله، هدا الجلابهم وخف، ودهش الملك من تواضع القديس وبهت،

فعلى هذه نغوص حريرًا، سكن به حمل السلاح وتوقد الجنوب وقد جرد احدهم

سيفه

سيفه ثم اغمده بلا دم في غمده ،

ومع هذا فما سمحوا له بالجمله الا يتكرس في الكرسي ، ولعمري انه قد ابي ذلك وامتنع منه امتناعًا شديدًا ، الا ان الجماعه من روسا الكهنه كرسته في كرسي رياسة الكهنوت . وكان ذلك بعد حين من الزمان يسير ،

واما الملك فاكرم القديس اكرام اب نبيل ، واحتشمه احتشام والدجليل ، لان الملك وان كان رجلًا لم يكن له حظ في الادب وغيره ، الا انه كان يحسن العباده ، ووديعًا اكثر من غيره ، واستشعر هو المثابره لله علي الامر الاكثر ليس للملك ، انها اجل الحسنات فكان يزور قصره الملك زياده متصله ، لانه راي المحتفين بالملك سقمي بحب الفضه يقتبلون من يهدي لهم الهدايا ويكرمونهم ، ويزدرون بمن لا يهاديهم كاينًا من كان ، ويهينونهم ، فلهذا السبب اصرف همته الي الصلوات والاسهار والتعاليم والي خدمة المرضي وافتقادهم بتكرير ، مطهرًا نفسه ورعيته بهذه المناقب . لله جل ذكره ، وشوقه الي السكوت ، كان يخرج الي الضياع والحقول في اوقات ، يداوي بذلك اتصال اتعابه ، حتي لا يكل جسمه في الاتعاب التي يستانفها ، وكان يلم بديار الملوك المامًا بطيًا ، ويتلوا ما ذكره سليمان الحكيم . في امثاله تلاوه حسنه لايقه ، اقلل دخول رجلك الي صديقك . لكيلا يشبع منك فيمقتك . فلما ظهر راعيًا لتلك الكنيسه الجزيل قدرها ، وتسلم مستغلات واواني كثيره مختلفه ، فما اقتني منها درهمًا واحدًا . فلو كان شان يقتني لقد كانت حصلت له جملة قناطير كثيره جدًا . وما طلب من خزان الكنيسه حساب مستغلاتها ووجوه خرجها او سياستها . ولا طلب تبت الاواني الطاهره ، لانه توهم ، ان هذا لعل يناسب من كان علي المواخير مشرفًا ، ليس من كان للكنايس خادمًا ، وانه لايق بالروسا ليس بالاساقفه . فبهذه المحامد ادب من كان لا ذب له ، ليقتدوا الله نقا الفطنه ، وافادهم الا يتعرضوا الاقتاع

المحاسنين من الناس ، فلما احتمله مداومة الاتعاب والشيخوخه والضعف مرض واضجع في سريره ،

فدخل كثره من الجموع الي المنزل الذي كان فيه مضطجعاً باسراع ، وبحسب ما يتجه ان يعرض لمن يروغه شي يدعمه ، عطف رجليه من السرير الي الارض ، وجلس بهذه الحال ، وسال عن رايهم في حضورهم ، فاعترفوا الله بالمنه شاكرين فيما جري ، ودعوا للملك بابلغ الدعا بسبب الهيكل وباقي الهياكل الطاهره ، وكنيسه من استقام رايه من المومنين ، وادوصفوا للراعي كلهم سبب مجيهم انصرفوا مسرورين ،

وبقي منهم شاب قد امسك قدمي القديس بيديه ، يتضرع بنحيب ودموع ، يتوسل بها اليه ، ان يغفر له الذنب الذي جسر به عليه ، فلما ساله المغبوط معني قوله ، ما اجابه بشي ، بل ازداد عويله والتماسه العفو عن خطاياه ، فقال واحد من الوقوف بحضرته ، يا ابانا هذا هو قاتلك ، الذي عزم باحتيال اقوام اغروه ان يرد سيفه علي الامعا التي لك ، نوقاك المسيح منه وكلاك ، فرام ان يتمم المكيده لاجل ما اضمروه فيك ، فلهذا السبب يصيح جاثياً متندماً علي جسارته باكياً ، فقال الاب في الحال ، اذ كانت حاله حال الاب الشفوق ، يا احب الناس الي ، فليكن لك المسيح غافراً ، وليعطيك عفواً وصفحاً فهو الذي سلمني ، ولاجل اعترافك بما جسرت عليه فقط ، سبيلك ان ترفض الاشقاق وتتقدم الي الله فتعبده عباده خالصه طايعة الاتفاق ، فاذ سمعت المدينه بهل جوابه ازداد توقد نار هود تهالة ، وفي ذلك الوقت التام ،

وفي ذلك الوقت التام من كافة رياسة بلدان الروم ، ما خلا بلد مصر وبلد المغرب

مجمع

مجمع المايه وخمسين اسقفًا المقدس، ليولي علي مدينة الملك رييس كهنة امينًا، وليبيد البدع في الامانه التي تولدت فيما بين اصحاب آريوس الي وقتهم فاستاصلوها من الكنيسه بقضية من التام هناك من روسا كهنة الدنيا ،

وقد كان غريغوريوس المعظم منذ سنين كثيره قد طرق الطعن والرد علي بدع المخالفين، وطردها عن رعية الكنيسه طرد الوحوش المغتاله، وجاهد مع المجمع المقدس في حضوره نظير جهاده في سالف امره مدة مقامه في البزنطيه علي ما قيل كرسه المجمع المقدس مدبرًا ،

وكان في المجمع ملاتيوس الكبير راعي مدينة انطاكيه حاضرًا، رجلًا محمودًا في الامانه، قد اخرج من كنيسته في ازمان اصحاب آريوس، وشقي صنوفًا من الشقا كثيره، وسلم الي نفي اقام فيه مده طويله، واما المباغه فاي قول ينبغي ان نصفه به، وكيف كانت سجيته، لانه كان وديعًا عمولًا للفضيله متحملًا، فباقتياد هذا الجليل ومشورته وباختياره، المجمع تبث لغريغوريوس المغبوط التقدم علي المدينه المتملكه، فاما هو فلموضع تنقله بلا اسقفيه غير مره، من تلقا شوق رعيته الي ذلك، وبسبب ما توهم انه ان تولي امر مدينة الملك، اقتدر ان يحل صنوف المحك والبدع الناشيه من دايرة المسكونه، حل من قد اشرف عليها من مرقب عالي، ويقتاد الكنايس المساعده بكلتي يديه، الي الاتحاد، اختار ان يقبل الاسقفيه ،

فلما قضي ملاتيوس البار اجله في مدينة الملك، بمنزن تجنيزًا مكرمًا، حتي ان كافة اهل المدينه المتملكه تقاطروا اليه لتوديعه، واهملوا عليه دموعًا غزيره، ثم اشتهرت حينيذ في المدينه جماعة من

اهلها، تقديرها كان يبلغ كثرة اجتماعها في الاول ، ولودت ايضاً الخصومه في باب
الكرسي ، واقبلت الاساقفه يخاصم بعضهم بعضاً . فبعظهم كانوا يحكمون بتحقيق
الاختيار وعدله . ويوثرون ان يبقي ثابتاً متمكناً ، وبعضهم كانوا يعاندون ما
استقر رايهم علي حقيقته فيما سلف ويخالفونه .

واما غريغوريوس فلانه كان قد اعتنق من الكرسي ودبّره ، خاطبهم بهذه الاقوال .
ايها الرعاه الاطهار المكرمون . انا ما اثرت ان تفوضوا الي رياسة المدينه المتملكه ،
لكن اذ كانت الكنيسه التي هاهنا قد زادت ونمت باتعابي واعراقي . فتجدبي ان
اخزن ذلك عند الله عزوجل ، وانتظر منه المكافاه . بل الزمني شوق الرعيه ٥
والعام من اختياركم بقبول الكرسي . وما قد رايتم الان تفويض هذا الامر الي صواباً . اذ
قد غيرتم ما ثبتموه فيما لم تتفقوا عليه كلكم . بل حصل الراي عند بعضكم بتثبيت ما
قد استقر رايكم عليه فيما سلف . واستصوب بعضكم ايضاً الا يثبت ذلك ولا
يراه . وانا فلست اقول هذا القول . لاشتياقي الي الثروه . ولا الي كرسي عالي . ولا
الي ان اكون لمدينة الملك اسقفاً . لاني احتمل اولاً بغير تالم يتم الاولاد وهو اصعب
الاشيا . والعارض من هذا منسوب الي الجهال . وبعد ذلك ليلا يعين لرايكم ان
تعملوا بحسد . او بخفة عقل غير ما قد عرفتم صحته فيما سلف . فان كان ما قد
رايتموه في هذا الوقت قد استظهر عندكم . وقد اهونتم با اعتن لرايكم فيما سلف
ورفضتموه . رفض الباطل الفاسد . فانا اخرج من الاسقفيه غير حزين ولا مغموم .
اذ قد تشاورتم وعلمتم بذات انفسكم ما قد اطاف بكم . فانا البريه ما توروم عندي
قديماً والان . وذلك ان الذين يعدمون كراسيهم . ليسوا مفروزين عند الله ايضاً .
واذ قال هذا القول . واشعر باكثر الحاضرين حريصين في تقديم غيره . ترك هو
المنزل الذي اقام فيه . واقام منزلاً غيره بعيداً من الكنيسه ليهرب بذلك من
الجلبات واذيات وورود الناس اليه . فبادر الي عنده هناك كثيرون من الشعب

المشتاقين

المشتاقين اليه ، باكيين متضرعين طالبين ان يرحم الرعيه التي رباها وانماها
باتعاب واعراق يزيد علي الوصف تقديرها ، وقالوا له ، جُد علي الذين يحبونك
بهذه المنّه ، واذ قد اقتنيت عندنا الشيبه من حياتك ، فانعم علينا بالمقام
في عمرك ، حتي يكون لنا نحن الذين قد استضانا بتعليمك ذخيره فاخره جسدك ،
فاذ كانت سجيته سجية اب يودّ اولاده ، انعزل بهذه الاقوال ولان عزمه
وجاز فيما يعمله . وابتهل الي الله ان يدبّر ما فيه الخيره له ،

واذ كان حال هولاي الذين قصدوه علي ما وصفنا حضرت في القسطنطينيه ،
اساقفه قد استدعيوا من بلد مصر وبلد المكدونيا ، وقد كان المجمع المذكور
حاضرًا ايضًا ، فهولاي الذين حظروا وتثبت بهم عارض بشري ، بان غريغوريوس
المغبوط تكرّس بغير رايهم ، فنقضوا ما حكم به اوليك وعاندوه ، ليس
لمقتهم غريغوريوس ، لان اوليك ما استمالوا الي ذلك بقنيات غامضه ، بل
لانتصارهم من الذين كرّسوه ، لانهم اعطوه الكرسي بغير رايهم ،

فاما القديس فانه عند التيام الاساقفه كلهم معًا ، وقف في وسط مجمعهم
وقال هذا القول ، ايها الرجال الرعاه معنا رعية المسيح الطاهره ، انه لمستقبح
وغير لايق بكم اصلاً ، اذا ادبتم غيركم بالسلم والصلح ، وانشاتم انتم فيما بينكم
حربًا . وكيف تقنعون غيركم ان يتحببوا ويتالفوا . وتكونون انتم غير متفقين
في ارايكم ، لكني اسالكم بالثالوث بعينه ، ان يكون الحال فيما بينكم جاري علي ما
ينبغي من المحبه والسلامه ، فان كنت انا لكم سببًا في الخلف ، في الانفصال .
فلست انا افضل او اشرف من يونان النبي . زجوني الي البحر ، وقد هدي عنكم
تقلقل المصايب واهتياجها ، فاني لموثر ان يصيبني مما شيتم ، مع اني بري من
اللوم ، وينالني من اجل اتفاقكم واصطلاحكم ، اخرجوني من الكرسي ، اطردوني

من المدينه وكونوا محبين للحق والسلم ، كما قال زخريا النبي ، والسلم عليكم يا رعاه طاهرين ، وكونوا معافيين ، ولعناي وتعبي ذاكرين ،

فلما قال هذا ، داخلهم خشوع واستحيا من مقالة ،

وخرج هو من بين جماعتهم متوجهًا الي بلد الكبادوك ، مخالطًا سرورًا وعبوسًا ، فسروره كان لانه قد وصل الي الراحه من التعب ، وعبوسه كان من اجل رعيته وتاسفه علي اهمالها ،

ثم جا الي قصر الملك ، وطلب من الملك منّه ينعم بها عليه ، وقدم هذا القول . اما انت ايها الملك ، فالمسيح يكافيك علي احسانك الي الكنيسه في يوم المجازاه ، واما المنّة التي اسل فيها الان ايها العزيز ، فلا تحتقر بها . اذ كنت لا اسل في اموال ، ولا اوثر ثيابًا نفيسه لتغشية المذابح ، ولا رياسات لاقربايي ، وانما اسل في الراحه من الاتعاب وفي سكون الجسد . وان تعود الاساقفه الي السلم ، خاصه اذ كنت انت علي ذلك حريصًا ، فاكفف حرب الكهنه يا من كف هجم البربر ، وحمل الفتوح العظيمه المختصه بعزك بشي واحد ، وهو اتفاق الاساقفه ، فهذه المنحه اطلبها منك انا ، وهذه آخر منّه يستمد بها الي ،

فعجب الملك وحمده من مقالة . وكانت حالهم حال العزم بشدة العزم اليه . فبالكد اطلقوه وامروه بالانصراف ،

وفي مقامه في مدينة الملك اصلح الجمع علي المدينة نكتاريوس اسقفًا . كان من اهل طرسوس ، ودعاهو اهل الكنيسه والمقدمين من الشعب ، فوعظهم

دوصاهم

١٤١

ووصاهم بحفظ وديعة الامانه والعمل بوصايا الله وصافحهم ، وحرّك في جماعتهم دموعًا غزيره واخذ في السفر ،

فقدم الي الضيعه المعروفه بنازينز وهي بلد الكبادوك ، وكانت موروثًا له من ابيه ، فاقام بها ، وكان باسيليوس الكبير قد انصرف الي الله من هذا العالم منذ زمان طويل سالف وانتقل من هذه العيشة الحاضره الي الحياة العاليه الدايمه ، فكتب الترثيه التي نظمها فيه

وعاد الي منزله . وكانت غيبته عن موطنه طويله لطول مقامه في البزنطيه علي ما قيل اثني عشر سنه ،

فعرض في مدة غيبته ان اقوام من تلاميد ابوليناريوس حصلوا في الناحية الثانيه من بلد الكبادوك . فخدعوا كثير باقوال كفرهم . وبلغوا في بساتهم الي هذا المبلغ . وهو ان يصلحوا في البلد اساقفه . وعلي نازينزو ايضًا ،

فنظف نازينز من نجاستهم سريعًا ، وسيل كثيرًا في التقدم علي موطنه ، فما قبل الاسقفيه ، لشدة طلبه العيشة الهاديه . فرتب رجلاً اسمه اولاليوس علي نازينزو راعيًا ، كان عنده من المكرمين جدًا يرضيه . وله خلق متواضع .

وغلب الضعف ، فجعل راحته في نازينز . ولم يكن فيه بعد هذا ما يسافر علي ما الف . فكتب رسالتين الي كلدينوس القس الرجل العابد المرضي لله باخلاص . وكتب رسايل عدة الي اقوام اخرين في الا يقبلوا فساد تلك البدعه الرديه وان يفحصوا ا وتبات تباع ابوليناريوس وينكروها ويعتقدوا انها من الكنيسه الجامعه ، وكان ما استعمله في مراسلته اياهم من الشهادات ، سوي لم يقتنع القول الساذج . بل

نقض اسقاط كفر ابوليناريوس واحدًا واحدًا ، وبين هذا بيانًا شافيًا من رسالته الي
كلدينوس ، ويبين ايضًا من اقواله الموزونه التي تقدم ذكرها ، فكان له فيها غرضان ،
احدهما ان يبين افتراض يوليانوس المغتصب واختراعه الكفري انه راي صبي لا قوة
له ، ويطعن عليه عند ما آمر للنصاري الوصول الي ادب اليونانيه ، والغرض الثاني
كان لموضع انه رآه ابوليناريوس قد كتب مصاحف تشتمل علي اشعار كثيره مختلفة
الاوزان ، واسترق بها من اهل الكلام كثيرين الي ما ابدعه في الدين من الخلاف ، لانه
كان من اهل الكلام ، رآه انه من اللازم له في مقامه هاديًا بنازينزوا ،
وبعد عودته وفراغه وراحته من امور العالم ، ان يكتب حينيذٍ اشعاره الموزونه ،

فيها كان اكثر استمدادي لما قصدته ، فلما اقام زمانًا هاهنا هاديًا وطهر عيشه
بالفلسفه ، وزاد نظره في الالهيات ،

انتقل من هذه الحياة الزايله ، وهو في الشيبة القصوي الي الطبقة
الفاضله العاليه . التي بالكد توجد هاهنا اشباهها ،

وانا فقد قضيت من كرامته ، ما وصلت طاقتي اليه ، وقضيت بذلك
شوق اب صالح ،

وقوم مشتاقين الي اوصاف ذلك المفضله ، ليحصل لهم بقليل يجمعونه
صورة من الصور حقيره لسيرته الجليله ، واما التخبير بكل شي يخصه ،
او بحسب ما يستحقه ، فلست ادري ان كان يقتدر عليه احد من الذين
يسعفون بحكمته جدًا ،
ايها الاب المغبوط عندي ، الناظر الي الخبا الحقيقي نعمة السرور

الموضع

الموضع الذي تكون فيه . لله مسبحين . وغريغوريوس فاني وان
كنت لم قلت هذا لديك . قد تخلفت عما تستوجبه لنقص قوتي .
لكن ليس من شانك ان قدم نشاطي لذلك . لان لك هو
ذلك المقال الطاهر القايل ان ما وصلت
الطاقة اليه فهو مقبول عند الله الذي
له المجد والشكر الى اباد
الدهور
امين

نجز خطب القديس غريغوريوس التاولوغوس وما وجد من ميامره وعدة الجميع
ثلاثون بحمد الله ومنته والشكر لله دايما ابدا امين

تدم هذا الكتاب المبارك الذي هو المجلد الثاني بيد افقر العبيد وادناهم الذي ليس
يستحق ان يذكر اسمه في كتاب من كثرة خطاياه . وما ثمه العبد الفقير
الى الله الغني العبد الخاطي ابن المرحوم ديمتري بلاطي المقدسي
عيسى بلاطي الياياسي اصلاً مسيحياً مذهباً ارثودكسياً
وطناً بايسياً وذلك في ثغر دمياط المحروسه
سنة سبعة وثمانون ومايه والف ١١٨٧
وللهجره ١٢٠١ قد تم نساخته

اما المجلد الاول قدم في
ثلاثه ايام اما المجلد
الثاني في ثلاثة
عجوز
ع

وكان المهتم بنساخة هذا الكتاب المبارك من ماله الخواجا جبرايل ولد المرحوم ابراهيم
بوباري من اهالي مينة طرابلس من بلاد سيريا لكي يقرا به وينتفع بما فيه هو وكلمن قري
به يدعي له ولوالديه بالحياة الابديه وبالملكوت السماويه الذي يهبها لبني
المعمودية المسيحيه الارتودكسيه وكلمن اخده وقري فيه ورجعه الي مالكه
نسله تعالي ان تكون له تلك الخيرات الابديه ومن
اخذ وقري فيه واختلسه او سرقه او طمع عليه بوجه
من الوجوه يكون نصيبه تلك العقوبات
الابديه وصاحب هذا الكتاب القديس
غريغوريوس يكون غريمًا ومطالبًا
له دنيا واخره

١٧٨٧
مسيحيه

م

نهن كتاب قرانتزو كاتب كهف وابحم وهنا اوله دمشيكل الشوام مة الخوليم جبرايل بوباري
في تزدمياه عليهم حبي قبله ملي في اول تشرين الثاني ١٧٩٩

